

حقائق ورقائق
(١٦)

الثالوث.. والفداء

حوارات هادئة حول أصول العقائد المسيحية

د. نور الدين أبو لحية

هذا الكتاب

يتناول هذا الكتاب بالبحث والمناقشة والحوار أصلين كبيرين تتأسس عليهما جميع المعتقدات المسيحية:

أولهما: العقيدة في طبيعة المسيح وكونه إلها أو أقنوما من إله، وقولهم بالتثليث (الأب والابن والروح القدس)، وأنهم واحد في الجوهر متساوون في القدرة والمجد، وأن بين الأقانيم تمييزاً بين الوظائف والعمل.

ثانيهما: عقيدة الصلب والفداء، وهي العقيدة التي تنص على أن المسيح صلب ليكفر الخطيئة التي ارتكبها آدم تحت تأثير زوجته حينما أكلا من الشجرة المحرمة، وانتقلت الخطيئة بطريق الوراثة إلى جميع نسله، وكانت ستظل عالقة بهم إلى يوم القيامة، لولا أن افتداهم المسيح بدمه كفارة عن خطاياهم.

وهو يناقش هاتين العقيدتين بهدوء مستخدما العقل والنقل، أو الفطرة والكتاب المقدس، ففي كليهما نجد ما يفند هاتين العقيدتين، ويعطي البدائل الصحيحة عنهما.

حقائق ورقائق

(16)

الثالوث .. والفداء

حوارات هادئة حول أصول العقائد المسيحية

د. نور الدين أبو لحية

www.aboulahia.com

الطبعة الأولى

1438 – 2017

دار الأنوار للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

المقدمة

يتناول هذا الكتاب بالبحث والمناقشة والحوار أصلين كبـيرين تتأسس عليهما جميع المعتقدات المسيحية:

أولهما: العقيدة في طبيعة المسيح وكونه إلها أو أقنوما من إله، وقولهم بـالتثليث (الأب والابن والـروح القـدس)، وأنهم واحـد في الجوهر متساوون في القدرة والمجد، وأن بين الأقانيم تميـيزاً بين الوظائف والعمل.

ثانيهما: عقيـدة الصـلب والفـداء، وهي العقيـدة الـتي تنص على أن المسيح صلب ليكفر الخطيئة التي ارتكبها آدم تحت تـأثير زوجته حينما أكلا من الشجرة المحرمة، وانتقلت الخطيئة بطريـق الوراثـة إلى جميـع نسـله، وكـانت سـتظل عالقـة بهم إلى يـوم القيامة، لولا أن افتداهم المسيح بدمه كفارة عن خطاياهم.

وهو يناقش هاتين العقيدتين بهدوء مستخدما العقـل والنقـل، أو الفطـرة والكتـاب المقـدس، ففي كليهمـا نجـد مـا يفنـد هـاتين العقيدتين، ويعطي البدائل الصحيحة عنهما.

وهو يخاطب صنفين من الناس:

أولهما: أولئك الصـادقين المخلصـين من المسـيحيين الـذين امتلأوا حبـا وتعظيمـا للمسـيح إلى الدرجـة الـتي أخرجـوه بهـا عن حقيقته ووظيفته التي كلفه الله بها، ونحن نخاطب في هذا الكتاب عقولهم وعواطفهم معتمدين مصادرهم المقدسة التي يؤمنون بها كما نؤمن نحن أيضا بكثير مما ورد فيها.

ونقول لهم في هذا الكتاب، وعبر الحوارات الـواردة فيـه أننـا مثلكم نحب المسيح ونعظمه ونعتقد فيه الولاية والقديسية والنبوة والرسـالة والربانيـة، وكلهـا حقـائق عظيمـة تملأ القلب لـه محبـة ومهابة وتعظيما لا يقـل عن تلـك المحبـة والمهابـة والتعظيم الـتي توجهونها إليه..

بل إننا لا نختلف عنهم في اعتقاد الولايـة التكوينيـة للمسـيح، وأن الله يجري على يديـه من التكوينـات مـا شـاء، وأننـا يمكن أن

نتواصل معه كما كان يتواصل معه الحواريون، ويمكننا أن نتوسل به إلى الله، ونستغيث به كما كان يفعل المرضى والمقعدون، وأنه يمكنه ــ كما كان يبرئ الأكمه والأبرص، ويرد للمشلول قوته وعافيته ـ أن يفعل ذلك الآن أيضا، لكنه لا يفعله إلا بإذن الله ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: 255]

ونقول لهم بأنه لا يهمنا أن تطلقوا عليه اسم [يسوع] أو [المسيح] أو [المخلص]، فكل هذه أسماء وألقاب صحيحة لا حرج فيها، ونحن نسلم لكم بها، بل نسميه كما تسمونه أيضا.. ولكنا لا نسميه [ابن الله] إلا إذا أردتم بذلك ما أراده الكتاب المقدس نفسه من الولاية والنبوة والربانية والمكانة الرفيعة.

وبذلك لن تتضرروا بتخلصكم من تلك العقائد التي يعافها العقل، ويرفضها الذوق، ويخالفها الكون جميعا، لأن علاقتكم بالمسيح لن تتضرر، بل لعلها تزداد صدقا وحقانية..

الثاني: هم أولئك المسلمين البسطاء الذين تألموا لكل ما يرونه في بلاد المسلمين من جرائم باسم الدين، فراحوا يبحثون عن أي عقيدة تخلصهم من الشتات النفسي الذي أصابهم، فوجدوا من المبشرين من يدعوهم إلى [يسوع المحبة]، فراحوا يتصورون أن هذه العقيدة هي العقيدة الصحيحة، لا العقيدة في الإله المتجبر الذي رسمه لهم الدعاة المحرفون للإسلام.

ونحن ندعوهم من خلال هذا الكتاب إلى مراجعة أنفسهم، لتنسجم عقولهم مع قلوبهم، وليوقنوا أن وجود المحرف في الإسلام لا يلغي وجود الأصالة، وأن وجود الكذابين والمزورين لا يلغي وجود الصادقين والمحققين.

وننبه القراء الكرام إلى أننا لم نأت في هذا الكتاب بجديد، فكل الطروحات الموجودة فيه موجودة في تراث السلف والخلف ممن اهتموا بالحوار الإسلام المسيحي، ولذلك لم نهتم كثيرا بالتوثيق للمصادر والمراجع المعتمدة.. لكن الميزة التي قد تميزه عن غيره هي لغة الحوار، فقد حاولت تبسيطها ليفهمها العام والخاص، لأن الكثير ممن بدلوا دينهم، وتحولوا إلى المسيحية لم

يتحولـوا إلا بسـبب كـونهم عـوام بسـطاء لا حـظ لهم من العلم أو الثقافة، فلذلك تأثروا بالخطاب العاطفي أكثر من تأثرهم بالحجـاج العقلي.

والمـيزة الثانيـة هي الأدب في الحـوار مـع الآخـر، فقـد رأيت الكثــير من الكتب والمنتــديات تتنــاول هــذه المســائل بطريقــة ساخرة، مملوءة بالسباب والشتائم، وهو مخـالف لـديننا، فنحن لم نـؤمر أن نقـول للنـاس سـوءا، بـل أمرنـا أن نقـول لهم حسـنا، ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: 83]، وأمرنا أن نجادلهم بــالتي هي أحسن، ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125]

والكتاب يتشكل من قصتين منفصلتين كل واحدة منهما تعالج أصلا من الأصول، مستخدمة أساليب الحوار والجـدال والمناقشـة، وهي الأساليب التي حبذنا استعمالها في هـذه السلسـلة لتـتيح لنـا فرصة أكبر لمخاطبة العقول والقلوب.

أولا ـ الثالوث

اسـمحوا لي أن أعـرفكم بنفسـي قبـل أن أقص عليكم قصـة انتقـالي من التثليث إلى التوحيـد.. ومن المسـيحية المحرفـة إلى المسـيحية المصـححة .. ومن الرؤيـة المشـتتة للوجـود والكـون إلى الرؤية الواضحة العقلانية الفطرية.

أنا رجل من رجال الكنيسة المقربين جدا من البابا، وكان يكلفـني بكل المهمـات السـرية الخطـيرة الـتي لا يريـد أن يسـمع بهـا غـيري وغيره.. ولذلك فإن هذا الحديث الذي سـأذكره لكم لا يعرفـه غـيري، لأني بعدما حصل لي ما حصل لم أعد إلى الكنيسة، ولا إلى البابا، بـل انـزويت في مكـان بعيـد، واخـترت لي اسـما جديـدا، ورحت أصـحح علاقتي مع الله، وأبدأ حياتي الجديدة معه.

لذلك لن أذكر لكم اسمي القديم، حـتى لا أسـيء للكنيسـة الـتي وثقت بي، ولا إلى البابا الذي ائتمنني على السـر الـذي لم يـرغب أن يعرف به سواي.. ولن أذكر لكم كذلك اسمي الجديد، لأني لا أحب أن أنشغل في هذه الأيام الباقية من عمري في استقبال الزوار والحديث إليهم.

قصـتي تبـدأ من رسـالة وردتـني من الحـبر الأعظم تـأمرني بـأن أذهب إلى كنيسة من كنائسنا الكبرى في غانـا، حيث وردنـا خـبر بـأن القسيس الأكبر الذي كان معتمدا لدينا فيهـا تحـول إلى إلى الإسـلام، وأنه لم يكتف بذلك، بل راح يبشر بصـفات الإلـه الـذي يـؤمن بـه في الكنيسة التي تمرد عليها.

وقد وردتنا الأخبار بأن كثيرا من رعيتنا هناك اتبعـوه، وراحـوا مثلـه يبشرون بالإله الواحد، بدل إلهنا ذي الأقانيم الثلاث.

هـرعت لأمـر الحـبر الأعظم، وفي روحي أشـواق لسـت أدري سببها..

ولكني مـع ذلـك كنت تـام الثقـة في ديـني وفي معتقـداتي، فمـع كونها لم تكن ترضي المنهج العقلي الذي أتبنـاه إلا أني كـونت موقنـا، أو تشكلت لدي قناعة عقلية كبرى من أن مثل هذه القضايا لا تعـرف

بالعقل المجرد.. فلذلك كنت تام الثقة في أن معتقدات المسلمين لن ترضي عقلي الذي يريد أن يعرف الحقيقة المجردة.

وصلت إلى غانا.. فانتقلت بسرعة إلى كنيستها.. لقد كان الأمر خطيرا، فلذلك ما إن وصلت حتى أرسلت في طلب هذا القسيس الذي ارتد عن دينه.

دخلت مكتبا مخصصا لمثل هذه الجلسات، وطلبت من الجميع تركي لوحدي مع هذا القسيس.. لست أدري لم أصررت على هذا الطلب؟

لقد كنت مشتاقا لسماعه.. ومشتاقا أكثر لأن تكون لي الجرأة التي يملكها.. فلذلك أغلقت الأبواب وتوثقت منها بعد دخوله لتكون لي فرصة طويلة في الحوار معه من غير رقابة ولا شغب.

عندما رأيته أدهشني منظره.. لقد كان يرتدي ثيابا رثة، وكانت حالته مؤثرة جدا.. حاولت التلطف معه، فقلت: ما بك يا يوحنا..

وقد كان هذا الاسم هو الاسم الذي أحبه ورضي به، وطلب أن نلقبه به منذ اعتنق النصرانية قبل عشرات السنوات.

قال: أنت كما تراني بفضل الله وحمده.

كان صوته عذبا تنبعث منه روائح الإيمان والعزة.. لقد ذكرني بالسحرة الذين لم تشغلهم عزة فرعون عن عزة الله.

قلت: ولكني أرى حالتك مزرية.. أين النعيم الذي كنت ترفل فيه؟

قال: لقد بعته لله.. وبعت كل ما أعطيتموني لله.. لقد جردني من آواني من كل ما أعطاني، وظن أني بذلك سوف أترك ما اقتنعت به من ديني.. وهذا لن يكون، فالدين أعظم من أن يباع بمتاع رخيص من الدنيا.

لقد كان تحت يدي ــ حضرة الحبر ــ أربع سيارات مخصصة لخدمتي، وكان لدي قصر كبير لم أكن أحلم بمثله يوم أخذتموني فقيرا معدما، ولقنتموني دين المسيح مع قطع الخبز التي كنتم تطعمونها لي.

قلت: ولكن كيف تتنكر للأيادي التي مدت لك؟

قال: أنا لا أتنكر لهذه الأيـادي.. ولكن من الخطـأ أن نكـره النـاس على الـدخول للـدين بـالخبز.. ألسـتم ترمـون محمـدا ﷺ بأنـه نشـر الإسـلام بالسـيف؟.. فلا تنشـروا المسـيحية بـالخبز.. اعطـوا الخـبز للجائع.. أما الدين فاتركوه وما يمليه عليه عقله وقلبه وروحه.

قلت: لا بأس.. لن نتحدث عن هذا الآن.. سمعت أنك تبشر بالإلــه الواحد.. وتخبر أنه الإله الذي جاء المسيح وجميع الأنبياء بالدعوة إليه.

قال: نعم.. وقد كان محمد ﷺ هو المصحح لكل تلك الأوهام الــتي لحقت المسيح، وأساءت إلى الله.

قلت: فـأنت تتصـور أن كتبنـا تحـوي صـفات الإلـه الـذي جـاء بـه محمد.. لا الأقانيم التي نؤمن بها.

قال: أجل.. وأستطيع أن أبين لك ذلك إن كنت صادقا.. وأنا واثــق تماما من أنك إذا عرفت الحقيقة سوف تسلم لي.

قلت: وإذا عرفت الحقيقة أنت.

قال: لا مناص لي من التسليم إليك.. فالحق أحق أن يتبع.

جلست مجلس التلميذ بين يديـه.. ولكـني مـع ذلـك لم أتخـل عن عنفوان السلطة الـتي كنت أملكهـا أو كـان يملكهـا منصـبي.. فلـذلك جلست أنصت إلى حديثه، ولا أقاطعه.. لقـد كنت أتمتـع بحديثـه، ولـو أني لم أملك الجرأة لأن أظهر له تلك المتعـة.. لقـد كنت أبـدو قاسـيا أمامه، ولكن قلبي كان يـود لـو يحتضـنه ليمتص بعض رحيـق الأشـعة المحمدية التي امتصها قلبه.

قـال: ألسـتم تلخصـون أصـول أصـول العقيـدة في المسـيح في الأمانة الكبيرة؟

قلت: أجل.

قال: ألا تقولون فيها: (نؤمن بالله الواحد الأب ضابط الكـل مالـك كل شئ مانع مايرى وما لايرى، وبالرب الواحد يسوع ابن الله الواحـد

بكر الخلائق كلها الذي ولد من أبيه قبل العوالم كلهـا، وليس بمصـنوع إله حق من إله حق من جـوهر أبيـه الـذي بيـده أتقنت وصـار إنسـانا وحبل به وولد من مريم البتول وصـلب أيـام (بيلاطس الملـك) ودفن وقام في اليوم الثالث كما هو مكتوب وصعد إلى السماء وجلس عـن يمين أبيه مستعد للمجئ تـارة أخـرى للقضـاء بين الأحيـاء والأمـوات. ونؤمن بروح القدس المحيي المنبثق من أبيه الذي بموقع الأب والابن يسجد له ويمجد النـاطق بالأنبيـاء وبكنيسـة واحـدة مقدسـة رسـولية وبمعبودية واحـدة لمغفـرة الخطايـا وتـترجى قيامـة المـوتى والحيـاة والدهر العتيد آمين)

قلت: بلى.. نحن نردد هـذا الكلام.. وهـو يحـوي خلاصـة معتصـرة لعقيدتنا.

قال: من أين أتيتم بهذا الكلام؟

قلت: من كتبنا المقدسة.

قال: لا.. لقد قرر هذه العقيدة 318 أسقفا اجتمعوا بمدينة يذقيـة في عهد قسطنطين عام 325م وفي عام 381م زادوا فيها مايلي :(والأب والابن وروح القـدس هي ثلاثـة أقـانيم، وثلاثـة وجـوه، وثلاثـة خواص، توحيد في تثليث في توحيد كيان واحد بثلاثة أقانيم، إله واحـد جوهر واحد طبيعة واحدة)

قلت: هذا صحيح.. ولكن هـذه المجـامع.. وهـذا العـدد الكبـير من الأساقفة لم يقولوا هذا الكلام من فراغ.. لقـد وجـدوا نصوصـا كثـيرة في الكتاب المقدس تؤيدهم[1].

قال: أنت تعلم أن هذه العقيدة لم تلق القبول المطلق من جميع المسيحيين.. إن هناك الآلاف.. بل عشرات الآلاف من الذين يقـرؤون الكتاب المقدس، ويفهمونه، ويؤمنون به، ومع ذلك لا يثقـون في هـذا الإيمان الذي تتبنونه وتبشرون به.

لقد اعترف جُلُّ المؤرخين المسيحيين، أن الاعتقاد بإلهية المسـيح

---

[1] () استفدنا الكثير المعلومات المرتبطة بهذا الباب من كتاب (القول الصحيح فيما نسـب لعيسى المسيح) من تأليف: مشعل بن عبد الله القاضي، ترجمـة : وائـل البـني.. وغـيره من المراجع.

لم يصبح عقيدة مستقرة وسائدة بين المسيحيين إلا بعد انقضاء عهـد الحواريين وعهد التلاميذ الأوائل للمسـيح، أي بعـد انقضـاء قـرن على الأقل على رحيل المسيح.

أمـا قبـل ذلـك.. أي في القـرن الأول لبعثـة المسـيح، فقـد كـانت مذاهب الناس في المسيح لا تزال متشعبة:

فغالبية اليهود المعاصرين له أبغضوه وأنكروا رسالته من الأساس واعتبروه ساحرا ودجالا، وصرفوا جهـودهم لمحاربـة أتباعـه والقضـاء على دعوته، والإسلام أنكر على هـؤلاء، والمسـلمون ينكـرون عليهم، ويغيرون للمسيح الذي لم يتركوا وسيلة إلا آذوه بها.

ومقابل ذلك آمن به عـدد من اليهـود ممن تجـرد للـه، فـرأوا فيـه المسيح المبشر به في الكتب المقدسة السـابقة، وقـد أشـار القـرآن الكريم إلى هؤلاء الذين وقفـوا في وجـه أولئـك، فقـال :﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران:52)، وقال :﴿ يَا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَـى ابْنُ مَـرْيَمَ لِلْحَـوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَـةٌ مِنْ بَنِي إِسْـرائيلَ وَكَفَـرَتْ طَائِفَـةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُـوا عَلَى عَـدُوِّهِمْ فَأَصْـبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ (الصف:14)

وهؤلاء الحواريون الصادقون لم يصلنا من كتبهم إلا القليـل.. ومـع ذلك، فما وصلنا يـدل على أنهم كـانوا يـرون في المسـيح نبيـا بشـرا، ورجلا أيده الله بالمعجزات الباهرات ليرد الناس إلى صراط الله الذي ضلوا عنه، وليعلن بشارة اللـه تعـالى بالرحمـة والغفـران والرضـوان للمؤمنين التائبين..

وبين هؤلاء وأولئك ظهـرت فئـة من المغـالين، كـانوا أخطـر على المسـيح ودين المسـيح والأشـعة الـتي أنـارت بالمسـيح من اليهـود أنفسهم.. فهؤلاء لم ينسجوا له تاجا من الشوك، بـل نسـجوا لـه تاجـا من الألوهية، وقد أنكر القرآن الكريم على هؤلاء إنكارا شـديدا منزهـا الله تعالى عن الأفكار التي كانوا يحملونها، قال تعالى :﴿ وَإِذْ قَـالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ

قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (المائدة:116 ـ 117)

قلت: ولكن إجماع المسيحيين استقر على هذه العقيدة التي يؤمنون بها.. ألستم تعتبرون الإجماع من مصادر الشريعة المعتبرة؟

قال: الإجماع الذي لا يناقض النصوص.. لا الإجماع الذي يخالفها، بل يحاربها.. ثم من قال لك بأن المسيحيين اجتمعوا في يوم من الأيام.

إن التاريخ والوثائق المعتبرة تثبت أنه لا تزال توجد في كل عصر من عصور تاريخ المسيحية أعداد غير قليلة من علماء النصارى وعامتهم ممن أنكر تأليه المسيح ورفض عقيدة التجسد والتثليث مؤكدا تفرد الله وحده بالألوهية والربوبية والأزلية، وأن المسيح مهما علا شأنه يبقى حادثا مخلوقا.

وهؤلاء ليسوا أفرادا محدودين، بل قد حظي أولئك الأساقفة والبطارقة الموحدون بآلاف، بل عشرات آلاف الأتباع والمقلدين، ولو أذنت لي لذكرتك بالكثير ممن تعرفهم أنت، وثلة ممن معك[1].. ولكن الكثير من المسيحيين يجهلونهم، لأنكم تمارسون من أساليب التعتيم ما تغطون به التاريخ والجغرافية وكل ما لا تريدون ظهوره.

ألم تظهر عدة فرق في القرون المسيحية الثلاثة الأولى كانت تنكر التثليث والتجسد وتأليه المسيح.. أليس من هذه الفرق فرقة الأبيونيين، وفرقة الكارينثيانيين، وفرقة الباسيليديين وفرقة الكاربوقراطيين، وفرقة الهيبسيستاريين، وفرقة الغنوصيين؟

قلت: هذه فرق هرطقة.. وهي محرومة من بركات الكنيسة مطرودة من طريق الرب.

---

[1] () انظر: (عيسى يبشِّر بالإسلام) للبروفيسور الهندي الدكتور محمد عطاء الرحيم، فقد ذكر فيه مؤلفه الفرق النصرانية الموحدة القديمة، وتحدث في فصل كامل عن أعلام الموحدين في النصرانية، استوعب فيها أسماءهم وتراجمهم وكتاباتهم ودلائلهم على التوحيد وأحوالهم وما لاقوه من اضطهاد و محاربة في سبيل عقيدتهم.

قـال: أنتم الـذين حرمتموهـا.. أنتم الـذين تجلسـون على عـرش المحكمـة الإلهيـة لتـدينوا من تشـاءون إدانتـه، وتقربـوا من تشـاءون تقريبه.

أنتم الـذين أدنتم بـولس الشمشـاطي، الـذي كـان بطريركـا في أنطاكية، ووافقه على مذهبه التوحيدي الخالص الكثيرون ممن عرفوا بالفرقة البوليقانية.

وأنتم الذين أدنتم آريوس أسقف كنيسة بوكاليس في الإسـكندرية (250 ـ 336 م.)، والــذي صــار لــه ألــوف الأتبــاع ممن عرفــوا بالآريوسيين.. وقد بقي مذهبهم التوحيدي حيا لفترات زمنيـة طويلـة.. بل صار آريوس علما للتوحيد، حتى أن كـل من جـاء بعـده إلى يومنـا هذا ممن ينكر التثليث وإلهيـة المسـيح، تصـمونه أنتم رجـال الكنيسـة الرسميون بأنه آريوسي.

وأنتم الذين أدنتم يوزيبيوس النيقوميدي أسقف بيروت، الذي نقل لنيقوميديا عاصـمة الإمبراطوريـة الشـرقية، وكـان من أتبـاع لوسـيان الأنطاكي وقد كان من أصدقاء آريوس.

قلت: أنت تتحدث عن تواريخ بائدة لا نـدري صـحة مـا نقـل منهـا، فكيف تريد أن تخرق بها الإجماع المسيحي؟

قلت: لقـد ذكـرت لـك أنـه لم يخـل يـوم من أيـام المسـيحية من الموحدين..

ألا تعرف الطبيب الأسباني ميخائيل سـيرفيتوس (1151 ـ 1553) الذي تأثر بحركة الإصلاح البروتستانتية، ولم يكتـف بـذلك، بـل خطـا في الإصـلاح خطـوات جذريـة وجريئـة، فـأعلن بطلان عقيـدة التثليث ورفض ألوهية المسيح، بل كان يسمي الثالوث بـ (الوحش الشيطاني ذي الرؤوس الثلاثة).. ولم يكتـف بـذلك، بـل قـام بحركـة نشـطة في الدعوة إلى التوحيد الخالص.

أما أنتم فقـد اتهمتمـوه كعـادتكم بالهرطقـة، بـل واعتقلتمـوه، ثم أعدمتموه حرقـا.. لكنكم لم تسـتطيعوا إعـدام أفكـاره وكتاباتـه الـتي انتشـرت في وسـط وشـرق أوربـا، وصـار لهـا عشـرات الألـوف من

الأتباع والمؤيدين.

ألا تعرف القسيس الروماني فرانسيس ديفيد (1510 ـ 1579) الذي صار أسقفا كاثوليكيا، ثم اعتنق البروتستانتية، ثم وصل في النهاية للتوحيد الخالص، فأبطل التثليث، ونفى ألوهية المسيح.. وقد كان لأفكاره تأثيرها الاجتماعي، فتأسست على أساسها فرقة من الموحدين في بولونيا والمجر (هنغاريا) وأثرت أفكاره حتى في ملك هنغاريا الذي أصدر بيانا أمر فيه بإعطاء الموحدين حرية العقيدة؟

ألا تعرف اللاهوتي الإيطالي فاوستو باولو سوزيني (1539ـ 1604) الذي اشتهر باسم سوسيانوس.. لقد نشر كتابا إصلاحيا ينقد عقائد الكنيسة الأساسية من تثليث وتجسد وكفارة وغيرها، ثم توصل للتوحيد الخالص، وأخذ يؤكد عليه في كتاباته ورسائله؟

ولم يبق الأمر محصورا في شخصه وكتاباته، بل إن تعاليمه انتشرت في كل مكان، وعرف مذهبه اللاهوتي باسم (السوسيانية).. أما أنتم فتسمون أتباعه (الآريانيين الجدد)، أي أتباع مذهب آريوس القديم، وكأنكم بذلك تحيون مذهب آريوس من حيث لا تشعرون.

أما موقفكم منه، فأنت تعرفه، لقد عرضتم أتباع السوسيانية لاضطهاد وحشي منظم منذ عام 1638، بل أحرقتم الكثير منهم أحياء.. أو على الأقل حرمتموهم حقوقهم المدنية، وحرقتم كتبهم.

سكت قليلا، ثم قال: ألا تعرف القسيس البريطاني ثيوفيلوس ليندسي(1723 ـ 1808) الذي كان منظم أول جماعة مصلين موحدة في إنجلترا، وكان يؤكد أنه ليست الكنائس فقط مكان عبادة الله، بل للإنسان أن يختار أي مكان لأداء الأدعية والصلوات لله وحده فقط؟

ألا تعرف القسيس والعالم البريطاني جوزيف بريستلي (1733ـ 1804) الذي أثار كتابه (تاريخ ما لحق بالنصرانية من تحريفات) ثائرة أتباع كنيستكم الرسمية، فأمرتم بإحراقه فيما بعد؟

هذا غيض من فيض من الرجال والجماعات التي خرقت ما تزعمه من إجماع مسيحي.. أم أن كل هؤلاء لا محل لهم عندكم؟

صمت لأترك له فرصة أخرى للحديث.. فقد كانت أحاديث المرتدين التي ينفر منها من أعرفهم من رجال الدين المسيحي تملؤني بقوة عجيبة.

واصل الرجل حديثه قائلا: ارجع إلى دوائر المعارف البريطانية والأمريكية الشهيرة حول المسيح وتاريخ تطور العقيدة النصرانية والأناجيل، وستجد أن الغالبية العظمى من هؤلاء المفكرين والكتَّاب العصريين لا ترتاب في كون غالب العقائد المعقَّدة للكنيسة النصرانية، لا سيما التثليث والتجسد والكفارة والأقانيم.. ما هي إلا تعبيرات فلسفية بعيدة عن رسالة المسيح التي لم تكن إلا رسالة توحيدية أخلاقية بسيطة.

ولم يبق إلا القليل جدا من المفكرين ودكاترة اللاهوت وأساتذة علم الأديان الغربيين ممن لا يزال يرى أن عقائد الكنيسة الرسمية تمثل بالضبط نفس تعاليم المسيح وتعكس حقيقة رسالته.

وليس الأمر قاصرا على هؤلاء الباحثين.. بل إن هناك فرقا نصرانية جديدة انشقت عن الكنيسة، خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي تتفق على إنكار إلهية المسيح وإنكار التثليث ورفض فكرة: الله ـ الإنسان، وتنظر لبنوَّة المسيح لله على معنى مجازي لا حرفي، ولا أظنك تجهلها.. ولا أظنك تجهل ما تمارسون ضدها من حروب..

وأنا مع أني أختلف كثيرا مع هذه الفرق إلا أني أفند بها الإجماع الذي تزعمه..

إن لهؤلاء ـ حضرة الحبر ـ من العقل ما لكم، ولهم من الكتب المقدسة نفس ما تؤمنون به.. فكيف لم يفهموا منها ما فهمتموه من العقائد؟

قلت: وهل تظن أن كل أولئك الفحول من رجال الدين الذين اجتمعوا في نيقية أقل عقلا من هؤلاء؟

قال: أنا لا أتهمهم في عقولهم.. بل لولا عقولهم ما استطاعوا أن يحوروا المسيحية إلى السبيل الذي أرادوه.

سأنقل لك هنا بعض ما نقله سعيد بن البطريق، وهو يتحدث عما حدث في المجمع الثالث حيث اجتمع الوزراء والقواد الى الملك وقالوا: ان ما قاله الناس قد فسد، وغلب عليهم (آريوس) و(اقدانيس) فكتب الملك الى جميع الاساقفة والبطارقة، فاجتمعوا في القسطنطينية، فوجدوا كتبهم تنص على أن الروح القدس مخلوق، وليس بإله، فقال بطريق الاسكندرية: ليس روح القدس عندنا غير روح الله، وليس روح الله غير حياته، فإذا قلنا إن روح الله مخلوقة، فقد قلنا إن حياته مخلوقة، واذا قلنا حياته مخلوقة، فقد جعلناه غير حي وذلك كفر.

واستحسن الجميع هذا الرأي مع هزالته وبساطته وراحوا يلعنون آريوس ومن قال بقولته هذه، وأثبتوا أن: (روح القدس إله حق من إله حق ثلاثة اقانيم بثلاثة خواص)

لست أدري كيف خطر على بالي نصوص من القرآن الكريم تتحدث عن روح القدس ونسبته لله، فقلت: ولكن القرآن كتاب المسلمين المقدس الذي تؤمن به ينسب الروح إلى الله؟

قال: أجل.. لقد قال تعالى :﴿ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً ﴾ (مريم:17)، وقال :﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ (التحريم:12)

وقال يبين العقيدة الحقة في المسيح، وينقد العقائد المنحرفة :﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾ (النساء:171)

وبمثل ذلك ورد قوله ﷺ: (من شهد أن لا إله الا الله وأن محمدا رسول الله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وابن امته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق والنار حق، وأن البعث حق أدخله

الله الجنة على ما كان من عمل من أي أبواب الجنة الثمانية شاء)[1]

قلت: فقد نسب المسيح إلى كلمة الله وروحه.. ونحن لا نقول إلا هذا.

قال: لا.. أنتم لا تقولون هذا.. أنت تقولون بألوهية المسيح أو كونه أحد أقانيم الألوهية.. أما هذه النصوص فتضيف كلمة روح القدس، وروح منه إلى الله ليس لاتحادها به، وانما نسبة تشريف.. فهي إضافة تشريف، وليست إضافة تبعيض، ألم تقرأ قوله تعالى :﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (لأعراف:73)، وقوله :﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴾ (الشمس:13)

أم أنك ترى أن هذه الناقة أقنوم جديد يمكن إضافته إلى أقانيم الألوهية؟

قلت: لا بأس.. لن أجادلك في هذا.. ولا يعنيني ما يقول كتابكم.. عد بنا إلى ما كنا فيه.. لقد ذكرت لي أن أولئك الذين اجتمعوا في المجامع ليقرروا العقيدة التي نؤمن بها كانوا مخطئين.. فمن أين استنبطوا تلك العقيدة إذن، ومن أين افتروها إن لم يكونوا قد فهموها من الكتب المقدسة التي ورثوها؟

قال: لقد مكثت أدرس سر هذا فترة طويلة بموضوعية وحياد، وقد كانت هذه الدراسة سر اهتدائي للإسلام، أو سر معرفتي لحقيقة المسيحية التي لا تختلف عن الإسلام.. أو سر معرفتي للتشويه الذي تعرضت له المسيحية.

قلت: فإلام اهتديت؟

قال: إلى أربعة أمور.. ما أصابت دينا من الأديان إلا وحادت به عن سواء السبيل.

قلت: فما هي؟

---

[1]() رواه البخاري ومسلم.

قال: أولها انحراف أهل الدين عن السنن التي جاءهم بها أنبياؤهم إلى بـدع محـدثات نقلوهـا من الأمم المختلفـة، أو تسـربت إليهم من الأمم المختلفة، أو أرادوا بها أن يرضوا أهل الملل المختلفة.

قلت: والثاني؟

قال: تحريف الأتباع لأديانهم إرضاء لأهوائهم.

قلت: والثالث؟

قال: تسلط الحكام وتدخلهم في الدين.

قلت: والرابع؟

قال: اتبـاع الأتبـاع للمتشـابهات، وهجـرهم للمحكمـات، فنسـخوا المحكم بالمتشابه، وعطلوا المحكم واتبعوا المتشابه.

قلت: فحدثني عما عرفته من انطباق هذه الأربعـة على مـا نـدين به من دين.. ولنبدأ بأولها.

قال: **أولها هو اتباع سنن المنحرفين من أهـل الـديانات المختلفة تأثرا بهم**.. لقد أشار القـرآن الكـريم إلى هـذا المعـنى، فقال :﴿ وَجَاوَزْنَـا بِبَنِي إِسْـرائيلَ الْبَحْـرَ فَـأَتَوْا عَلَى قَـوْمٍ يَعْكُفُـونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهـاً كَمَـا لَهُمْ آلِهَـةٌ قَـالَ إِنَّكُمْ قَـوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ (لأعراف:138)

قلت: لا يعنيني ما يقـول قـرآن المسـلمين.. بـل تعنيـني الحقيقـة الموضوعية المجردة.

قال: القرآن يذكر سنن الحقـائق.. ولا يمكن أن تفهم الحقـائق إلا في ظلال سننها.

قلت: حـدثني عمـا فعـل قـومي ممـا ذكرتـه من اتبـاع الأديـان الأخرى؟

قال: لقـد بلـغ من تـأثر المسـيحية بالـديانات الأخـرى في عقيـدة التثليث أن تـاريخ ولادة المسـيح غُـير مـراراً إلى إن اسـتقر يـوم 25 ديسـمبر، وهـو اليـوم الـذي كـان المصـريون يحتفلـون فيـه بمولـد

مخلصهم (حورس)، وهو نفس اليوم الذي كان الفرس يحتفلـون فيـه بميلاد (متزا)، كمـا كـان هـذا اليـوم أحـد الأعيـاد الدينيـة المماثلـة في الدولة الرومانية وتخالف الكنيسة الشرقية الكنيسة الغربيـة في ذلـك فتجعل يوم ميلاد المسيح اليوم السابع من يناير.

وقد كان المصريون يعتقدون أن (حوريس) ولـد من الإلـه الأعظم (أوزوريس) والعذراء (ايزس)، كما أن الرومان كانوا يعتقدون أن الإله (جوبيتر) أنجب (بريسيوس) من العذراء (داناي) وأنجب (ديونيسيس) من العذراء (سيميل) وأنجب (هرقل) من العذراء (ألكمين).. أمـا في الهند فقد ولـد كيرشـنا في كهـف بينمـا كـانت أمـه العـذراء وخطيبهـا هاربين من غضب الملك.

بالإضافة إلى هذا، فإن تأليه بعض المخلوقات من البشر وغـيرهم قـديم جـداً.. ولا يـزال يوجـد بين البـدائيين من عبـدوا قـوى الطبيعـة ومنهم من عبد الشمس والقمـر والكـواكب الأخـرى، وتـاريخ الأديـان غاص بهذا المظاهر:

ألم تســمع بــالطوطم والتــابو وعبــادة الأجــداد والأشــجار وأثــار الموتى؟

ألم تسمع بآلهة اليونانيين الذين كانوا يختصـمون، ويحقـد بعضـهم على بعض ويدبرون المكايد، وتشيع بينهم الأحقـاد، ولم يكن لهم حـظ من الألوهية إلا أنهم لا يموتون.

ألم تسمع بأسطورة إيزيس وأوزوريس وحوريس التي ولـدت في مصر، وقد كانت معروفة ومشهورة.. ولعلها كانت بداية التثليث؟

ألم تسمع بتلك الأساطير الـتي كـانت تجعـل النـاس يعتقـدون أن دماء الآلهة سرت في شرايين الملـوك فراحـوا يؤلهـونهم ويعبـدوهم، وكان الملوك حريصين على نشر مثل هذه العقائد فهي السـند الكـبر لاستبدادهم؟

ألم تسـمع بروميـولس وريميـوس، اللـذين وجـدا فى الصـحراء، وحنت عليهما ذئبة فأرضعتهما، ومات ثانيهمـا وبقي روميـولس، فلمـا نما وترعرع أسس مدينة روما، ومنه جاء ملوكها ـ كما يعتقدون ـ وقد

أضفى ذلك عليها طابع القداسة، فهي مدينة مقدسة، وملوكها من سلالة الآلهة.. وقد ظل الناس يعبدون الملوك الرومانيين، فلما ظهرت المسيحية حاربوها حرصا على مجدهم حتى كان عصر الأمبراطور البيزنطى قسطنطين الذي وجد أن تيار المسيحية أصبح عنيفا وأقوى من أن يحارب، فاعلن المسيحية دينا رسميا لدولته، ولم يكن كثير من الناس مستعدين لقبولها، فأجبرهم عليها بالتعذيب والقتل، وأريقت دماء كثيرة في سبيل ذلك مما ولد النفاق الذي يحرف الأديان.

قلت: سمعت بكل هذا.. ولكن كيف تقارن تلك الديانات الوثنية بالمسيحية.. أترى المسيحية امتدادا للوثنية؟

قال: لا.. حاشا لله.. وقد كان قرآننا وديننا أكثر احتراما لكم.. بل إنه اعتبر إلهكم هو إلهنا، فقال تعالى :﴿ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (العنكبوت:46)

وهو لا يدعوكم إلا للتخلص من الشرك الذي دنستم به قداسة الإله، قال تعالى :﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران:64)

ولكني مع ذلك لا أنفي ولا أستطيع أن أنفي تأثركم بتلك الوثنيات، وسأبرهن لك ذلك بما شئت من البراهين.

أصخت بسمعي لأسمع ما يقول.. فقد كان لحديثه من العذوبة والقوة ما يأسر السامعين.

قال: سأقول لك شيئا لعلك تخالفني فيه.. لكن الأدلة كلها تقف معي..

أنت تعرف مدرسة الإسكندرية، وتعرف أنها المدرسة التي اضطلعت بدرس الفلسفة اليونانية ونشرها.. لقد ازدهر فيها الفكر اليوناني مدة طويلة، فلما ظهرت المسيحية وجدت في هذه المدرسة تراثا وثنيا لم تستطع أن تتخلص منه، بل سيطر هو على

المسيحية.

صحت فيه: ما الذي تقوله؟

قال: اصبر علي.. أرى أنك تريـد أن تعـرف السـبب الـذي جعلـني أومن بالإله الواحد بدل الأقانيم الثلاث.. فاصبر علي..

هدأت، فواصل حديثه، قائلا: لقـد حـارب أبـاطرة الرومـان عبـادة إيزيس وشق عليهم إماتتها حتى إننا نجد أحد عشر امبراطورا يقيمون على حربها، ومع ذلك لم تمت، وإنما ظهرت فى صورة أخرى واســم آخر.. لقد ظهرت فى عبادة ديمتر يونانية ورومانية، وامـتزجت بعبـادة (مثرا) وأتخذوا لها صورة الأم الحانية، فرسـموها تحتضـن وليـدها في مظهر ينم عن الحنان والبر من الأم والبراءة والطهـارة من الطفـل.. وهذه الصورة بكل ما فيها هي الصورة التي ترسمونها للسـيدة مـريم العذراء وهي تحمل طفلها المسيح.

بـدا على وجهي بعض السـكون الـذي نشـره حديثـه في نفسـي، فشجعه ذلك، فراح يقول: لقـد كـان النـاس ــ كمـا يـذكر كارليـل في كتاب (الأبطال وعبادة الأبطـال) ــ يعظمـون البطـل، ويعظمـون أمـه وأباه، فجاءت عقيدة التثليث بهذا، وظل الناس يخلعون على الأبطـال صفات الآلهة، إعجابا بهم وتعظيما لهم، ولهذا نهى القرآن الكـريم عن الغلو في المسيح، لأن الغلو فيه هو سر تأليهه، فقال تعالى :﴿ يَا أَهْـلَ الْكِتَـابِ لا تَغْلُـوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُـوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَـقَّ إِنَّمَـا الْمَسِـيحُ عِيسَـى ابْنُ مَـرْيَمَ رَسُـولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُـهُ أَلْقَاهَـا إِلَى مَـرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْـهُ ﴾ (النساء: من الآية171)

ولهـذا أخـبر القـرآن الكـريم أن جميـع الرسـل ركـزوا على صـفة البشرية فيهم، قال تعالى :﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَـرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُـلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (ابراهيم:11)

وقال معلما محمدا ﷺ ماذا يقول لقومه:﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَـا بَشَـرٌ مِثْلُكُمْ يُـوحَى إِلَيَّ أَنَّمَـا إِلَهُكُمْ إِلَـهٌ وَاحِـدٌ فَاسْـتَقِيمُوا إِلَيْـهِ وَاسْـتَغْفِرُوهُ وَوَيْـلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ (فصلت:6)

ولهذا كان ﷺ ينهى أن يسلك معه ما سلك مع المسيح u من الغلو المؤدي إلى التأليه، فقال: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فانما أنا عبده فقولوا: عبد الله ورسوله)[1]

وقد كان ﷺ يتشرف بتلقيبه بعبد الله.. وقد ذكر له القرآن الكريم هذا اللقب في أشرف المواضع، قال تعالى :﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا ﴾ (الكهف:1)، وقال :﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ﴾ (الفرقان:1)

كان يقرأ هذه الآيات بصوته الجميل، فأجد لها من العذوبة ما لا أستطيع وصفه.

قلت: أترى أن عبادة إيزيس هي التي انتقلت إلينا، أو هي التي تحولت إليها المسيحية؟

قال: أنا لا أقول ذلك.. ولكني أقول: إن المسيحية بمعتقداتها الشركية هذه لا تختلف عن تلك العبادة.. بل لا تختلف عن عبادات أخرى قد تكون أثرت فيها.. أو هي على الأقل تدل على نزعة بشرية معينة لعبادة البشر والأبطال من البشر.

قلت: لا بأس.. دعنا من هذا.. فليس لدي الوقت لأجادلك فيه.. وحدثني عن السبب الثاني.

قال: **السبب الثاني هو تحريف الأتباع**.. لقد درست المسيحية دراسة متأنية، فوجدتها قد عزلت كتابها المقدس، واتبعت بدعا كثيرة لا علاقة لها بالكتاب المقدس.

قلت: كيف تقول هذا.. والكتاب المقدس هو الكتاب الذي نأوي إليه، ونستنبط منه، ولا نصلي إلا بترتيله والتبتل به.

قال: ليس الشأن في ذلك إنما الشأن في الاتباع لا الابتداع.

قلت: وهل وقعت البدعة في ديننا؟.. لعلك تقصد الهرطقات التي ظهرت؟

[1] () رواه البخاري.

قال: لا.. لقد نسخ دينكم نسخا كليا بالبدع.. أخبرني: أليست المسيحية هي دين المسيح؟

قلت: بلى.. وليس في ذلك شك.

قال: ما دامت المسيحية دين المسيح .. فما بال بولس؟.. ولم يأخذ النصيب الأوفر فيها؟

كان هذا السؤال صدمة كبيرة لي.. ولم يكن لي مناص من الاحتيال للإجابة عنه، فقلت: كلاهما واحد.. المسيح شمس، وبولس شعاع من أشعتها، ولابد لمن أراد أن يستنير بالشمس من التعرض لأشعتها.

قال: فإذا تناقضت الأشعة مع الشمس.

قلت: يستحيل ذلك.

قال: فقد حصل هذا بين المسيح وبولس.

قلت: أنت لم تفهم.. التناقض قد ينتج بسبب سوء الفهم.. فمع ما لبولس من الأهمية في تقرير عقائدنا وشرائعنا إلا أنه لم يدع شيئا لنفسه، بل كان أعظم المضحين لأجل المسيحية، وقد كان لتضحيته وجهوده تأثيرهما الكبير في نشر المسيحيية.. فلولا بولس لماتت المسيحية في مهدها.

ولهذا أجمعت جميع طوائف النصارى المنتشرة في جميع أنحاء العالم على أنه واحد من أهم الإنجيليين على الإطلاق.. لقد سافر إلى أماكن عدة يبشر بالنصرانية وينشرها بين غير اليهود حتى عرف بين اللاهوتيين باسم: (رسول الأمم)[1]

قال: أصحاب الدين الحق يحرصون على صفاء الدين أكثر من حرصهم على انتشاره.. ولكن حرصكم أو حرص بولس على نشر المسيحية، ولو بالتضحية بمبادئها جعل المسيحية دينا مختلفا.

قلت: لكن كلام بولس المبثوث في رسائله لا يخرج عن كلام

1() الأمم : مصطلح عرف به في الكتاب المقدس غير اليهود.

المسيح.

قال: ولم لا تقول بأنه الذي وجه الكتاب المقدس ليتفق مع آرائه؟

قلت: كيف تقول هذا.. هذا يحتاج إلى أدلة.

قـال: أنت تعلم أنـه من بين السـبعة وعشـرين سـفرا من كتـاب العهد الجديد لبولس منها أربعـة عشـر، وفيهـا فقـط تجـد العديـد من العقائد النصرانية.

ألا تعلم أن دائرة المعـارف الفرنسـية تنسـب إليـه كلا من إنجيلي مرقس ولوقا وسفر أعمال الرسل؟

ألا تعلم أن الكثـير من المفكـرين يجعلونـه مؤسـس المسـيحية وواضع عقائدها؟.. لقد كانت رسـائله أول مـا خُـط من سـطور العهـد الجديد، ولهذا جاء متناسقاً إلى حـد كبـير مـع رسـائل بـولس لا سـيما إنجيل يوحنا.

ألا تعلم أن الكنيسـة رفضـت كـل الرسـائل الـتي تتعـارض مـع مسيحية بولس التي طغت على مـا نـادى بهـا المسـيح وتلاميـذه من بعده؟

إن الأثر الذي تركه بولس في النصرانية عميق جدا.. وهذا ما دعـا الكاتب الأمريكي مايكل هارت أن يجعل بولس أحد أهم رجال التاريخ أثراً، وذلك في كتابه المعروف (المائة: تقويم لأعظم النـاس أثـرا في التاريخ)

وقد خلت قائمة مايكـل هـارت من تلاميـذ المسـيح الـذين غلبتهم دعـوة بـولس مؤسـس النصـرانية الحقيقي، فلم يعـد لهم تـأثير على المسيحيين مثله.

قلت: أنـا لا يعنيـني كـل مـا يقـول هـؤلاء.. بـل تعنيـني الكتب والأسـفار.. فهي الموضـوع الـذي يمكن أن نحقـق فيـه.. أمـا آراء الناس.. فلا يمكن الاعتماد عليها وحدها.

قال: لا بأس.. ألا ترى فرقا بين الأناجيل التي تؤرخ للمسـيح، وبين الرسائل التي خلفها بولس؟

قلت: في أي شيء ترى أنت هذا الفرق؟

قال: لا أراه وحدي.. بل يراه كل قارئ للعهد الجديد.. إن المسيح من خلال الأناجيل يركز على المبادئ الأخلاقية للمسيحية، وعلى النظرة الروحية لها، وعلى ما يتعلق بالسلوك الإنساني، وهو نفس ما لخصه القرآن الكريم في قوله تعالى :﴿ وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ (آل عمران:50)، وقوله :﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْأِنْجِيلَ فِيهِ هُدىً وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (المائدة:46)

قلت: وبولس.. بماذا جاء؟

قال: جاء بدين يختلف تماما عن الدين الذي جاء به المسيح.. سواء في العقيدة أو الشريعة.

لقد انقلب بولس انقلابا كليا على المسيح، ولم يترك للمسيح إلا تلك الهالة من الخرافات التي نسجها حوله.

قلت: لا ينبغي الحديث عن القديسين بهذا الأسلوب.. وقد أتحت لك فرص الحوار لنبحث عن الحقيقة.. أو لنبحث عن الشبه التي جعلتك ترتد عن المسيحية.. ولا آذن لك في المساس بالقديسين.

قال: لا بأس.. وأنا لا أريد أن أمسه بسوء.. ولكن لا ينبغي لمن يريد أن يبحث عن حقيقة المسيحية أن يغفل عن بولس.. فهو ركن من أركان التشويه الذي غير المسيحية تماما.

تصور لو أن بولس لم يظهر في المسيحية كيف كانت تكون؟

سكت، فقال: إن أردت الحقيقة، فالله أعظم من أن نحجب عنه بأي شخص من الناس قديسا كان أو منحرفا.. ألا ترون المسلمين كيف يدعونكم بصدق وإخلاص لدراسة نبيهم، ويضعون بين أيديكم كل الوثائق لتعرفوا الحقيقة.

هزني حديثه، فقلت: ونحن أيضا لم نمنع أحدا من دراسة كل

قديسينا، بل من دراسة المسيح.. وها هي كتبنا تنتشر بكل اللغات.

قال: فاعزل تلك القداسة التي تحجب عقلك عن الحقيقة، وتعال ندرس بولس دراسة متأنية.. فمن عرف أسرار بولس عـرف أسـرار المسيحية، ومن عرف أسرار المسيحية عـرف أسـرار الإسـلام.. فلم أر في المسيحية من يقف بينها وبين الإسلام كما يقف بولس.

قلت: لا بأس.. فلنحقق تحقيقا بوليسيا مع بولس.

قال: ما دمت قد قلت هذا، فسنتحدث عن بـولس.. فقـد درسـته دراسة متأنية، وهو ظاهرة توجد في كل الأديان.. وهي السبب الأكـبر في تحريفها..وقد أشار القـرآن الكـريم إلى هـذه الظـاهرة في قصـة السامري الذي ادعى أنه قبض من أثـر الرسـول مـا لم يقبض غـيره، واسـمح لي أن أقـرأ لـك من كتابنـا مـا يؤكـد لـك أن بـولس ليس إلا سامري المسيحية.

ثم انطلق يرتل من غير أن ينتظـر إذنـا مـني.. وقـد صـادف ذلـك هوى في نفسي، فتركته على سجيته.

قال: لقد قال تعالى يحكي قصـة السـامري، ومحاولتـه تحريـف دين الإسلام الذي جاء به موسى:﴿ وَمَا أَعْجَلَـكَ عَنْ قَوْمِـكَ يَـا مُوسَـى (83) قَالَ هُمْ أُولاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْـكَ رَبِّ لِتَرْضَـى (84) قَـالَ فَإِنَّا قَـدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمْ السَّامِرِيُّ (85) فَرَجَعَ مُوسَـى إِلَى قَوْمِـهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ يَـا قَـوْمِ أَلَمْ يَعِـدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْـداً حَسَـناً أَفَطَـالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَـأَخْلَفْتُمْ مَوْعِـدِي (86) قَـالُوا مَـا أَخْلَفْنَـا مَوْعِـدَكَ بِمَلْكِنَـا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَـا أَوْزَاراً مِنْ زِينَـةِ الْقَـوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (87) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُـوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ (88) أَفَلا يَرَوْنَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً (89) وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَـا قَـوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمْ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (90) قَـالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى (91) قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَـكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (92) أَلاَّ تَتَّبِعَنِي أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (93) قَالَ يَبْنَـؤُمَّ لا تَأْخُـذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُـولَ فَـرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْـرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (94) قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ (95) قَالَ بَصُرْتُ بِمَـا لَمْ

يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي (96) قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِداً لَنْ تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفاً (97) إِنَّمَا إِلَهُكُمْ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً (98)﴾ (طـه)

ثم قال: لو أنك استبدلت اسم السامري باسم بولس، فستجد المعنى يكاد يكون صحيحا.

قلت: ولكن بولس لم يدعنا إلى عبادة العجل.

قال: هو دعاكم إلى عبادة الخروف.. ألستم تكنون عن المسيح بالخروف[1]؟.. ألستم تذكرونه في صلواتكم أنه خروف وحمل وشاة؟

سكت، فقال: ألم يعتبر السامري موسى ناسيا قد نسي أن يعرفهم بربهم، فجاء هو ليفعل ذلك؟

ثم أجاب نفسه: نعم.. الآية صريحة في ذلك.. وهو ما فعله بولس عندما اخترع لكم عبادة المسيح.

ثم سأل: ألم يدع بولس أنه رأى ما لم تروا؟

لم أدر كيف نطقت مع أني كنت أوثر الصمت، فقلت: بلى.. لقد رأى المسيح بعد رفعه بسنوات، فبينما هو ذاهب إلى دمشق في مهمة لرؤساء الكهنة تجلى له المسيح دون القافلة التي كان يسير معها، وفي ذلك التجلي منحه منصب الرسالة.. وكان مما قاله له: (ولكن قم وقف على رجليك لأني لهذا ظهرت لك لأنتخبك خادما وشاهدا بما رأيت وبما سأظهر لك به منقذا إياك من الشعب ومن الأمم الذين أنا الآن أرسلك إليهم لتفتح عيونهم كي يرجعوا من ظلمات إلى نور ومن سلطان الشيطان إلى الله حتى ينالوا بالإيمان بي غفران الخطايا ونصيبا مع المقدسين) (أعمال 26/16-18)

---

[1]() يرد في الكتاب المقدس التعبير عن المسيح بأنه خروف ومن أمثلة ذلك رؤيا يوحنا اللاهوتي ـ والذي شكل مع بولس ثنائي التحريف في المسيحية ـ فهي مليئة بذلك منها على سبيل المثال الإصحاح 5 عدد6 ، 17 عدد14 ، 5 عدد13 ، 21 عدد22 ، 7 عدد9 ، 19 عدد 7 .

قال: هو نفس ما قال السامري، لقد قال:﴿ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴾ (طه: 96)

ثم سأل: ألم ينسخ بولس الشريعة التي لم يجرؤ المسيح على نسخها؟

سكت، فقال: بلى.. فعل ذلك.. وهو نفس ما فعله السامري.

ولكن اليهود الذين عبدوا العجل من الله عليهم إذ عاد موسى سريعا لينقذهم.. ولكنكم لا زلتم في انتظار المسيح الذي يخلصكم من السامري..

قد قال أصحاب موسى الذين عبدوا العجل :﴿ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴾ (طه: 91).. وهو نفس ما تقولون.. فكم من الأجيال ستبقى على الضلالة حتى ينزل المسيح.

كسرت حجاب الصمت، فقلت: دعنا من مقارناتك.. نريد أن نعرف شخصية بولس من خلال الكتاب المقدس لا من خلال كتاب محمد.. فلو كنت أؤمن به ما جلست معك هذا المجلس.

قال: لا بأس.. أجبني هل كان بولس من الحواريين الإثني عشر؟

قلت: لا.. لم يكن بولس من صحابة المسيح.

قال: لم يكن من صحابة المسيح.. ولم يكن شاهداً على أحداث بعثته، ولكنه مع ذلك تمكن بمفرده من تأسيس المسيحية، بل إن المسيحية اليوم تنسب إليه، فيقال: مسيحية بولس.

قلت: لا يهم كل ذلك، فالفضل للصدق لا للسبق.

قال: لا بأس سنعود للكتاب المقدس لنعرف منه مدى صدق بولس.

هزني كلامه.. فبولس يعطي صورة سيئة عن نفسه في الكتاب المقدس، ومع ذلك تمنيت أن أسمع منه هو ما لم أطق أن أصرح به أنا.

قال: أنت تعرف جيدا ماضي بولس ... لقد كـان أول ذكـر لبـولس في علاقته بالمسيحية، هـو شـهوده محاكمـة وقتـل إسـتفانوس أحـد تلاميذ المسيح، وكان ذلك حوالي عام 37 م، وبـولس يـذكر أنـه كـان راضياً عن قتله، كما جاء في سفر الأعمال:(وأخرجوه خـارج المدينـة ورجموه. والشهود خلعـوا ثيـابهم عنـد رجلي شـاب يقـال لـه شـاول. فكانوا يرجمون استفانوس وهو يدعو ويقول: (أيها الرب يسـوع اقبـل روحي). ثم جثا على ركبتيه وصرخ بصوت عظيم :(يا رب لا تقم لهم هذه الخطية. وإذ قال هذا رقـد. وكـان شـاول راضـيا بقتلـه) (اعمـال 8/1-7/58)

ثم ظـل يهوديـا معاديـا للمسـيحية، بـل كـان يشـارك في تعـذيب المسيحيين الأوائل؛ كما جاء في سـفر الأعمـال عن اضـطهاد بـولس للكنيسة :(وأما شاول فكان يسطو على الكنيسة وهو يـدخل الـبيوت ويجر رجالا ونساء ويسلمهم إلى السجن) (أعمال: 8/3)

قلت: لا حـرج في هـذا.. فيمكن للشـخص أن يتحـول من أعـدى الأعداء إلى أصدق الأصدقاء.

قال: أنا لا أحجر عليه هذا.. ولكـني أتعجب كمـا يتعجب الكـل من تحول هذا العدو اللدود للمسيح فجأة.. لا إلى نصير للمسيح.. بـل إلى رسول.. بل إلى منظر للمسيحية.

إن سفر الأعمال يذكر هذا التحول المفاجئ لبولس، وانقلابـه دون مقدمات تقدمت هذا الإنتقال ولا تمهيدات مهدت له.

قلت: لا.. بل كانت هناك مقدمات..

قال: لا بأس.. فلنقبل كل هذا.. ولنعتبره صادقا في دعواه.. ولكن كيف يصبح هذا في لحظة واحدة هو منظر المسـيحية الأول.. ويصـبح كلامه بعد ذلك كلاما ملهما معصوما ينسخ كلام المسيح نفسه.

قلت: لا مانع من ذلـك.. ففضـل اللـه إذا تجلى لشـيء حولـه من حال إلى حال..

قال: هكذا أنتم معشـر المسـيحيين.. لا هم لكم إلا الغلـو.. غلـوتم في المسيح، فحولتموه إلها.. وغلوتم في بولس ـ الذي هو في أحسن

الأحوال تائب تاب الله عليه ـ فلم تجعلـوه وليـا، بـل جعلتمـوه رسـولا ملهما.

أخبرني.. أكل رسائله وحي يوحى، وإلهام مقدس؟

لم أملك إلا أن أجيب بالإيجاب، مع أني أعلم أن فيها لغوا كثــيرا لا علاقة له بالكتاب المقدس.

قال: ألم تقرأ ما قال في رسالته الثانية إلي صديقه تيموثـاوس (4: 9).. فقد قال له :(بادر أن تأتي إلي سريعا، لأن ديماس، إذ أحب الحياة الحاضرة، تركني وذهب إلى مدينة تسالونيكي. أما كريسكيس، فقد ذهب إلى مقاطعة غلاطية، وتيطس إلى دلماطيـة ولم يبـق معي إلا لوقا وحده خذ مرقس وأحضره معك، فهو ينفعني في الخدمة. أما تيخيكس، فقد أرسلته إلى مدينة أفسس. وعندما تجيء، أحضر معـك ردائي الذي تركته عند كـاربس في تـرواس، وكـذلك كتـبي، وبخاصـة الرقوق المخطوطة)؟

إن هـذا الكلام مجـرد رسـالة شخصـية تتعلـق بطلب بـولس من صديقه الحضور سريعا، وتتعلق برداءه الشخصي.. أي عاقل يعتبر هذا الكلام وحيا من رب العالمين!؟

سكت، فقال: ألم تقرأ رسالته لصديقه تيطس (تي 3: 12) حينما قال له:(حالما أرسل إليك أرتماس أو تيخيكس، اجتهد أن تـأتيني إلى مدينة نيكوبوليس، لأني قررت أن أشـتي هناك)

هـل يمكن أن يصـبح قـرار بـولس أن يشـتي في المكـان الفلاني وحي من عند رب العالمين!؟

سـكت، فقـال: ألم تقـرأ مـا ورد في رسـالته الثانيـة إلى صـديقه تيموثاوس (4: 19)، فقد جاء فيها :(سلم على برسكا وأكيلا، وعائلة أونيسيفورس. أراستس مازال في مدينة كورنثوس. أما تروفيمـوس، فقـد تركتـه في ميليتس مريضـا. اجتهـد أن تجيء إلي قبـل حلـول الشتاء.يسلم عليك إيوبـولس، وبـوديس، ولينـوس، وكلوديـا، والإخـوة جميعا)

فهل أصبح سلام الشخص على شـخص وإخبـاره أن فلانـا مريضـاً

وفلانا بقي في المكان الفلاني وحياً من الله جل في علاه؟

سكت، فقال: إن هذه النصوص وغيرها تؤكد أن رسائل بولس ليست وحيا من الله، إنما هي رسائل متبادلة أدخلت في الكتاب المقدس لتصير وحياً

قلت: إن المفسرين من القديسين يفهمون من هذه الرسائل رموزا لست تفهمها أنت ولا أنا.. إنها رموز مقدسة.

قال: فما فائدة الكتاب المقدس إذن إذا صار رموزا لا يفهمها كل من له طاقة الفهم؟

ومع ذلك.. لا بأس.. وقد تمنيت أن تكون رسائل بولس كلها من هذا النوع.. لأنها لن تضر أحدا.. بل قد تدلنا على نوع الحياة الاجتماعية التي كان يحياها بولس، ويحياها أتباع المسيح.. ولكن الخطر فيما بث فيها من عقائد وسلوك.

قلت: وهل عقائد بولس تختلف عن عقائد المسيح؟

قال: لا شك أن مبادئ اللاهوت تستمد من بولس، لقد قال بعضهم في هذا :(المسيح لم يبشر بشيء من هذا الذي قاله بولس الذي يعتبر المسؤول الأول عن تأليه المسيح)

قلت: إن نصوص الكتاب المقدس تمتلئ بما يدل على تأليه المسيح.. ولذلك لا حاجة لبولس ليبين لنا هذا.

قال: لا بأس.. ربما يكون ذلك صحيحا.. لكن أجبني: ما موقف المسيح حسب الكتاب الأناجيل من الناموس[1]؟

قلت: لقد ورد في إنجيل متى :(لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل. فإني الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل)(متى 5/17-18)

قال: أليس هذا النص صريحا في أن المسيح لا ينقض الأحكام

1() كلمة أرامية تعني الشريعة.

الواردة في التوراة، ولا نبوءة من سبقوه من الأنبياء.

قلت: بلى.. هو صريح في ذلك.

قال: ولكن بولس يخالف المسيح في هذا.. ألم تقرأ قولـه ــ وهـو يلقي اللائمة على الناموس ـ :(فماذا نقـول؟ هـل النـاموس خطيـة؟ حاشا! بل لم أعرف الخطية إلا بالناموس، فـإنني لم أعـرف الشـهوة لـو لم يقـل النـاموس (لا تشـته) ولكن الخطيـة وهي متخـذة فرصـة بالوصية أنشأت في كل شهوة، لأن بدون الناموس الخطية ميتـة. أمـا أنا فكنت بدون الناموس عائشا قبلا. ولكن لما جاءت الوصية عاشـت الخطية فمت أنا)(رومية 7/7-9)، فهل خلق اللـه تعـالى جسـده بلا شهوة، ثم عرفها عندما قرأ في الناموس؟

سـكت، فقـال: ألم تقـرأ قولـه وهـو يـبين سـر عـدم اهتمامـه بالناموس:(لأن جميع الذين هم من أعمـال النـاموس هم تحت لعنـة، لأنه مكتـوب (ملعـون كـل من لا يثبت في جميـع مـا هـو مكتـوب في كتاب الناموس ليعمل به) ولكن أن ليس أحد يتبرر بالناموس عند الله فظاهر، لأن (البار بالإيمان يحيا). ولكن الناموس ليس من الإيمان، بل (الإنسان الذي يفعلها سيحيا بها)(غلاطية 3/10-12)

ألهذه الدرجة صار الإيمان بالكتاب ومباشرة الأعمال الصالحة في عرف بولس لعنة؟

سـكت، فقـال: ليس هـذا فقـط.. كـل هـذا مجـرد تمهيـد لنقض الناموس الذي لم يتجرأ المسيح على نقضه.

لقد مهد بولس بكل ذلك لقضية كان يرمي إليهـا.. كـان يـرمي أن يوصل مستمعيه إلى أن كـل مـا يفعلونـه خطيئـة ولعنـة وحـرام، ولن يتبرروا بـه، بـل لن تكـون لهم حيـاة كريمـة على الإطلاق إلا بالإيمـان المجرد عن الناموس، واسمع إليه، وهو يقول :(إذ نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال النـاموس، بـل بإيمـان يسـوع المسـيح، آمنـا نحن أيضـا بيسوع المسيح، لنتبرر بإيمان يسوع لا بأعمال الناموس. لأنه بأعمـال الناموس لا يتبرر جسد ما) (غلاطية 2/16)

ولم تكن هذه مجرد دعوة، بـل إنـه شـن حملـة في بدايـة دعوتـه

على الختان باعتباره من الناموس، واسمع إليه، وهو يقول لأهل روما :(فـإن الختـان ينفـع إن عملت بالنـاموس. ولكن إن كنت متعـديا الناموس فقد صـار ختانـك غرلـة! إذا إن كـان الأغـرل يحفـظ أحكـام الناموس أفما تحسب غرلته ختانا؟ وتكـون الغرلـة الـتي من الطبيعـة وهي تكمـل النـاموس تـدينك أنت الـذي في الكتـاب والختـان تتعـدى الناموس؟ لأن اليهودي في الظاهر ليس هـو يهوديـا ولا الختـان الـذي في الظاهر في اللحم ختانا بل اليهودي في الخفاء هو اليهودي وختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان الـذي مدحـه ليس من النـاس بـل من الله)(رومية 2/25-29)

أتـرى أن هـذه التفرقـة بين الغرلـة والختـان وردت بـالتوراة أو الأناجيل الأربعة؟

قلت: لقد كان بولس يريد بهذا استمالة الرومـان الغلـف الـذين لا يريدون الدخول في الديانة خوفا من الختان.

قال: وهنا مبدأ التحريف.. لقد وجدت أن سر التحريف الذي وقـع في المسيحية كما وقع في غيرهـا هـو محاولـة اسـتمالة المخـالفين.. فالأمر عند بولس بدأ بالختـان ونقض النـاموس لكنـه انتهى إلى نقض الإيمان نفسه، وتحريف الإيمان نفسه.

بل إن بولس يصرح بهذا.. إنه يصرح بأنه كان يقصد استمالة أهـل الأديان المختلفة، ولو بالتخلي عما يتطلبه دينه.. اسمع إليه، وهو يقول :(فـإني إذ كنت حـرا من الجميـع اسـتعبدت نفسـي للجميـع لأربح الأكثرين. فصرت لليهود كيهودي لأربح اليهـود وللـذين تحت النـاموس كأني تحت النـاموس لأربح الـذين تحت النـاموس وللـذين بلا نـاموس كأني بلا نـاموس - مـع أني لسـت بلا نـاموس للـه بـل تحت نـاموس للمسـيح - لأربح الـذين بلا نـاموس. صـرت للضـعفاء كضـعيف لأربح الضعفاء. صرت للكل كل شيء لأخلص على كل حال قوما. وهـذا أنـا أفعله لأجل الإنجيل لأكون شريكا فيه) (كورنثوس 9/19-23)

بـل هـو يقـول :(فليكن. أنـا لم أثقـل عليكم. لكن إذ كنت محتـالا أخـذتكم بمكـر) (كورنثـوس 12/16)، فهـا هـو يجـيز لنفسـه الكـذب والإحتيال لكي يأخذ الناس في دعوته.

قلت: أنت لا تعرف سر هـذا.. فالنـاموس عنـدنا نوعـان: نـاموس الفـرائض: وهـو الخـاص بعلاقـة الإنسـان مـع اللـه، وتنظمهـا حسـب معتقداتنا: الذبائح الخمسة وهي ذبيحة المحرقـة (لاويين 1)، وذبيحـة الخطيئة (لاويين 4)، وذبيحة الإثم (لاويين 5)، وذبيحة السلام (لاويين 3)، وتقدمة الدقيق(لاويين 2)

والناموس الثاني: نـاموس الأخلاق: وهـو الـذي ينظم العلاقـة بين الإنسان وأخيه الإنسان، وتنظمها الوصايا العشـرة (خـروج 20)، ومـا تبعها من وصايا أخلاقية تتعلق بعلاقة الإنسان بأخيه (لاويين).

وقد قلنا بإبطال ناموس الفرائض لأن المسيح قـدم نفسـه ذبيحـة عن البشر أجمعين، فلا يقـدم بعـده ذبيحـة، في حين لم يبطـل النـوع الثاني من الناموس.

قـال: ولكن المسـيح صـرح أنـه لم يـأت لنقض حـرف واحـد من الناموس.

قلت: ألم تقرأ ما ورد في الإصحاح الثاني عشر من إنجيل متى :(في ذلك الوقت ذهب يسـوع في السـبت بين الـزروع فجـاع تلاميـذه وابتدأوا يقطفون سنابل ويأكلون. فالفريسيون لمـا نظـروا قـالوا لـه: (هوذا تلاميذك يفعلون ما لا يحل فعله في السـبت!) فقـال لهم: (أمـا قرأتم ما فعله داود حين جـاع هـو والـذين معـه كيـف دخـل بيت اللـه وأكل خبز التقدمة الذي لم يحل أكلـه لـه ولا للـذين معـه بـل للكهنـة فقـط؟ أو مـا قـرأتم في التـوراة أن الكهنـة في السـبت في الهيكـل يدنسون السبت وهم أبرياء؟ أقول لكم: إن ههنـا أعظم من الهيكـل! فلو علمتم ما هو: إني أريد رحمة لا ذبيحـة لمـا حكمتم على الأبريـاء! فإن ابن الإنسان هو رب السبت أيضا)(متى 12/1-8)؟

قال: لا يفهم من هـذا النص أن المسـيح نقض النـاموس.. بـل إن المسيح رأى اليهود قد بالغوا في تنفيذ الوصايا دون أن يلـتزموا بـروح النص، بحيث أنهم لا يأكون إذا جاعوا يوم السبت.. أو إذا سقطت من أحد اليهود بهيمة في ترعة يوم السبت لا ينقذها.. أو زلت قدم الدابـة وانكسرت في يوم السبت لا يـداويها.. وهـذا كلـه دون مراعـاة بـاقي الفرائض والوصايا.. وهذا ما أراده بقوله :(إني أريـد رحمـة لا ذبيحـة)

ولا يفهم منها أنه ينقض ناموس الفرائض.

سكت، لعلمي بصدقه فيما قال، فعقب يقول: أتدري أثر هذه البدعة في أتباع المسيحية بمختلف فرقهم؟

سكت فواصل يقول: لقد قال مارتن لوثر :(إن الإنجيل لا يطلب منا الأعمال لأجل تبريرنا، بل بعكس ذلك، إنه يرفض أعمالنا.. إنه لكي تظهر فينا قوة التبرير يلزم أن تعظم آثامنا جدا، وأن تكثر عددها)

ويقول في شرحه ليوحنا (3/16) :(أما أنا فأقول لكم إذا كان الطريق المؤدي إلى السماء ضيقا وجب على من رام الدخول فيه أن يكون نحيلا رقيقا.. فإذا ما سرت فيه حاملا أعدالا مملوءة أعمالا صالحة، فدونك أن تلقيها عنك قبل دخولك فيه، وإلا لامتنع عليك الدخول بالباب الضيق.. إن الذين نراهم حاملين الأعمال الصالحة هم أشبه بالسلاحف، فإنهم أجانب عن الكتاب المقدس. وأصحاب القديس يعقوب الرسول، فمثل هؤلاء لا يدخلون أبدا)

ويرد عندما سئل عن حقيقة الإيمان فيقول :(إن السيد المسيح كي يعتق الإنسان من حفظ الشريعة الإلهية قد تممها هو بنفسه باسمه، ولا يبقى على الإنسان بعد ذلك إلا أن يتخذ لنفسه، وينسب إلى ذاته تتميم هذه الشريعة بواسطة الإيمان، ونتيجة هذا التعليم هو أن لا لزوم لحفظ الشريعة، ولا للأعمال الصالحة)[1]

ليس هذا فقط.. بل أصبح هم القديسين والمبشرين الدعوة إلى الخطيئة والتحلل من الدين:

يقول ميلا نكتون في كتابه (الأماكن اللاهوتية):(إن كنت سارقا أو زانيا أو فاسقا لا تهتم بذلك، عليك فقط أن لا تنسى أن الله هو شيخ كثير الطيبة، وأنه قد سبق وغفر لك خطاياك قبل أن تخطئ بزمن مديد)

ويقول القس لبيب ميخائيل :(الأعمال الصالحة حينما تؤدى بقصد الخلاص من عقاب الخطيئة تعتبر إهانة كبرى لذات الله، إذ أنها دليل

1() هل افتدانا المسيح على الصليب ؟ منقذ محمود السقار، ص 125.

على اعتقاد من يقوم بها، بأن في قدرته إزالة الإساءة التي أحدثتها الخطيئة في قلب الله عن طريق عمل الصالحات.. وكأن قلب الله لا يتحرك بالحنان إلا بأعمال الإنسان، وياله من فكر شرير ومهين)[1]

قلت: لا بأس.. فلنعتبر الأمر كما ذكرت.. فما السبب الثالث؟

قال: **السبب الثالث هو تسلط الحكام من الملوك والأباطرة**.. ألا تعلم أن الملوك والحكام لا يدخلون شيئا إلا أفسدوه، كما قال تعالى :﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ (النمل:34)

قلت: وما علاقة الدين بالملوك.. لقد كان المسيح منزها عن التقرب للملوك.

قال: كان المسيح منزها.. ولكن الرجال الذين وكل إليهم حفظ صفاء المسيحية راحوا يعبثون بها إرضاء لأهواء الحكام.

قلت: هذا الكلام خطير يحتاج إلى إثبات.

قال: اصبر علي.. وسأذكر لك القصة من أولها كما أثبتها المؤرخون.. بل كما تثبتونها أنتم أنفسكم.

أولا.. أنت تعلم أن عقيدة الثالوث لم تدخل إلى المسيحية إلا في القرن الرابع الميلادي، حيث تشكلت هذه النظرية بواسطة (أثاناسيوس) وهو راهب مصري من الإسكندرية.

وقد تمت الموافقة عليها في المجامع المسكونية الأول والثاني، وتشهد دائرة المعارف الفرنسية بأقوال قدماء المؤرخين على ذلك، فيقول جوستن مارستر، وهو مؤرخ لاتيني من القرن الثاني :(إنه كان في زمنه في الكنيسة مؤمنون يعتقدون أن عيسى هو المسيح، ويعتبرونه إنساناً بحتاً، وإن كان أرقى من غيره من الناس، وحدث بعد ذلك أنه كلما نما عدد من تنصر من الوثنيين ؛ ظهرت عقائد جديدة لم تكن من قبل)[2]

فقد كان المسيحيون الأوائل موحدين، وكانت تلك هي تعاليم

---

[1] المسيح بين الحقائق والأوهام - محمد وصفي ،ص 67.

المسيح وتلاميذه، ولكن بولس ـ الذي عرفنا أنه أدخل إلى النصرانية معظم العقائد ـ نادى أولاً بألوهية المسيح، وعارض تلاميذ المسيح ومضى في ترويج أفكاره لأطماع توسعية أرادها.

ويصف بعض المعاصرين لذلك العهد الدور الهام الذي لعبه قسطنطين في تاريخ الكنيسة حين أنشأ (مجمع نيقية) لمعالجة الانقسام الداخلي في الكنيسة، وذلك في عام 325م.. أي بعد المسيح بثلاثمائة سنة.. فقد عمل هذا المجمع على إنشاء (عقيدة نيقية) التي أصبحت فيما بعد (المذهب الأرثوذكسي) للكنسية..

ففي هذا المجمع اجتمع الأساقفة والبطارقة من شتى الديار ثلاث مرات في زمن قسطنطين، وعدة مرات بعد ذلك، وقرروا ما سموه بالأمانة التي صرّحوا فيها بتثليثهم، ولعن كل من يخالفهم، خصوصاً منهم من كانوا يقولون بعقيدة التوحيد؛ ويبرؤون من ألوهية المسيح، ويقولون بأنه عبد الله ورسوله..

سكت قليلا، ثم قال: إن شئت التأكد من هذا، فاقرأ كتاب (تاريخ الأمة القبطية)، و(نُظُم الجوهر) الذي ألفه ابن البطريق، وحكى فيه تاريخ المجامع.. وهو مسيحي طبعاً.. وكتاب (الروح القدس في محكمة التاريخ) لروبرت كيل تسلر.. فقد ذكر هؤلاء جميعا أن الامبراطور قسطنطين كان يعلق أهمية كبيرة على تحقيق السلام وتكوين كنيسة واحدة بقدر الإمكان في إمبراطورية واحدة.

لذلك فقد كان ينتقي الأساقفة المنوط بهم الإشتراك في المجمع.. لأنه طوال سنوات كثيرة كان هناك مقاومة - على أساس الكتاب المقدس - للفكرة القائلة أن يسوع هو الله، وفي محاولة لحل الجدال دعا قسطنطين الامبراطور الروماني جميع الأساقفة إلى نيقية ..

بالطبع، لم يكن قسطنطين حينذاك مسيحيا، بل تم تعميده كمسيحي في أواخر حياته.. ولم يتعمد حتى صار على فراش الموت، وعنه يقول هنري تشادويك في كتاب (الكنيسة الباكرة): (كان

2() انظر دائرة معارف القرن العشرين،محمد فريد وجدي.(10/202).نقلاً عن النصرانية من التوحيد إلى التثليث.د/محمد أحمد الحاج.ص(225)

قسطنطين، كأبيه يعبد الشمس التي لا تقهر واهتداؤه لا يجب أن يفسر أنه اختبار داخلي للنعمة.. لقد كان قضية عسكرية، وفهمه للعقيدة المسيحية لم يكن قط واضحا جدا، ولكنه كان على يقين من أن الانتصار في المعركة يكمن في هبة إله المسيحين)

ومن الثابت تاريخيا أن قسطنطين قد أدار المؤتمر بصورة واقعية، فقد كان يشعر، بل ويتصرف كرئيس للمجمع.. فكان يأمر الأساقفة بما يجب عمله وما يجب تركه، وقد أعلن في مناسبة أخرى مؤكداً: (إني أرغب في قانون كنسي)

وقد قبلت الكنيسة كل هذا صاغرة، لذلك أصبح القيصر أسقفها العام (الدولي) المعترف به.. ولم يكن غير قسطنطين الذي أدخل ما تعارف عليه بصيغة (هومسيوس) الشهيرة في قرارات مجمع نيقية وفرضها على الأساقفة المعارضين بإستعمال سطوته

وبالمناسبة فهو لم يكن له تأثير فعّال وغير مباشر فقط على تكوين العقيدة، بل كان أيضاً يصوت معهم.

وكما كانت الكنيسة إحدى مؤسسات الدولة أصبحت أيضاً قرارات المجامع وعلى الأخص البنود التي تخص العقيدة والتي رفعها قسطنطين إلى مرتبة القوانين التي تصدرها الدولة، وبالتالي أصبح لها نفس الصورة الإلزامية للمفهوم القانوني العام.. فأصبحت بعد ذلك ملزمة لكل الرعية.

وكذلك تحولت قرارات المجامع الأربعة المسكونية الأخرى بهذه الطريقة إلى قوانين عامة.

قلت: سلمت لهذا، فحدثني عن **السبب الرابع**[1].

قال: السبب الرابع هو هجر المحكمات، واتباع المتشابهات.

المحكم

قلت: ما تريد بالمحكمات؟

[1] خصصناه بالمطلبين التاليين لأهميته.

قال: هي النصوص المقدسة الـتي ينطـق فيهـا الكتـاب المقـدس بوحدانية الله.

قلت: أراك تريد الحديث في أمر لا تملك عليه أي أدلة.. فما كـان لكل كنائس العالم، ولكل رجال الدين الذين تمتلئ بهم تلك الكنـائس أن يغفلوا عن مثل هذه النصوص لتفهمها أنت وثلة قليلة ممن معك.

قـال: لا بـأس.. فلنكن صـادقين مـع أنفسـنا.. ولنفتح الكتـاب المقدس لنسمعه، وهو يصيح فينـا بالتوحيـد الخـالص.. التوحيـد الـذي جاء به جميع الأنبياء.

قلت: أنا مستعد لسماعك، فتحدث كما شئت.

قـال: بـورك فيـك.. فقـد رأيت فيـك من حسـن الاسـتماع مـا لم أعهده في سائر من تحدثت معهم من رجال الدين.

كان الرجل يتصور أني أحاكمـه مـع أني في الحقيقـة كنت تلميـذا بسيطا بين يديه يحاول أن ينهل من أشعة محمد التي فاضت عليه.

قـال: لقـد اسـتقرأت جميـع النصـوص الـتي تنفي الطبيعـة الـتي تزعمونها للمسيح، فوجدت أنها تدور على تقرير حقيقتين كبيرتين:

الأولى أن المسـيح عبـد للـه.. وأنـه نـال شـرفه العظيم بهـذه العبودية.. وقد رأيت أن كل ما تنسبونه للمسـيح من طبيعـة هـو نـاتج عن سوء فهمكم لعظمة العبودية.

وقد ذكر القـرآن الكـريم هـذه الحقيقـة عن المسـيح في مواضـع كثيرة، فقـال :﴿ لَنْ يَسْـتَنْكِفَ الْمَسِـيحُ أَنْ يَكُـونَ عَبْـداً لِلَّهِ وَلا الْمَلائِكَـةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً ﴾ (النساء:172)، وقال:﴿ لَقَدْ كَفَـرَ الَّذِينَ قَـالُوا إِنَّ اللَّهَ هُـوَ الْمَسِـيحُ ابْنُ مَـرْيَمَ وَقَـالَ الْمَسِـيحُ يَـا بَنِي إِسْـرائيلَ اعْبُـدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَـدْ حَـرَّمَ اللَّهُ عَلَيْـهِ الْجَنَّةَ وَمَـأْوَاهُ النَّارُ وَمَـا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ (المائدة:72)

ولأجل هذا كان أول ما نطق به المسيح هو تقريـره لعبوديتـه للـه، كما قال تعالى مخبرا عن نطقه في المهد :﴿ قَالَ إِنِّي عَبْـدُ اللَّهِ آتَـانِيَ

الْكِتَـابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّـاً وَجَعَلَنِي مُبَارَكـاً أَيْنَ مَـا كُنْتُ وَأَوْصَـانِي بِالصَّـلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً ﴾ (مريم:30 ـ 31)

وقد أخبر الله تعالى عن شهادته في الموقف يوم القيامـة، فقـال على لسانه :﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَـرْتَنِي بِـهِ أَنِ اعْبُـدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (المائدة:117)

وأما الحقيقة الثانية، فهي حقوق إنسانية المسيح التي تتجلى في طبيعتـه البشـرية، ومـا تقتضـيه هـذه الطبيعـة من سـلوك، قـال تعالى :﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَـا يَـأْكُلانِ الطَّعَـامَ انْظُـرْ كَيْـفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَـاتِ ثُمَّ انْظُـرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (المائدة:75)

كـان لقراءتـه تأثيرهـا العظيم في نفسـي.. فالكلمـات واضـحة.. والمعاني واضحة تمتلئ بهـا النفس والـروح والعقـل.. ولكن كبريـائي كانت تحول بيني وبين الاستماع الحقيقي المؤدي إلى الإذعان.

كتمت دموعا حارة في عيني، وتظاهرت ببعض القـوة، وقلت لـه: لـو كنت أؤمن بكتـاب محمـد مـا جلسـت معـك هـذا المجلس.. لقـد زعمت لي بأن الكتاب المقدس يحوي هذه الحقائق، فأين هي منه؟

قال: سأذكر لك ثلاث حقائق في الكتاب المقدس.. ومن الأسـفار التي تؤمنون بها.

وحدانية الله:

قلت: فهات أولها.

قال: لقد نص الكتاب المقـدس في نصـوص كثـيرة على وحدانيـة الله:

ففي سـفر (التثنيـة 6:ـ 4-9) ورد هـذا النص:(اسْـمَعُوا يَـا بَنِي إِسْرَائِيلَ: الـرَّبُّ إِلَهُنَـا رَبٌّ وَاحِـدٌ، فَـأَحِبُّوا الـرَّبَّ إِلَهَكُمْ مِنْ كُـلِّ قُلُـوبِكُمْ وَنُفُوسِكُمْ وَقوَّتِكُمْ. وَضَعُوا هَذِهِ الكَلِمَاتِ التِي أُوصِيكُمْ بِهَا عَلَى قُلُوبِكُمْ، وَقُصُّـوهَا عَلَى أَوْلاَدِكُمْ، وَتَحَـدَّثُوا بِهَـا حِينَ تَجْلِسُـونَ فِي بُيُـوتِكُمْ، وَحِينَ

تَسِيرُونَ فِي الطَّرِيقِ، وَحِينَ تَنَـامُونَ، وَحِينَ تَنْهَضُـونَ. ارْبُطُوهَـا عَلاَمَـةً عَلَى أَيْدِيكُمْ، وَاجْعَلُوهَا عَصَائِبَ عَلَى جِبَاهِكُمْ. اكْتُبُوهَا عَلَى قَوَائِمِ أَبْـوَابِ بُيُوتِكُمْ وَبَوَّابَاتِ مُدُنِكُمْ)

وفي (مرقس 12:ـ 28-30): (وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ وَاحِدٌ مِنَ الكَتَبَةِ كَانَ قَـدْ سَمِعَهُمْ يَتَجَادَلُونَ، وَرَأَى أَنَّهُ أَحْسَنَ الرَّدَّ عَلَيْهِمْ، فَسَـأَلَهُ: (أَيَّةُ وَصِـيَّةٍ هِيَ أُولَى الوَصَايَا جَمِيعاً؟) فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: (أُولَى الوَصَايَا جَمِيعاً هِيَ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ، الرَّبّ إِلَهُنَـا رَبٌّ وَاحِـدٌ فَـأَحِبَّ الـرَّبّ إِلَهَـكَ بِكُـلِّ قَلبِـكَ وَبِكُـلِّ نَفْسِكَ وَبِكُلِّ فِكْرِكَ وَبِكُلِّ قُوَّتِكَ. هَذِهِ هِيَ الوَصِيَّةُ الأُولَى)

وفي الرِّسَالَةُ إِلَى مُـؤْمِنِي رُومَـا (8:ـ 1-5): (فَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يَعْـرِفُ شَيْئاً، فَهُوَ لاَ يَعْرِفُ شَيْئاً بَعْدُ حَقَّ المَعْرِفَةِ. أَمَّا الذِي يُحِبُّ الله، فَإِنَّ الله يَعْرِفُهُ. فَفِيمَا يَخُصُّ الأَكْلَ مِنْ ذَبَائِحِ الأَصْـنَامِ، نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ الصَّـنَمَ لَيْسَ بِإِلهٍ مَوْجُودٍ فِي الكَوْنِ، وَأَنَّهُ لاَ وُجُودَ إِلاَّ لإِلهٍ وَاحِدٍ. حَتَّى لَـوْ كَـانَتِ الآلِهَـةُ المَزْعُومَـةُ مَوْجُـودَةً فِي السَّـمَاءِ أَوْ عَلَى الأَرْضِ وَمَـا أَكْثَـرَ تِلـكَ الآلِهَـةَ وَالأَرْبَابَ!)

وفي (كورنثـوس 12:ـ 5-8): (وَلكِنَّ الـرَّبّ وَاحِـدٌ. وَأَنْـوَاعُ أَعْمَـال مَوْجُودَةٌ، وَلكِنَّ اللهَ وَاحِدٌ، الذِي يَعْمَلُ الكُل فِي الكُلِّ. وَلكِنَّهُ لِكُلِّ وَاحِــدٍ يُعْطَى إِظْهَـارُ الـرُّوحِ لِلمَنْفَعَـةِ. فَإِنَّهُ لِوَاحِـدٍ يُعْطَى بِـالرُّوحِ كَلاَمُ حِكْمَـةٍ، وَلآخَرَ كَلاَمُ عِلمٍ بِحَسَبِ الرُّوحِ الوَاحِدِ)

وفي (نحميا 9:ـ 5-7): (قُومُوا وَبَـارِكُوا الـرَّبّ إِلَهَكُمْ مِنَ الأَزَلِ إِلَى الأَبَدِ، وَلِيَتَبَارَكِ اسْـمُكَ المَجِيـدُ المُتَعَـالِي فَـوْقَ كُـلِّ بَرَكَـةٍ وَتَسْـبِيحٍ. أَنْتَ وَحْدَكَ هُوَ الرب. أَنْتَ صَانِعُ السَّمَاوَاتِ وَسَمَاءِ السَّمَاوَاتِ، وُكُلِّ كَوَاكِبِهَا، وَالأَرْضِ وَجَمِيعِ مَا عَلَيْهَا، وَالبِحَارِ وَكُلِّ مَـا فِيهَـا. أَنْتَ تُحْيِيهَـا، وُكُـلُّ جُنْـدِ السَّمَاءِ يَسْجُدُونَ لَكَ)

وفي (الملوك الثاني 19:ـ 15-19): (وَصَلى قَائِلاً: (أَيُّهَا الـرَّبّ إِلَـهُ إِسْرَائِيلَ، المُتَرَبِّعُ فَوْقَ الكَرُوبِيمَ، أَنْتَ وَحْدَكَ إِلَهُ كُلِّ مَمَالِكِ الأَرْضِ. أَنْتَ وَحْـدَكَ خَلَقْتَ السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضَ. أَرْهِـفْ يَـارَبُّ أُذُنَيْـكَ وَاسْـتَمِعْ. افْتَحْ يَارَبُّ عَيْنَيْكَ وَانْظُرْ، وَاسْمَعْ كُل تَهْدِيـدَاتِ سَـنْحَارِيبَ التِي أَرْسَـلَهَا لِيُعَيِّرَ الله الحَيَّ. حَقّاً يَارَبُّ إِنَّ مُلُوكَ أَشُّورَ قَـدْ أَهْلَكُـوا الأُمَمَ وَدَمَّرُوا دِيَـارَهُمْ، وَطَرَحُـوا آلِهَتَهُمْ إِلَى النَّارِ وَأَبَادُوهَـا لأَنَّهَـا لَيْسَـتْ فِعْلاً آلِهَـةً بَـل خَشَـباً

وَحِجَارَةً مِنْ صَنْعَةِ أَيْدِي النَّاسِ، فَخَلِّصْنَا الآنَ أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهُنَا مِنْ يَدِهِ، فَتُدْرِكَ مَمَالِكُ الأَرْضِ بِأَسْرِهَا أَنَّكَ أَنْتَ وَحْدَكَ الرَّبُّ الإِلَهُ)

وفي (رسالة يوحنا 15:ـ 3-4): (عَظِيمَةٌ وَعَجِيبَةٌ هِيَ أَعْمَالُكَ أَيُّهَا الرَّبُّ الإِلَهُ القَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. عَادِلَةٌ وَحَقٌّ هِيَ طُرُقُكَ يَا مَلِكَ القِدِّيسِينَ. مَنْ لاَ يَخَافُكَ يَا رَبُّ وَيُمَجِّدُ اسْمَكَ، لأَنَّكَ وَحْدَكَ قُدُّوسٌ، لأَنَّ جَمِيعَ الأُمَمِ سَيَأْتُونَ وَيَسْجُدُونَ أَمَامَكَ، لأَنَّ أَحْكَامَكَ قَدْ أُظْهِرَتْ)

وفي (إشعياء /44: 24) (أنا الرب صانع كل شيء)

وفيه (إشعياء /45: 5):(أنا الرب وليس آخر. لا إله سواي)

وفيه (إشعياء /46: 9)(لأني أنا الله وليس آخر.الإله وليس مثلي)

وفي سفر (هوشع /13: 4)(وإلهاً سواي لست تعرف)

وفي سفر (حبقوق /1:ـ 12)(ألست أنت منذ الأزل يا ربُّ إلهي قدوسي لا تموت)

وفي (متى /4: 10) من أقوال المسيح: (للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد)

وفيه (متى/6:ـ 24) من أقوال المسيح :(لا يقدر أحد أن يخدم سيدين)

وفي (متى /19: 17) و(مرقس /10: 18) من أقوال المسيح : (ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله)

وفي (متى /22:ـ 37 – 38) من أقوال المسيح: (تحب الرب إلهك من كل قلبك .....هذه هي الوصية الأولى والعظمى)

وفي (متى /23:ـ 9) من أقوال المسيح :(لأن أباكم واحد الذي في السماء)

وفي (مرقس /12:ـ 29) من أقوال المسيح :(إن أول كل الوصايا... الرب إلهنا رب واحد)

وفي (مرقس /13:ـ 32) من أقوال المسيح :(وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الآب)

وفي (يوحنا /1: 18):(الله لم يره أحد قط)

وفي (يوحنا /17:ـ 3) من أقوال المسيح :(أنت الإله الحقيقي وحدك)

وفي (رؤيا يوحنا /1: 8): (أنا هو الألف والياء البداية والنهاية يقول الرب)، أي أن الرب قال هذا وليس المسيح.

عبودية المسيح:

لم أجد بعد أن ذكر لي كل هذه النصوص إلا أن أقول له: عرفت الأولى.. فما الثانية؟

قال: لقد نص الكتاب المقدس في نصوص كثيرة منه على عبودية المسيح.. وهو يتفق في ذلك تماما مع القرآن الكريم.

قلت: أين هذا؟

قال: إن كل حرف من الكتاب المقدس يشهد للمسيح بالعبودية:

لقد بشر النبي أشعياء (42:ـ 1) بنبي عظيم، أول صفاته أنه عبد الله ورسوله.. تقول البشارة تقول :(هو ذا عبدي أعضده)، وقد اعتقد كاتب إنجيل متى أن تلك النبوءة قد تحققت في المسيح، فاقتبسها ووضعها في إنجيله في الإصحاح الثاني عشر.. ووجه الدلالة فيها لا يخفي.. فالله سمى المسيح عبداً.

وبمثل ذلك جاء سفر أعمال الرسل (3:ـ 13،ـ 26) فقد ورد فيه هذا النص :(إن إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، إله آبائنا، قد مجد عبده يسوع)[1]

1() وقد ورد هكذا في العهد الجديد على حسب الطبعة الكاثوليكية، لكن الطبعة البروتستانتية الإنجيلية للكتاب المقدس تستبدل كلمة عبده، بكلمة فتاه.

وقد اتفقت الترجمتان الإنجليزيتان : الملك جيمس والقياسية، على استخدام كلمة : Servant مقابل كلمة : عبد، العربية.

وبمثل ذلك قال في في سفر أعمال الرسل (4:ـ 27):(تحـالف حقاً في هذه المدينة هيردوس وبنطيوس بيلاطس والوثنيون وشعوب إسرائيل على عبدك القدوس يسوع الذي مسحته)[2]

وفي نفس السفر (4:ـ 29،ـ 30)ورد :(فانظر الآن يـا رب إلي تهديـداتهم، وهب لعبيـدك أن يعلنـوا كلمتـك بكـل جـرأة باسـطاً يـدك ليجري الشفاء والآيات والأعاجيب باسم عبدك القدوس يسوع)

ونصوص الكتاب المقدس تحوي الـدلائل الـتي لا تحصـى على أن المسيح لم يكن إلا نبيا من أنبياء اللـه أرسـله الله كمـا أرسـل سـائر الأنبياء:

لقـد كتب لوقـا في (4:ـ 18) يقـول :(وَعَـادَ يَسُـوعُ إِلَى مِنْطَقَـةِ الْجَلِيلِ بِقُدْرَةِ الرُّوحِ؛ وَذَاعَ صِيتُهُ فِي الْقُرَى الْمُجَـاوِرَةِ كُلِّهَـا. وَكَـانَ يُعَلِّمُ فِي مَجَامِعِ الْيَهُـودِ إلي أن قـال، وَوَقَـفَ لِيَقْـرَأَ. فَقُـدِّمَ إِلَيْـهِ كِتَـابُ النَّبِيِّ إِشَعْيَاءَ، فَلَمَّا فَتَحَـهُ وَجَـدَ الْمَكَـانَ الَّذِي كُتِبَ فِيـهِ: رُوحُ الـرَّبِّ عَلَيَّ، لأَنَّهُ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْفُقَرَاءَ؛ أَرْسَلَنِي لأُنَادِيَ لِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ)

فإذا كانت هذه النبوءة التي جاءت على لسـان النـبي أشـعياء هي نبوءة عن المسيح فإنها تقول:(روح الرب علي)، أي وحي الله.

فهل ترى المسيح قال: هي ذاتي أو أقنومي أو جزئي أو نفسي؟

قلت: ولكنه قـال :(روح الـرب علي) وهي لا تختلـف في الدلالـة عن ذلك.

قال: لقد ورد في الكتاب المقدس أن روح الرب حلت على ألـداد وميـداد كمـا في سـفر العـدد (11:ـ 26)، وعلى صـموئيل كمـا في الإصحاح العاشر الفقرة السادسة من سفر صموئيل. وقد قالها النبي حزقيال عن نفسه في سفره كما في الإصحاح الحادي عشـر الفقـرة الخامسة، حيث يقول حزقيال:(وحل عَلَيَّ رُوحُ الرَّبِّ)

وبمثل ذلك اتفقت الترجمتان الفرنسيتان : لوي سيجو، والمسكونية على اسـتخدام كلمة : Serviteur مقابل كلمة : عبد، العربية.

[2] العهد الجديد المطبعة الكاثوليكية _ منشورات دار المشرق ببيروت.

ثم إن قوله :(أرسلني لأنادي للمأسورين بالإطلاق) دليل على أنه نبي مرسل، وليس هو الرب النازل إلى البشر كما تزعمون.

ثم إن ما جاء في انجيل لوقا (4:ـ 34) من قول المسـيح :(لا بـد لي أن أبشر المدن الأخـرى بملكـوت اللـه لأني لهـذا أرسـلت) دلالـة صريحة على أن المسيح رسول مرسل من الله.

صمت قليلا، ثم قال: عندما أحيا المسيح الميت الذي هو ابن وحيد لامرأة أرملة، حدث أن جميـع النـاس الحاضـرين مجـدوا اللـه، فمـاذا قالوا؟

أجبت من غير شعور: لقد قالوا:(قد قام فينـا نـبي عظيم، وتفقـد الله شعبه)

قال: أليس في هذا دليلا على أن المسيح لم يكن إلا بشرا رسولا، فإنه بعد أن أحيا هذا الميت استطاع جميع الحاضـرين أن يفرقـوا بين الله وبين المسيح، فمجدوا اللـه، وشـهدوا للمسـيح بـالنبوة، وشـكروا الله إذ أرسل في بني إسرائيل نبياً، ويسمون أنفسـهم شـعب اللـه إذ أن الله تفقده أي اهتم به، وأرسل فيهم نبياً جديداً.

قلت: هــذا قــولهم، وعلى حســب معــرفتهم.. وهــو ليس قــول المسيح حتى تستدل به.

قال: ولكن المسيح أقرهم على هذا القول، ولم ينكـره عليهم مـع أن ذلك ذاع في كل مكان.

ومع ذلك.. دعنا من هذه النصوص.. فالأدلة الكثيرة لا تجعلنـا نهتم بالجدل في نصرة بعضها.. وقد قال علمنا الله ذلك، فقال يقص علينـا قصة إبراهيم مـع الملـك:﴿ أَلَمْ تَـرَ إِلَى الَّذِي حَـاجَّ إِبْـرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَـاهُ اللَّهُ الْمُلْـكَ إِذْ قَـالَ إِبْـرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَـالَ أَنَـا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْـرِقِ فَـأْتِ بِهَـا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقـرة:258)، فمع أن إبـراهيم كـان يعلم أن الملـك لا يقـدر على إحيـاء المـوتى، ومع ذلك لم يجادله في ذلك.. اكتفاء بكثرة الأدلة.

وسأسـلك معـك هـذا السـلوك..ولن أجادلـك في نصـرة أي نص

تعترض عليه.

صمت حياء، فقال: لقد تكـرر وصـف نبـوة المسـيح في الأناجيـل كثيرا.. ففي رواية لوقا (7:ـ 39) نجده يذكر أن الفريسي بعـدما رأى المرأة تبكي وتمسح قدمي المسيح بشعرها قال في نفسه :(لو كان هذا نبياً، لعرف من هي هذه المرأة التي تلمسه)

وهذا القول يدل على أنـه داخلـه الشـك في نبـوة المسـيح، وهـو يثبت أن المسيح كان معروفاً بالنبوة ومشـتهراً بهـا، ويـدعيها لنفسـه، لأن الفريسي داخله الشك فيما هـو معـروف لـه، وإلا لكـان قـال في نفسه :(لو كان هذا هو الله لعرف من هي هذه المرأة التي تلمسه)

وهذا يدل على أن المسيح لم يكن معروفـاً إلا بـالنبوة، سـواء بين المؤمنين به أو أعدائه.. فكلهم اتفقت كلمتهم على صفة النبوة.

وسأسوق لك من النصوص ما يدل على ذلك:

لقـد ورد في بإنجيـل لوقـا (24:ـ 19): أن تلميـذين من تلاميـذ المسيح وصفوه بالنبوة وهو يخاطبهم، فكانا يقولان:(يسوع الناصري الذي كـان إنسـاناً نبيـاً مقتـدراً في الفعـل والقـول أمـام اللـه وجميـع الشعب) ولم ينكر عليهم المسيح هذا الوصف.

وورد بإنجيل يوحنـا(9:ـ 17) قـول الرجـل الأعمى:(: قـالوا أيضـاً للأعمى: ماذا تقول أنت عنه من حيث أنه فتح عينيك، فقال: إنه نبي)

وورد بإنجيل متى (21:ـ 10،ـ 11) أن المسيح لما دخل أورشـليم ارتجت المدينـة كلهـا وسـألت من هـذا؟ فكـانت الإجابـة من الجمـوع الغفيرة من المؤمنين والتلاميذ الذين دخلوا مع المسيح مدينة القدس هي :(هذا يسوع النبـي من ناصرة الجليل)

فأنت ترى أن كل الجمـوع تسـأل، وكلهم يجيبـون، وعلى رأسـهم تلاميذ المسيح، وكلهم متفقون على طبيعة واحدة للمسيح هي طبيعة البشرية المتوجة بتاج النبوة.

ورد بإنجيل يوحنـا (6:ـ 14) أن النـاس الـذين رأوا معجـزة تكثـير الطعام التي صنعها المسيح فآمنوا بها قـالوا :(إن هـذا هـو بالحقيقـة

النبي الآتي إلى العالم)، فأقرهم المسيح، ولم ينكر عليهم وصفهم له بالنبوةن مع أنهم كانوا جمعا كثير حوالي خمسة آلاف رجل.. ولم يقل أحدهم بخلاف ذلك.

قلت: كل هذا ما قالوه.. لا ما قاله..

قال: لا بأس.. سأسوق لك بعض ما قال.. لقد ورد بإنجيل متى (13:ـ 57) أن المسيح لما رأى أهل الناصرة يحاربونه وينكرون معجزاته رد عليهم قائلاً :(ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه وفي بيته).. فالمسيح لم يذكر لهم أنه إله، وانما ذكر أنه نبي، ولا كرامة لنبي في بلده، فالألوهية لم تكن تخطر ببال المسيح مطلقاً.

وفي انجيل لوقا (13:ـ 33) يتكلم المسيح وهو يعرض نفسه قائلا :(لا يمكن أن يهلك نبي خارجاً عن أورشليم)، وهو إقرار من المسيح بأنه نبي من الأنبياء، وليس للأنبياء كلهم إلا طبيعة واحدة هي البشرية المقترنة بوحي الله.

وفي إنجيل متى في الإصحاح الخامس يقول المسيح :(لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَلْغِيَ الشَّرِيعَةَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأُلْغِيَ، بَلْ لأُكَمِّلَ)

فهذا النص واضح في أن المسيح رسول قد خلت من قبله الرسل، وأنه ليس إلا واحدا ممن سبقوه، فلا هو رب ولا إله.. وإنما هو نبي بشر جاء ليعمل بالشريعة التي سبقته، وهي شريعة موسى، ويكمل ما بناه الانبياء قبله.

وفي إنجيل يوحنا(12:ـ 49) يقول :(لم أتكلم من نفسي، لكن الأب الذي أرسلني، هو أعطاني وصية ماذا أقول، وبماذا أتكلم)، فهذا النص واضح في أن المسيح عندما كان يدعو تلاميذه، ويعلمهم لم يكن يدعوهم إلا على أنه رسول من الله، وأنه كان يدعوهم إلى توحيد الله، وعبادته.

ولم يرد هذا في الأناجيل فقط، بل نجد هذا في سائر الأسفار، ففي أعمال الرسل (3:ـ 22) حمل بطرس قول موسى عليه السلام الوارد في العهد القديم:(إن نبياً مثلي سيقيم لكم الرب إلهكم) على

المسيح [1] مع أنه صرح بأن الله سيقيم لهم نبياً، ولم يقل سينزل لهم الرب.

قلت: حتى لو اعتبرناه نبيا.. فإن ذلك لا يتنافى مع ما ندعيه له.. فكما أن كونه إنسانا لم يحجبه أن يكون ابنا لله.. فكونه نبيا أولى أن لا يحجب.

قلت هذا لمجرد استفزازه، فإن ما ذكرته لا يقوم على أي أساس عقلي صحيح.

قال: لا بأس.. مع أن كلامك هذا يتنافى مع المنطق السليم إلا أني سأذكر لك من النصوص ما يبين عبودية المسيح.. وأن علاقته بالله لم تكن إلا علاقة العبودية.

ألم تقرأ ما ورد من قيامه بالصلاة وعبادته لله طوال الليل كله، لقد قال لوقا في إنجيله (6:ـ 12):(وفي تلك الأيام خرج إلى الجبل ليصلي، وقضى الليل كله في الصلاة لله)؟

ويحدثنا متى (14:ـ 15) عن معجزة إشباع الآلاف من الجياع بخمسة أرغفة وسمكتين فيقول :(وَأَمَرَ الْجُمُوعَ أَنْ يَجْلِسُوا عَلَى الْعُشْبِ. ثُمَّ أَخَذَ الأَرْغِفَةَ الْخَمْسَةَ وَالسَّمَكَتَيْنِ، وَرَفَعَ نَظَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَبَارَكَ وَكَسَّرَ الأَرْغِفَةَ، وَأَعْطَاهَا لِلتَّلاَمِيذِ، فَوَزَّعُوهَا عَلَى الْجُمُوعِ.فَأَكَلَ الْجَمِيعُ وَشَبِعُوا)، وهذا التصرف دليل على العبودية.. فما كان لينظر إلى السماء إلا لأجل انتظاره مددا منها.

وقد تكرر منه هذا الفعل حينما أحيا لعازر، فإنه ورد بإنجيل يوحنا (11:ـ 41) :(وَرَفَعَ يَسُوعُ عَيْنَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ:(أَيُّهَا الآبُ، أَشْكُرُكَ لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِي، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ دَوْماً تَسْمَعُ لِي. وَلكِنِّي قُلْتُ هَذَا لأَجْلِ الْجَمْعِ الْوَاقِفِ حَوْلِي لِيُؤْمِنُوا أَنَّكَ أَنْتَ أَرْسَلْتَنِي)

بل إن المسيح لم يرض أن يوصف بالصلاح حرصا على وصف العبودية وخوفا من الشرك، ففي متى (19:ـ 16،ـ 17):(وَإِذَا واحد يَتَقَدَّمُ إِلَيْهِ وَيَسْأَلُ:(أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ، أَيَّ صَلاَحٍ أَعْمَلُ لأَحْصُلَ عَلَى الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ؟)، فَأَجَابَهُ المسيح :(لماذا تدعوني صالحاً، ليس أحد

[1] ذكرنا الأدلة الكثيرة على أن هذه البشارة خاصة به ﷺ.

صالحاً إلا واحد وهو الله).. فإذا كان المسيح لم يرض بأن يوصف بالصلاح، فكيف يرضى بأن يوصف بالألوهية!؟!

بل إن المسيح يصرح بعبوديته لله، فيقول:(الحق الحق أقول لكم: ما كان الخادم أعظم من سيده، ولا كان الرسول أعظم من مرسله)(يوحنا 13: 16)

إن هذا النص من الكتاب المقدس يعبر عما أراده القرآن الكريم في قوله تعالى :﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً ﴾ (النساء :172)

بل إن المسيح يصرح بوحدانية الله التي تهدم أقانيم التثليث التي تؤسسونها، ألم تقرأ ما جاء في إنجيل يوحنا (17: 3) من أن المسيح توجه ببصره نحو السماء قائلاً لله :(وهذه الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته)

فإذا كنتم تقولون بأن الله قد تجسد في جسد المسيح يسوع، فمن هو الإله الذي كان يخاطبه يسوع؟

ألا تلاحظ أن قوله :(ويسوع المسيح الذي أرسلته) يشير إلى الوظيفة التي أرسل المسيح من أجلها.. وهي الوظيفة التي تتفق مع كلام الذي سميتموه :(الهرطقي آريوس).. والذي كان يعتبر المسيح وسيطا بين الله والبشر!؟

ألا ترى أن المسيح قال :(أنت الإله الحقيقي وحدك)، بينما لم يذكر نفسه إلا بقوله:(المسيح الذي أرسلته).. فأين التثليث في هذا؟

وقد وردت النصوص الكثيرة المؤكدة أن الله هو رب المسيح وإلهه:

فالله تعالى موصوف في رسالة بطرس الأولى (1:ـ 3) وفي الرسالة إلى أهل افسس (1: 17) بـ (الله أبو ربنا يسوع المسيح)

وفي رؤيا يوحنا وهو الكتاب الأخير من العهد الجديد، يصف الله سبحانه وتعالى بأنه إله المسيح وربه :(لإلهه وأبيه (المسيح) (رؤيا

يوحنا 1: 6)

وفي الإصحاح الثالث العدد 12 يقول المسيح عن الهيكل :(هيكل إلهي... اسم إلهي... مدينة إلهي)

وفي أثناء حياته على الأرض تطلع يسوع لأبيه بما شابه ذلك، وقد تكلم عن الصعود قائلاً :(إلى أبي وأبيكم والهي وإلهكم)(يوحنا 20: 17).

وقد ورد في الأناجيل التي تؤرخ لسيرة المسيح ما يؤكد كل هذا، ويبين أن المسيح ليس إلا رسولا لا يختلف عن سائر الرسل دائم الصلة بالله، عظيم العبودية له:

جاء في مرقس(13:ـ 32) أن المسيح بعدما سئل عن موعد الساعة قال :(وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلاَ يَعْرِفُهُمَا أَحَدٌ، لاَ الْمَلاَئِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ وَلاَ الاِبْنُ، إِلاَّ الآبُ)

فإذا كان الابن الذي هو الأقنوم الثاني من الثالوث حسبما تعتقدون، فكيف ينفي عن نفسه العلم بموعد الساعة ويثبته للأب فقط!؟

قلت: هذا النفي من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته.

قال: لا.. إن النفي جاء عن الابن مطلقاً، وأثبت العلم بالموعد للأب فقط.. وتخصيص العلم بموعد الساعة للأب فقط دليل على بطلان ألوهية الروح القدس، وأن لا مساواة بين ما تذكرونه من أقانيم.

ومثل ذلك ما ورد في يوحنا (1:ـ 51) من قول المسيح:(الحق أقول لكم من الآن سترون السماء مفتوحة وملائكة الله صاعدين نازلين على ابن الإنسان)

فإذا كان المسيح يصرح بأن ملائكة الله سوف تنزل عليه من السماء لتأييده فأين هو الإله خالق الملائكة الذي حل بالمسيح واتحد به.

ومثل ذلك ما ورد في لوقا(3:ـ 23) :(ولما ابتدأ يسـوع كـان لـه نحو ثلاثين سنة)، فالمسيح ـ كمـا يـذكر لوقـا ــ لمـا بـدأ دعوتـه كـان عمره ثلاثين سنة.. فإذا كان المسيح هـو اللـه المتجسـد، فمـاذا كـان يفعل هذا قبل تلك الفترة وطوال الثلاثين سنة!؟

ومثـل ذلـك مـا ورد في مـتى (3:ـ 13) :(حينئـذ جـاء يسـوع من الجليل إلى الأردن، إلى يوحنا ليعتمد منه، ولكن يوحنا منعـه قـائلاً: أنـا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتي إلي؟ فأجاب يسوع وقال له: اســمح الآن لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل برٍّ، حينئذ سـمح لـه. فلمـا اعتمـد يسوع صعد للوقت من الماء، وإذا السـماوات قـد انفتحت لـه، فـرأى روح الله نازلا مثل حمامة وآتيا عليه وصوت من السماوات قائلا: هـذا هو ابني الحبيب الذي به سررت)

فلو كان المسيح هو الله نفسه الذي تجسـد ونـزل لعــالم الـدنيا ـ كما تزعمون ـ لكـانت رسالته مبتدئة منذ ولادته، ولكـان روح القـدس ملازما له باعتباره جزء اللاهـوت الـذي لا يتجـزأ، ولمـا احتـاج إلى من ينزل عليه بالوحي أو الرسالة، ولم يكن هناك أي معـنى أصـلا لابتـداء بعثته بهبوط روح القدس عليه وابتداء هبوط الملائكة صاعدين نـازلين بالوحي والرسائل عندما بلغ الثلاثين من العمر واعتمد على يـد يوحنـا النبي!

ومثل ذلك ما كتبه لوقا(3: 21) عن بدء بعثة المسيح بنزول روح القدس عليه، فقد ورد فيه :(ولما اعتمد جميع الشعب اعتمـد يسـوع أيضا، وإذ كان يصلي انفتحت السماء ونزل عليه الروح القـدس بهيئـة جسمية مثل حمامة، وكان صوت من السماء قائلا: أنت ابني الحــبيب بك سررت. وكان يسوع عند بدء رسالته في نحو الثلاثين من عمـره.. ورجع يسوع من الأردن وهو ممتلئ من الروح القدس)

فلو كان المسيح إلــها متجسـدا لمـا احتـاج لـروح القـدس ليهبـط عليه.. ولو كان التثليث حقا لكان المسيح متحـدا دائمـا وأزلا مـع روح القدس، لأن الثلاثة واحد فما احتاج أن يهبط عليه كحمامة!

ثم ألا ترى فيما كتبه متى ولوقا ما يبطل زعمكم أن الثلاثة واحـــد فالروح القـدس منفصـل عن الـذات وهـو نـازل بين السـماء والأرض

والابن صاعد من الماء.

إنسانية المسيح:

قلت: لقد ذكـرت مـا شـئت من النصـوص عن عبوديـة المسـيح.. فاذكر لي ما يدل على إنسانيته على حسب ما فهمت؟

قال: كل ما سبق ذكره يدل على إنسانيته، فالعبودية لا تخرج عن صاحبها الإنسانية.

قلت: فما تقصد بالإنسانية إذن؟

قـال: أقصـد منهـا نـواحي الضـعف الـتي تعـتري الإنسـان، والـتي يستحيل أن يتصف بها الله، وهو مـا اسـتدل بـه القـرآن الكـريم على عدم صحة ما ترمون المسيح به من دعاوى، فالله تعالى يقـول:﴿ مَـا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَـا يَـأْكُلانِ الطَّعَـامَ انْظُـرْ كَيْـفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَـاتِ ثُمَّ انْظُـرْ أَنَّى يُؤْفَكُـونَ﴾ (المائدة:75)

قلت: فاذكر لي ما في كتبنا من الدلالة على هذا.

قال: اعذرني.. فأنت أعرف بذلك مني.

قلت: لا بـأس.. أريـد أن أسـمع منـك.. ألا تـرى أني صـادق في حواري معك؟

قال: أشكرك على ذلـك.. وأنـا مسـتغرب هـذا السـلوك الـذي لم أعهده من غيرك.

قلت: لا بأس.. كل ينفق مما عنده.

قال: الأناجيـل.. بـل الكتـاب المقـدس جميعـا يصـرح أن المسـيح أضعف من أن يكون إلها:

لقد ذكر لوقـا (22:ـ 43) أن المسـيح بعـدما وصـل وتلامذتـه الي جبل الزيتون واشتد عليه الحزن والضيق حتى أن عرقه صـار يتصـبب كقطرات دم نازلة :(ظَهَرَ لَهُ مَلاَكٌ مِنَ السَّمَاءِ يقويه)

والإمداد بالقوة لا يكون إلا للضعيف المحتاج.. فـإن كنتم تزعمـون أن للمسيح طبيعة لاهوتية.. فهل هذا الملك أقوى مــن اللـه!؟.. وأين كان لاهوت المسيح في تلك اللحظة!؟.. أما كان الاولى بـه أن يظهـر طبيعته اللاهوتية المزعومة بـدلاً من أن يكـتئب ويحـزن ويشـتد عليـه الضيق والخوف، ويظهر بذلك المظهر.

بـل إن المسـيح يجسـد إنسـانيته بكاملهـا على الصـليب ــ كمـا تزعمون ـ بقوله :(إلهي إلهي لمـاذا تركتـني)(مـتى 27:ـ 46)، ولا يمكن أن تفهم الكلمات إلا لمن رأى المسيح إنسانا كسائر البشر.

وفوق هـذا هنـاك الكثـير من الأدلـة الـتي يعرضـها الإنجيـل حـول الطبيعة البشرية للمسيح، فهو يذكر أنه منهمك، وكان عليه أن يجلس لكي يشرب من البئر (انجيل يوحنا 4:ـ 6) ونجده يبكي لمـوت لعـازر (انجيل يوحنا 11: 35)

وفوق كل هذا هنالك الوصف لمعاناتـه في النهايـة، وهـذا يجب أن يكون دليلا على إنسانيته:(الآن نفسي قد اضطربت)

ونجده يشكر ويصلي للرب لكي ينقذه من حتمية المـوت (انجيـل يوحنا 12: 27): (وكان يصلي قائلا يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكـأس. ولكن ليس كمـا أريـد أنـا بـل كمـا تريـد أنت)(انجيـل مـتى 39:26)

وفي إنجيل مـتى (4:ـ 6) أن الشـيطان بعـدما أخـذ المسـيح إلي المدينة المقدسة وأوقفه على حافة سطح الهيكل قال لــه :(إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلي أسفل لأنه قـد كتب: يُوْصِـي مَلاَئِكَتَـهُ بِـكَ، فَيَحْمِلُونَكَ عَلَى أَيْدِيهِمْ لِكَيْ لاَ تَصْدِمَ قَدَمَكَ بِحَجَرٍ)

وفي هذا النص إقرار من المسيح للشيطان بأنه قد كتب عنــه في العهد القديم أن الله يوصي ملائكته به ليحملونه ويحفظونه ـ كما نجـد هذا ثابتـا بـالمزمور الواحـد والتسـعين ــ فـإذا كـان المسـيح هـو رب العالمين، وأن الأب متحد معه وحال فيه، فكيف يوصـي اللــه ملائكتـه به لكي يحفظوه؟

وفي أنجيل مرقس (1: 12):(وَفِي الْحَالِ اقْتَادَ الرُّوحُ يَسُوعَ إِلَى

الْبَرِّيَّةِ، فَقَضَى فِيهَا أَرْبَعِينَ يَوْماً وَالشَّيْطَانُ يُجَرِّبُـهُ. وَكَـانَ بَيْنَ الْوُحُـوشِ وَمَلاَئِكَةٌ تَخْدُمُهُ)

فإذا كان المسيح إله متجسد ـ حسبما تعتقـدون ـــ فهـل يمكن أن يعقل أن يتسلط عليه الشيطان طوال أربعين يوماً؟

قلت: إن الشيطان جربه كإنسان، ولم يجربه كإله.

قال: ولكن النص الوارد في متى (4: 3) يثبت ـ حسب اعتقادكم ـــ أن الشـيطان جربـه كإلـه لا كإنسـان، فقـد ورد فيـه :(فَتَقَـدَّمَ إِلَيْـهِ الْمُجَرِّبُ وَقَالَ لَهُ: إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ، فَقُلْ لِهَذِهِ الْحِجَـارَةِ أَنْ تَتَحَـوَّلَ إِلَى خُبْزٍ!) ولم يقل له:(إن كنت ابن الإنسان)

وفي متى (4: 8) أن إبليس أخذ المسيح إلي قمة جبل عال جداً، وأراه جميـع ممالـك العـالم، وقـال :(أعطيـك هـذه كلهـا إن جثـوت وسجدت لي).. فكيف يطمع إبليس في أن يسجد له، وأن يخضـع لـه من فيه روح اللاهوت!؟

وقد كتب متى في الإصحاح الأول ابتـداء من الفقـرة الأولى حـول تجربـة إبليس للمسـيح أن إبليس كـان يقـود المسـيح إلى حيث شـاء فينقاد لـه، فتـارة يقـوده إلي المدينـة المقدسـة، ويوقفـه على جنـاح الهيكل، وتارة يأخذه إلي جبل عال جداً.. فهـل يمكن لعاقـل بعـد هـذا أن يقول أن الله تعالى كان في جسد المسيح، وكان هذا الجسد بهذه حاله مع إبليس.

وقد ورد في الكتاب المقدس أن المسيح انصرف هرباً من اليهود، فكيـف يتصـور أن رب العـالمين كـان في جسـد، وكـان هـذا الجسـد يتجنب اليهود من مدينة إلى مدينة هرباً منهم.

ورد في متى (12: 14) ومرقس (3: 6) أن الفريسيين تشاوروا على المسيح لكي يقتلوه، فلما علم المسيح انصرف من مكانه.

وكتب يوحنا(11:ـ 53) أن اليهود لمـا قـرروا قتـل المسـيح فمن ذلك اليوم لم يعد المسـيح يتجـول بينهم جهـاراً، بـل ذهب إلى مدينـة اسمها أفرايم.

بل ورد في كيفية معاملة اليهود له ما يدل على بشريته:

ورد في متى (26:ـ 67) أن اليهود عذبوا المسيح وبصقوا في وجهه وضربوه.. قال متى:(فبصقوا في وجه يسوع ولطموه، ومنهم من لكمه)

وجاء في إنجيل لوقا(22:ـ 63):(وأخذ الذين يحرسون يسوع يستهزئون به ويضربونه ويغطون وجهه ويسألونه: من ضربك؟ تنبأ! وزادوا على ذلك كثيراً من الشتائم)

ألا ترى أن اليهود اتخذوا المسيح لعبةً يلعبون بها إهانةً له وتحقيراً لشأنه، ومع ذلك لم يجد أحدا يدافع عنه؟

أين كان أولئك الألوف الذين حكت عنهم الأناجيل بأنهم آمنوا به، وشفى كثيراً من أمراضهم المزمنة؟

أين تلك الجموع الغفيرة التي خرجت لملاقاته، حين دخوله أورشليم، وهو راكب الجحش والأتان معاً؟

بالإضافة إلى ما ذكرته الأناجيل، فإن الكثير من المزامير ــ التي هي بمثابة نبوءات عن المسيح كما تعتقدون ــ تؤكد على حاجة المسيح لان يخلصه الرب:

فمزامير (91: 11، 12) نراها مقتبسة في انجيل متى (6:4) في الحديث عن المسيح، وفي المزامير (91:ـ 16) تكمن النبوءة عن تخليص المسيح :(من طول الايام (أي حياة أبدية) أشبعه وأريه خلاصي)

وفي مزامير (69ـ 1ـ 18ـ 21ـ 29):(خلصني يا الله.. اقترب إلى نفسي بسبب أعدائي أفدني.. يجعلون في طعامي علقماً، وفي عطشي يسقونني خلاً.. خلاصك يا الله فليرفعني)

المتشابه

قلت: أنا أسلم لك كل ما ذكرت من النصوص، فهي تحوي من دلائل البشرية ما لا أجد له، ولا يجد له غيري مخرجا.. ولكن هذه النصوص هي نفسها التي تدلنا على ما نعتقده من عقائد.. فما تريد

منا؟.. أتريد أن نطرح تلك النصوص لهـذه النصـوص؟.. وكيـف يكـون ذلك، وكلاهما نصوص مقدسة؟

قال: نفس الإشكال يمكنني أن أطرحه عليك.. أتريد أن تطرح مـا ذكرت لك من النصوص لما لديك من نصوص توهمك بإلهية المسيح؟

قلت: أنـا لم أطـرح هـذه النصـوص، ولا تلـك النصـوص.. ولكـني فهمت ما ذكرت من النصوص على ضوء ما لدي من نصوص.

قـال: فلم لم تفهم النصـوص المتشـابهة على ضـوء النصـوص المحكمة؟.. لقد استفدت من قراءتي للكتاب المقدس للمسلمين أن في كلام اللـه متشـابها ومحكمـا.. وفهمت منـه أنـه ينبغي إخضـاع المتشابه للمحكم، كما قال تعالى :﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَـابَ مِنْـهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَـابِ وَأُخَـرُ مُتَشَـابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُـوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِـهِ وَمَـا يَعْلَمُ تَأْوِيلَـهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَـا يَـذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (آل عمران:7)

قلت: فأيهما المحكم؟.. وأيهما المتشابه؟

قال: المحكم هو ما دل على الحقائق بأصالتها وبسـاطتها.. والـتي يدل عليها العقل بادئ الرأي.

قلت: لم أفهم ما تقصد.

قال: أرأيت لو لم يرد ما ذكرت من نصوص متشـابهة، والـتي هي محصورة على كل حال، أكان لأحد من الناس ينسب للمسيح الإلهية؟

لم أملك إلا أن أقول: لا..

قال: ولا تملـك إلا أن تقـول ذلـك.. فحيـاة المسـيح لا تختلـف عن سـائر حيـاة من عرفنـا من الأنبيـاء.. فكلهم معلمـون دعـاة إلى اللـه حصل لهم مؤيدات كثيرة من الله تدل على الوظيفة التي كلفوا بها.

قلت: وماذا تستنتج من هذا؟

قال: أستنتج أن الأصل هو نبـوة المسـيح.. فهي الـتي يـدل عليهـا

العقل المجرد من جهة.. وهي التي تـدل عليـه النصـوص الكثـيرة من جهة أخرى.

قلت: ومـا تسـميه نصوصـا متشـابهة.. هـل تحـذفها من الكتـاب المقدس؟.. أم تغير ترجمتها؟

قـال: لا هـذا ولا ذاك.. وإنمـا أحـاول فهمهـا على ضـوء النصـوص الأخرى.. فإن احتجت إلى التأويل أولت..

قلت: أليس التأويل تحريفا؟

قـال: يكـون التأويـل تحريفـا عنـدما يلـوي عنـق النص.. لكنـه إن انسجم مع النص كان هو الأسلوب الوحيد الذي نتعامل به مع النص.

قلت: فهـل تطبـق لي هـذا التأويـل على مـا لـدي من نصـوص متشابهة، لنرى مدى أحقية التأويل؟

قـال: أجـل.. لابـد لمن يريـد أن يعـرف الحقيقـة من الاهتمـام بالتفاصيل المؤدية إليها.. بكل التفاصيل..

قلت: لـدي عشـرات النصـوص الـتي وردت في العهـد الجديـد أو القديم، وهي كلها تتحدث عن ألوهيته، منها النصوص التي سـمته ربـاً وإلهاً أو ابناً لله، ومنها النصوص التي أفادت أن فيه حلولاً إلهيـاً، ومنهـا النصوص التي أضافت خلق المخلوقات إليـه، ثم مـا ظهـر على يديـه من معجزات إلهية إليه كتنبئه بالغيب وإحيائه الموتى...

قال: قبل أن تعرض لي مـا شـئت من نصـوص أريـد أن أسـألك.. هل يوجد نص واحد منها يصـرح فيـه المسـيح بألوهيتـه، أو يطلب من الناس عبادته.

لقد قال بعض علماء المسلمين[1] لكبير قساوسة السويد :(أضع رأسي تحت مقصلة لو أطلعتموني على نص واحـد قـال فيـه عيسـى عن نفسه: أنا إله، أو قال: اعبدوني)

قلت: نعم.. لا يوجد مثل هـذا النص.. وفي ذلـك حكم جليلـة عـبر

---

[1] هو الشيخ أحمد ديدات – رحمه الله -

عنها القس فندر في كتابه (مفتاح الأسرار) مبرراً عدم تصريح المسيح بألوهيته في العهد الجديد، فقال :(ما كان أحد يقدر على فهم هذه العلاقة والوحدانية قبل قيامه وعروجه.. فلو قال صراحة لفهموا أنه إله بحسب الجسم الإنساني.. إن كبار ملة اليهود أرادوا أن يأخذوه ويرجموه، والحال أنه ما كان بين ألوهيته بين أيديهم إلا عن طريق الألغاز)

قال: فأنت تعتبر الألوهية لم يصرح بها إلا بعد العروج.. وحينذاك لم يصرح بها المسيح.. بل فهمتموها أنتم.. لأنه لم يظهر إنجيل جديد بعد عروج المسيح وقيامته.

ثم إن المسيح كان يواجه اليهود مرراً، فيقول لهم مثل هذا الكلام القاسي :(الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون.. أيها العميان.. لأنكم تشبهون القبور المكلسة، أيها الحيات والأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم)(متى 23/13-34)، فكيف له أن يترك التصريح بالحقيقة لأخلص أتباعه؟

قلت: نحن فسرنا ما ورد من نصوص كان يلمح فيها إلى ألوهيته.

قال: فهلم لتلك النصوص لنحاول فهمها على أساس المحكمات من النصوص.

قلت: لكي يكون حوارنا علميا، فقد حصرت ما لدي من نصوص تفيد ما نؤمن به من عقائد في أربعة أمور..

قال: أراك أصابتك عدوى الأربع.. فما هي؟

قلت: الكلمة، والبنوة، والحلول والاتحاد، وخصائص الألوهية.

1 ـ الكلمة:

قال: فلنبدأ بالكلمة.. فهي أكبر ما تستدلون به.

قلت: أجل.. ففي إنجيل يوحنا نجد العلم المتعلق بحقيقة طبيعة المسيح، لقد صرح بما لم يصرح به غيره.

لقد قال بصراحة وعمق وإيمان:(في البدء كان الكلمة، والكلمة

كان عند الله، وكان الكلمة الله، هـذا كـان في البـدء عنـد اللـه، كـل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كـان)(يوحنـا 1/1-3).. فلم يقل :(كانت الكلمة مع الله)، أو (كانت الكلمة إلـه).. بـل قـال بكـل وضوح ودون أي إلغاز :(وكان الكلمة الله)

بل هو يؤكد بكل صراحة أن التجسد هـو اللـه، فيقـول :(والكلمـة صار جسداً، وحل بيننا، ورأينا مجده كما لِوحيدٍ من الآب مملـوءاً نعمـة وحقـاً) (يوحنا:1 / 14)

قال: سأرد على هذا من أربعة وجوه.. فاصبر علي..

قلت: لك كل الحرية.. وكل الـوقت.. فقـد اتفقنـا على البحث عن الحقيقة.. ولا شيء غير الحقيقة.

قال: أولا.. من هو يوحنا؟.. ومتى كتب إنجيله؟.. وكيف يجرؤ على قول ما لم يقله المسيح؟

قلت: أتريد أن تشككني في يوحنا كما شككتني في بولس؟

قال: إن الباحث عن الحقيقة لا يهمـه من يطـرح في طريقهـا من الرجال.. أليس الحق أحب إلينا من الرجال؟

قلت: بلى.. ولكن الرجال هم الذين نعرف بهم الحق.

قال: فلندرسهم لنرى مدى أهليتهم لتبليغ الحق.

قلت: لا بــأس.. ولكن تــذكر أنــه من القديســين.. ولا ينبغي أن نتحدث عن القديسين إلا بصحبة الأدب.

قال: لك علي ذلـك.. والمـؤمن طـاهر اللسـان.. أتعلم مـتى كتب إنجيل يوحنا؟

قلت: كتب بعد حوالي ستين عاما من رحيل المسيح على حسـب ما يذكر المؤرخون[1].

قال: فمثل هـذا كيـف يحفـظ مـا قالـه المسـيح؟.. ثم ألا تعلم أن

1() كتب إنجيل يوحنا في حوالي 90 ـ 95 م.. انظر التفاصيل المرتبطة به وبإنجيله في (الكلمات المقدسة) من هذه السلسلة.

أغلب مافي إنجيل يوحنا من رسائل بولس؟ وقد عرفت من هو بولس.. بل قد جاء في دائرة المعارف الفرنسية التي لم يكتبها المسلمون أن إنجيل يوحنا ومرقص من وضع بولس..

قلت: دعنا من هذا.. فقد سبق الحديث عنه.. نريد أن نتعامل بدون أي خلفية مع كلام يوحنا.. ما الذي يشككك فيه؟

قال: أولا.. إن هذا الكلام الخطير الذي يحول من المسيحة البسيطة التي تتجلى في سائر الأناجيل إلى فلسفة معقدة يستدعي البحث عن مصدر هذا الكلام.

قلت: وضح ما تريد.

قال: اذكر لي أول جملة بدأت بها سائر الأناجيل.

قلت: أول جمله في إنجيل متىّ تقول :(كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم) (متى:1/1)

وأول جملة في إنجيل مرقس:(بدأ إنجيل المسيح ابن الله) (مرقس:1/1)

وأول جملة في إنجيل لوقا:(إذا كانوا كثيرين قد أخذوا بتأليف قصته)(لوقا:1/1)

قال: وبينها جميعا أول جملة في إنجيل يوحنا :(في البدء كان الكلمة..) (يوحنا:1/1)

قلت: وما الغرابة في ذلك؟

قال: إن يوحنا يوضح مقصده من هذا الإنجيل، فهو يريد أن يثبت فيه ما ذكره في هذه المقدمة.. ولهذا لا يوجد مثل هذا الكلام إلا في إنجيل يوحنا ورسائل بولس، بينما تخلو الأناجيل الثلاثة من دليل واضح ينهض في إثبات ألوهية المسيح.

ولعل خلو هذه الأناجيل عن الدليل هو الذي دفع يوحنا، أو كاتب إنجيل يوحنا لكتابة إنجيل عن لاهوت المسيح، فكتب ما لم يكتبه الآخرون، وجاءت كتابته مشبعة بالغموض والفلسفة الغريبة عن بيئة

المسيح البسيطة التي صحبه بها العوام من أتباعه[1].

قلت: فأنت تستدل باختلاف مقدمة إنجيل يوحنا عن سائر مقدمات الأناجيل على اختلافه عنها.

قال: ليست المقدمة وحدها.. لقد كانت المقدمة هي الإعلان عن المقصد الذي قصده يوحنا من إنجيله.. والذي أعلن عنه بعد ذلك بكل صراحة بقوله :(وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله)(يوحنا:20 / 3)

بعد هذا نرى أن أشياء كثيرة يخالف بها هذا الإنجيل سائر الأناجيل:

فلا توجد في هذا الإنجيل حادثة التجلي: أي تغير هيئة المسيح على الجبل، لأن المجد الثابت والمتواصل للمسيح الأرضي لا يترك مجالاً لمثل هذا الأمر.

وفيه إشارات لكون المسيح كلي العلم، ولكون قدرة المسيح غير البارزة، ولكن الموجودة الكامنة، قدرة لا حد لها.. بل إن فيه تصويرا للمسيح على أنه لا يعتريه التعب ولا الجوع ولا العطش، وفيه عرضٌ للمسيح باعتباره شخصا ذا سيطرة وتسيير كاملين ومستديمين لكل ما يفعله وما يحصل له حتى موته.

وهو ينفرد بالتصريح باتحاد الأب والابن حيث يقول:(أنا والأب واحد)(يوحنا:10/30)، ويقول:(كل من رآني فقد رأى الأب) (يوحنا: 14/9)

قلت: وسائر الأناجيل؟

قال: في الأناجيل الثلاثة المتشابهة.. أي أناجيل متى ومرقس

1() ينبه ديدات إلى أن هذا النص قد انتحله كاتب الإنجيل من فيلون الإسكندراني(ت 40م)، وأنه بتركيباته الفلسفية غريب عن بيئة المسيح وبساطة أقواله وعامية تلاميذه، وخاصة يوحنا الذي يصفه سفر أعمال الرسل بأنه عامي عديم العلم، فيقول:« فلما رأوا مجاهرة بطرس ويوحنا، ووجدوا أنهما إنسانان عديما العلم وعاميان تعجبوا)(أعمال 4/13)

وفيلون الإسكندراني (20 ق. م ـ 40 م) يهودي عاش في العصر الهلنستى بالإسكندرية، وهو فيلسوف ومفكر كان متأثراً بالفلسفة اليونانية، فقد كان يعتبر أن العقل أو اللوجوس هو الذي صدر عنه وجود كل المخلوقات. وكان يكني هذا (اللوجوس) بقوله (الكلمة) ومن المعروف أن يوحنا كتب إنجيله بعد وفاة (فيلون) واستعار منه (مصطلح الكلمة)

ولوقا يرى المسيح محدوداً ضمن حدود حياته الأرضية ومنصبه الرسالي.. فهي تعبِّر عما قاله المسيح وما فعله في حين أن إنجيل يوحنا هو تفسير لما يمثله المسيح، فهو يعبِّر عن فهم المعنى الألوهي للمسيح، ذلك الفهم والتصور الذي تطور ونما في الدوائر المسيحية في نهاية القرن الميلادي الأول.

قلت: فكيف تفسر هذا الاختلاف؟

قال: إن الذي يظهر لي كما ظهر لباحثين كثيرين.. وهو ما يدل عليه واقع الدعوة للمسيحية أنه حصل خلال ستين عاماً بعد وفاة المسيح أن لغة البنوّة لله، أي عبارة (ابن الله) التي يمتلئ بها الكتاب المقدس نقلت من تربة لتربة أخرى.. نقلت من تربة الفكر اليهودي إلى تربة جديدة هي تربة العالم الإغريقي الروماني وما يحمله من وثنية.

قلت: وما سر هذا التحول؟

قال: هو ما ذكرناه من الاهتمام بانتشار الدين والذي زاحم الاهتمام بصفائه.. لقد كان إنجيل يوحنا يعبر عن رغبات المتدينين الجدد الممتلئين بالوثنية.

ولهذا كان الترحيب والتهليل لفكرة المسيح إلهاً استجابة طبيعية لجماعة تؤمن بإله يُعتقد فيه أن من شأنه أنه يكشف عن نفسه للإنسان ويعرِّف نفسه للإنسان.. ومن هنا نجد إنجيل يوحنا يحدثنا عن الابن الوحيد الذي أظهر اللهَ وعرَّفَه فيقول:(الله لم يره أحد، الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبَّر) (يوحنا:1 /ـ 18).. ويخبرنا أيضاً أن الابن (خرج من عند الآب وأتى إلى العالم)(يوحنا:16/ 28)

قلت: وعيت ما أردته من الوجه الأول.. فما **الوجه الثاني**؟

قال: أنت تعلم أن من أساليب قومك في التحريف تغيير الترجمات.

قلت: دعك من هذا.. ألم نتفق على احترام بعضنا بعضا؟

قال: أعتذر إليك إن كان هذا الكلام قد ساءك.. ولكن البحث عن

الحقيقة قد اضطرنا إليه اضطرارا.

قلت: فما في اختلاف الترجمات من الأدلة على الحقيقة التي نبحث عنها؟

قال: لقد لاحظت أن هناك تلاعباً في الترجمة الإنجليزية، وهي الأصل الذي عنه ترجم الكتاب المقدس إلى لغات العالم.

قلت: فما هو المصدر الذي نرجع إليه لنفهم النص الأصلي؟

قال: لفهم النص على حقيقته لابد أن نرجع إلى الأصل اليوناني.. فالنص في الترجمة اليونانية تعريبه هكذا :(في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله) وهنا يستخدم النص اليوناني بدلاً من كلمة (الله) كلمة (hotheos)، وفي الترجمة الإنجليزية تترجم (God) للدلالة على أن الألوهية حقيقة [1].

ثم يمضي النص فيقول:(وكان الكلمة الله)، وهنا يستخدم النص اليوناني كلمة (tontheos)، وكان ينبغي أن يستخدم في الترجمة الإنجليزية كلمة (god) بحرف صغير للدلالة على أن الألوهية مجازية (إله)، والتي لا تعني في اصطلاح الكتاب المقدس بالضرورة الله المعبود بحق، بل تأتي أحياناً على معنى السيد والرئيس المطاع أو على معنى ملاك عظيم، كما وقع في نص سفر الخروج:(جعلتك إلهاً لفرعون)(الخروج 7/1)

ولهذا استخدم النص اليوناني كلمة (tontheos)، والتي ينبغي في النص الإنجليزي (god) مع وضع أداة التنكير(a).

لكن الترجمة الإنجليزية حرفت النص اليوناني لمقدمة يوحنا

1() كمثال على ذلك أنه عندما تقول: عبد اليونان القدامى آلهة كثيرة، فإنك تقول بالإنجليزية :

The Ancient Greeks worshpped many gods.

وعندما تقول : نحن نعبد إلهاً واحداً، فإنك تقول بالإنجليزية :

We worship one God.

فعندما يكون الإله معبوداً بحق تستخدم في بدايته الحرف الكبير G وعندما لا يكون معبوداً بحق تستخدم في بدايته الحرف الصغير g.

فاستخدمت لفظة (God) التي تفيد ألوهية حقيقة بدلاً من (god) التي تفيد ألوهية معنوية أو مجازية، فوقـع اللبس في النص، وهـذا ولا ريب نوع من التحريف[1].

صمت، فقال: سأذكر لك من الشواهد ما يؤيد هذا الوجه.. فكلمـة إله لا تعني بالضرورة الله المعبود بحق كما في الكتاب المقدس:

فقد استعملت للدلالة على الشيطان كما في (كورنثـوس الثانيـة: 4: 4):(الذين فيهم اله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين لئلا تضيء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح الذي هو صورة الله)

واسـتعملت كلمـة آلهـة الـتي هي ثيـؤس اليونانيـة، فقـد جـاء في (يوحنا 10: 34):(أجابهم يسوع أليس مكتوبا في ناموسكم أنا قلت أنكم آلهة)

وفي (أعمال 10:ـ 40):(قـائلين لهـرون اعمـل لنـا آلهـة تتقـدم أمامنـا. لان هـذا موسـى الـذي أخرجنـا من ارض مصـر لا نعلم مـاذا أصابه)

وفي (أعمال: 10:ـ 43):(بل حملتم خيمـة مولـوك ونجم إلهكم رمفان التماثيل التي صـنعتموها لتسـجدوا لهـا. فـأنقلكم إلى مـا وراء بابل) فإله الوثنيين هنا أيضا (ثيؤس)

1() بعض الترجمات تقرر ذلك مثل ترجمة العالم الجديد التي تنص على:

.In the beginning was the Word، and the Word was with God، and the Word was divine" New World "Translation

و كذلك هذه الترجمة وتسمى العهد الجديد ترجمة أمريكية:

.In the beginning the Word existed. The Word was with God، and the Word was divine." The New Testament، An American Translation، Edgar Goodspeed and J. M. Powis Smith، The University of Chicago Press، p. 173

و فى قاموس الكتاب المقدس لجون ماكنزى طبعة كولير صفحة 317 :

Jn 1:1 should rigorously be translated 'the word was with the God]=the Father[، and the word was a divine being.'" The Dictionary of the Bible by John McKenzie، Collier Books، p. 317.

وفي (أعمال: 14ـ 11):(فالجموع لما رأوا ما فعل بولس رفعوا صوتهم بلغة ليكأونية قائلين ان الآلهة تشبهوا بالناس ونزلـوا إلينـا).. فحتى بولس حصل هو أيضا على نفس اللفظة اليونانية.

وفي (أعمال: 19ـ 26):(وانتم تنظرون وتسمعون انه ليس من افسس فقط بل من جميع اسيا تقريبا استمال وازاغ بولس هذا جمعا كثيرا قائلا إن التي تصنع بالأيادي ليست آلهة)

وفي (كورونثوس 8: 5):(لأنه وان وجد ما يسمى آلهة سواء كان في السماء أو على الأرض كما يوجد آلهة كثيرون وأرباب كثيرون)

و كل الأمثلة السابقة كانت الكلمة في الأصل ثيؤس.

وقد اتفق مفسروا العهد القديم على أن المقصـود بالآلهـة وببـني العلي: الرؤساء والقضـاة والملائكـة، وأن لقب آلهـة وأبنـاء اللـه لهم، ليس إلا لقبا تشريفيا لا أكثر، ولا يعني أبدا أنهم شركاء الله تعالى في ذاته ولاهوته.

بناء على ذلك فعبارة :(وإلـه هو الكلمـة) معناهـا :(وكـائنٌ روحيٌّ عظيم بل رئيسٌ للكائنات وعظيمٌ مقرب من الله هو الكلمة)

بالإضافة إلى كل هذا.. أجبني.. أنتم تقولون: إن الكلمة هي اللـه.. وليست الكلمة هي الإله بمفهوم الكتاب المقدس لكلمة الله.

قلت: أجل.. ذلك ما نقوله.

قال: فيمكنك أن تستبدل إذن كلمة :(الكلمة) بكلمة :(الله)

قلت: أجل.. يمكن ذلك.

قال: سيصير النص حينها هكذا:(في البـدء كـان اللـه، وكـان اللـه عند الله، وكان الله هو الله، الله كان في البدء عند اللـه).. هـل تـرى النص بهذه الصورة قائم المبنى مستقيم المعنى.. أم أنك تراه مختـل المبنى غير مستقيم المعنى، بل لا معنى له ولا يصح.

صمت، فقـال: من البـديهي أن الشـيء لا يكـون عنـد نفسـه، فلا يصح أن نقول كان زيد عند زيد.

قلت: وعلى التفسير الذي ذكرته، والذي ترى أن الترجمة حرفته.

قال: سيستقيم المعنى بذلك.. لأنه إذا صار الإله المُنَكَّر بمعنى الكائن الروحي العظيم الذي هو غير الله، صح أن نعتبره كان عند الله.

قلت: أسلم لك هذا.. فحرف واحد قد يغير المعنى تغييرا كليا.. ومع ذلك.. فهذا توجيه لا يكفي.. أنا أريد توجيها للنص نفسه.. وأنت إلى الآن تطوف بالنص.. ولا تجرؤ على القرب منه.

قال: لا يمكن أن تفهم النص مبتورا عن سياقه.. ولكن مع ذلك بحثت في هذا.. وهو **الوجه الثالث** من وجوه الرد على الاستدلال بهذا القول.

بماذا يبدأ هذا القول؟

قلت: يبدأ بقوله :(**في البدء كان الكلمة**)

قال: أنتم تفهمون من هذا أزلية المسيح.

قلت: أجل.. فالمسيح الإله كان موجوداً في الأزل قبل الخليقة.. وهذا النص يدل على ذلك.. ويدل على ذلك نصوص أخرى:

فهذا يوحنا يقول على لسان المسيح :(إن إبراهيم تشوق إلى أن يرى يومي هذا، فقد رآني وابتهج بي، من قبل أن يكون إبراهيم كنت أنا(يوحنا 8/56-58)، فهذا يدل على أن وجوده كان قبل إبراهيم، وذلك لا يعني إلا أنه كائن أزلي.

ويوحنا يقول عن المسيح :(هو ذا يأتي مع السحاب، وستنظره كل عين، والذين طعنوه...أنا هو الألف والياء، البداية والنهاية)(الرؤيا 1/7-8) أي الأول والآخر.

فهذه النصوص مصرحة برأي النصارى بأزلية المسيح وأبديته، وعليه فهي دليل ألوهيته.

قال: هذه نتيجة فهمتموها.. ويمكن تأويلها لمن أراد أن يحافظ على إحكام النصوص من غير أن ينسب غيرها من النصوص إلى

التقول على المسيح.

قلت: فكيف تؤولهـا.. وهي واضـحة صـريحة.. أم أنـك سـتعود بي إلى أنها أقوال ليوحنا؟

قال: لن أعود بك إلى ذلـك.. فللحـق من الأدلـة مـا لا يعوزنـا إلى التكرار.

فلنبدأ بأول كلمة.. وهي كلمة (البدء)؟.. ما معنى كلمة (البدء)؟

قلت: هي الأزل الذي لا بداية له.

قال: ولكنها لم ترد في الكتاب المقدس بهذا المعـنى فقـط.. بـل وردت بمعان أخرى:

فقد وردت للدلالة على وقت بداية الخلـق والتكـوين كمـا ورد في سفر التكوين :(في البدء خلق الله السموات والأرض)(التكوين1/1)

ووردت للدلالــة على وقت نــزول الــوحي، كمــا في قــول مــتى: (ولكن من البدء لم يكن هذا) (متى 19/8)

ووردت للدلالة على فترة معهودة من الزمن كما في قول لوقا :(كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء)(لوقا 1/2)، أي في أول رسالة المسيح..

بل ورد مثل ذلك من قول يوحنـا، فقـد قـال:(أيهـا الإخـوة لسـت أكتب إليكم وصية جديدة بـل وصـية قديمـة كـانت عنـدكم من البـدء. الوصية القديمة هي الكلمـة الـتي سـمعتموها من البـدء) (يوحنـا (1) 2/7).

ومثل ذلك قوله :(ولكن منكم قوم لا يؤمنون.لأن يسوع من البدء علم من هم الذين لا يؤمنون ومن هو الذي يسلمه)(يوحنا6/64).

وعلى هذا فلا يجوز اعتبار هذه الكلمة يراد بها الأزل.

قلت: لا.. في هذا المحل لا يفهم منها إلا الأزل.

قال: بأي قرينة فهمت ذلك؟

قلت: بقرينة الأقـوال الأخـرى الـتي ذكرتهـا.. فهي تفسـر المـراد بالبدء.

قال: ولهـذا سـنترك كلمـة البـدء لنبحث في دلالـة مـا ذكـرت من أقوال تستدل بها على أزلية المسيح.

قلت: المنهج العلمي يقتضي هذا.

قال: ما المراد بقول بولس عن نفسه وأتباعه:(كمـا اختارنـا فيـه قبـل تأسـيس العـالم لنكـون قديسـين)(أفسـس: 1/4).. فهـل كـان بولس ومن معه من القديسين أزليين وآلهة كالمسيح؟

قلت: لا.. مراده من ذلك أن اختيار الله واصطفاءه له قديم.

قال: أتقصد أنه أراد أن يقول:(اختارنـا بقـدره القـديم)، ولا يفيـد أنهم وجدوا حينذاك.

قلت: أجل.. هذا ما ينبغي أن يفهم من قول بولس.

قال: وهذا ما ينبغي أن يفهم من قول يوحنا عن المســيح.. فليس المقصود الوجـود الحقيقي للمسـيح كشـخص، بـل المقصـود الوجـود القدري والاصطفائي.

وهذا الاصطفاء هو المجد الذي منحه الله المسيح، كما في قوله :(والآن مجدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الـذي كـان لي عنـدك قبل كون العالم)(يوحنا 17/5)، وهو المجد الذي أعطاه لتلاميذه حين اصـطفاهم واختـارهم للتلمـذة كمـا اللـه اختـاره للرسـالة :(وأنـا قـد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني)(يوحنا 17/22)

ومثله عرف إبراهيم المسيح قبل خلقه، لا بشخصه طبعاً، لأنــه لم يــره قطعــاً :(فقــد رآني وابتهج بي)، فالرؤيــة مجازيــة، وهي رؤيــة المعرفة، وإلا لزم النصـارى أن يـذكروا دليلاً على رؤيـة إبـراهيم للابن الذي هو الأقنوم الثاني.

قلت: فقول يوحنـا على لسـان المسـيح أنـه قـال :(من قبـل أن يكون إبـراهيم كنت أنـا)(يوحنـا 8/56-58)، ألا يـدل على وجـوده في الأزل؟

قال: لا.. وغاية ما يفيده النص إذا أخذ على ظاهره أن للمسيح وجوداً أرضياً يعود إلى زمن إبراهيم، وزمن إبراهيم لا يعني الأزل.

ومع ذلك، فلو كان المسيح أقدم من إبراهيم وسائر المخلوقات، فإن له لحظة بداية خُلق فيها، كما لكل مخلوق بداية، وقد ذكر بولس هذا فقال:(الذي هو صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة) (كولوسي 1/15)، وبكر الخلائق أي أولها، وذلك يستدعي كونه مخلوقا.

صمت، فقال: أتعرف ملكي صادق كاهن ساليم في عهد إبراهيم؟

قلت: وكيف لا أعرفه، وقد أثنى عليه بولس ثناء حسنا لم يحظ به غيره؟

قال: ألا يخبر بولس أن لا أب له ولا أم، وأنه لا بداية له ولا نهاية؟

أدركت ما يرمي إليه، فقلت: أجل.. لقد قال عنه:(ملكي صادق هذا ملك ساليم كاهن الله العلي...بلا أب، بلا أم، بلا نسب، لا بداءة أيام له، ولانهاية حياة، بل هو مشبه بابن الله، هذا يبقى كاهناً إلى الأبد)(عبرانيين 1/7-3)

قال: فلم لا تقولون بألوهية ملكي صادق الذي يشبه بابن الله.. بل هو متفوق على المسيح الذي تذكرون أنه صلب ومات، وله أم بل وأب حسب ما أورده متى ولوقا، في الحين الذي يتنزه فيه ملكي صادق عن ذلك كله؟

صمت، فقال: دعنا من ملكي صادق وهيا بنا إلى سليمان ألم يقل عن نفسه :(أنا الحكمة أسكن الذكاء، وأجد معرفة التدابير...الرب قناني أول طريقه، من قبل أعماله منذ القديم، منذ الأزل مسحت، منذ البدء، منذ أوائل الأرض، إذ لم يكن ينابيع كثيرة المياه، ومن قبل أن تقرر الجبال أُبدئت، قبل التلال أبدئت)(الأمثال 8/12-25).

قلت: لعله يشير هنا إلى المسيح.

قال: لا.. أنت والجميع تدركون أنه يشير به إلى نفسه.. فسليمان هو الموصوف بالحكمة في الكتاب المقدس، كما في سفر الأيام:

(مبارك الرب إله إسرائيل الذي صنع السماء والأرض، الذي أعطى داود الملك ابناً حكيماً صاحب معرفة وفهم، الذي يبني بيتاً للرب وبيتاً لملكه)(أيام:2/12)

بينما لم تطلق الحكمة أصلاً على المسيح، ولم يختص بها، فلا وجه في الدلالة على ألوهية المسيح بهذا النص قطعاً.

قلت: ولكنه قال :(منذ الأزل مسحت)

قال: هذه الكلمة لا تدل على المسيح وحده، لأن لفظ (المسيح) لقب أطلق على كثيرين غير المسيح.. فالمسحاء من مسحهم الله ببركته من الأنبياء كداود وإشعيا كما في (المزمور: 45/7)، و(إشعيا: 61/1)، فلا وجه لتخصيص المسيح بهذا اللقب.

قلت: وما ترد على ما ورد في نصوص سفر الرؤيا، والتي ذكرت أن المسيح هو الألف والياء، وأنه الأول والآخر؟

قال: أولا.. جميع ما في هذا السفر مجرد رؤيا منامية غريبة رآها يوحنا، ولا يمكن أن يعول عليها، فهي منام كسائر المنامات التي يراها الناس، فقد رأى يوحنا حيوانات لها أجنحة وعيون من أمام، وعيون من وراء، وحيوانات لها قرون بداخل قرون، كما في (الرؤيا: 4/8)

قلت: ولكن يوسف كما يقول قرآنكم رأى الكواكب والشمس والقمر ساجدة له، ومع ذلك اعتبرت رؤياه صحيحة صادقة.. بل كانت حياة يوسف كلها تأويلا لهذه الرؤيا.

قال: صدقت.. وهذا ما أردت أن أجرك إليه.. هل يمكن لفلكي أن يستنتج من قول يوسف حقائق علمية ترتبط بالفلك؟

قلت: لا.. فالرؤيا لا يراد بها ظاهرها.. بل كانت الكواكب تشير إلى إخوة يوسف، والشمس والقمر يشير إلى والديه.

قال: فكذلك ما ذكرت من الرؤيا.. لابد لها من تأويل.. أو أن فهمها يختلف باختلاف مؤولها.

قلت: ولكن هناك من الرؤى ما يكون له من الوضوح ما لا يستدعي تأويلا.

قال: لا بأس.. سأسلم لك هذا.. لقد ورد في آخر هذا السفر مثـل هذه العبارات صدرت عن أحد الملائكة كمـا يظهـر من سـياقها، وهـو قوله :(أنا يوحنا الذي كان ينظر ويسمع هـذا.وحين سـمعت ونظـرت خررت لأسجد أمـام رجلي الملاك الـذي كـان يريـني هـذا. فقـال لي: انظر لا تفعل. لأني عبد معـك ومـع إخوتـك الأنبيـاء والـذين يحفظـون أقوال هذا الكتاب.اسجد للّه. وقال لي: لا تختم على أقوال نبـوة هـذا الكتاب لأن الوقت قريب.. وها أنا آتي سريعاً، وأجرتي معي. أنا الألف والياء. البداية والنهايـة. الأول والآخـر)(الرؤيـا 22/8-13)، وليس في ظـاهر النص مـا يـدل على انتقـال الكلام من الملاك إلى المسـيح أو غيره.

صمت، فقال: فلنترك :(البدء).. ولنذهب إلى الكلمة.

ما المقصود بالكلمة؟ هل هو المسيح؟ أم أن اللفظ يحتمل أمـوراً أخرى؟

قلت: لفظة (الكلمة) لها إطلاقـات عديـدة في الكتـاب المقـدس، حيث يراد منها الأمر الإلهي الذي به صنعت المخلوقات، كمـا جـاء في المزامير (بكلمة الله صنعت السماوات)(المزمور 13/6)، ومثل ذلك ما ورد في التكوين :(وقال الله: ليكن نور فكان نور)(التكوين 1/3)

ويراد منها الأقنوم الثاني من الثالوث.

قال: أين تجد ذلك في الكتاب المقدس؟

قلت: هذا ما يفهم من الكتاب المقدس.

قال: لقد اتفقنا على التفريق بين النص والفهم.. فقد يفهم أحدهم من كلامك ما لم ترده.

قلت: ولكن النصوص تستدعي الفهم.

قال: وفي حـال الاختلاف في الفهـوم نبحث في النصـوص للبحث عن الفهم الصحيح.

قلت: أجل..

قال: فلماذا نخرج بالكلمة عن المراد منها.. والذي ذكر في الكتاب المقدس.. بل ذكر في كتاب المسلمين المقدس، فالله تعالى سمى المسيح كلمته، قال تعالى :﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ (النساء: من الآية171).. فقد سمي المسيح كلمة لأنه خلق بأمر الله من غير سبب قريب، أو لأنه أظهر كلمة الله، أو لأنه الكلمة الموعودة على لسان الأنبياء[1].

قلت: إن يوحنا وضح المراد من الكلمة، فيقول:(وكان الكلمة الله)، فقد أطلق عليه اسم الله.

قال: فقد أطلق هذا الاسم على غير المسيح.. فهل تعتبرون كل من أطلق عليه هذا الاسم إلها؟

لقد أطلق على القضاة في العهد القديم هذا الاسم، فقد ورد فيها :(الله قائم في مجمع الله. في وسط الآلهة يقضي. حتى متى تقضون جوراً وترفعون وجوه الأشرار) (المزمور82/1).. ورد في سفر الخروج (22:ـ 8):(وإن لم يوجد السارق يقدم صاحب البيت إلى الله ليحكم، هل يمد يده إلى ملك صاحبه) فقوله: إلى الله، أي: إلى القاضي.. وورد في نفس السفر (22:ـ 9):(في كل دعوى جنائية من جهة ثور أو حمار أو شاة أو ثوب أو مفقود ما، يقال: إن هذا هو، تقدم إلى الله دعواها، فالذي يحكم الله بذنبه يعوض صاحبه باثنين)، فقوله إلى الله، أي: إلى القاضي نائب الله..

وأطلق لفظ الله على الملك، كما ورد في سفر القضاة (13: 21

1() نص المفسرون على أن معنى تسمية المسيح كلمة الله هو أن الله تعالى قد خلقه بالكلمة، وهي (كن)، وأن الكلمة نفسها ليست ذات المسيح، فالمسيح مخلوق بالكلمة وليس هو الكلمة.

وهذا ما يدل عليه قوله تعالى:﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾(آل عمران : 47)

فقد بينت هذه الآية الكريمة أنه لما تعجبت مريم ـ عليها السلام ـ من ولادة هذا الولد من غير أب أجابها الملاك مقرراً أن الله تعالى يخلق ما يشاء، فإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون، فدل ذلك على أن هذا الولد مما يخلقه الله بقوله (كن فيكون)

ويدل على هذا كذلك قوله تعالى:﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾(آل عمران:59)

،ـ 22):(وَلَمْ يَتَجَلّ مَلاَكُ الرَّبِّ ثَانِيَةً لِمَنُوحَ وَزَوْجَتِـهِ. عِنْدَئِذٍ أَدْرَكَ مَنُـوحُ أَنَّهُ مَلاَكُ الرَّبِّ. فَقَـالَ مَنُـوحُ لاِمْرَأَتِـه نمـوت موتـاً لأَنَّنَـا قَـدْ رَأَيْنَـا اللـهَ) وواضح أن الذي تراءى لمنوح وامرأته كان الملك.

وأطلـق على الشـرفاء في قـول داود :(أحمـدك من كـل قلـبي، قدام الآلهة أرنم لك)(138/1)

وأطلق على الأنبياء كموسـى في سـفر الخـروج (7:ـ 1) :(قـال الرب لموسى: انظر أنا جعلتـك إلهـاً لفرعـون وهـارون أخـوك يكـون نبيك)))

فلــو كــان إطلاق كلمــة اللــه أو إلــه على المخلــوق يقتضــي أن اللاهوت حل فيه للزم بنـاء على النصـوص السـابقة أن يكـون الملـك والقاضي والإشراف كلهم آلهة، وهذا لم يقل به أحد.

ولكن بالنظر لكون الملائكة والقضاة نوابـاً عن اللـه أطلـق عليهم كلمة الله، وبالنظر إلى أن أولئك الأشراف فيهم صفة المجـد والقـوة اللتين يوصف بهما الله، أطلق عليهم لفظ الله مجازاً.

قلت: فما تفهم أنت من :(الكلمة)؟

قال: أرى أن إطلاق الكلمة على المسـيح في هـذا الموضـع تـدل على أنه المقصود مما جاء بكلام الأنبياء عنـه وبشـارتهم بـه فقـد ورد في سفر أرميا (33:ـ 14) قوله :(ها أيـام تـأتي يقـول الـرب: وأقيم الكلمة الصالحة الـتي تكلمت بهـا إلي بيت إسـرائيل وإلي بيت يهـوذا في تلــك الأيــام) فــالمراد بالكلمــة الصــالحة هنــا هي كلمــة الوعــد والبشرى بالمسيح المنتظر.

وورد في سفر اشـعياء (2:ـ 3) قولـه :(لأنـه من صـهيون تخـرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب)

ومما يؤكـد هـذا أنـه كثـيراً مـا يطلـق لفـظ (الكلمـة) في الكتـاب المقدس ويراد بها كلمة الوعد والبشرى:

فقد ورد في (المزمـور: 105:42):(لأنــه ذكـر كلمـة قدسـه مـع إبراهيم عبده)

وورد في سفر (أخبار الأيام الأول: 16:ـ 15):(اذكـروا إلي الأبـد عهده الكلمة التي أوصى بها إلي ألف جيل الذي قطعه مع إبراهيم)

وبذلك تكون إضافة الكلمة إلى الله من باب الاحـتراز عن الكلمـة التي للشيطان، وهي التي لا تصدق، كما جاء في سفر (الأمثال:30:5):(كل كلمة من الله نقية)

صمت، فقال: فلنترك هذا.. ولنحـاول فهم قولـه :(والكلمـة كـان عند الله).. ماذا تعني الكلمة في هذا المحل؟

قلت: لا شك أنها تعني المثلية والمساواة.

قال: لقد ورد في الكتاب المقدس :(اقتنيت رجلاً من عند الـرب) (التكوين 4/1)، فقايين ليس مساوياً للرب، ولا مثلـه، ومـع ذلـك عـبر عنه بالعندية، أي أنه جاءها من عنده.

وفي موضع آخر :(وأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتاً وناراً من عند الرب)(التكوين 19/24)

سكت قليلا، ثم قـال: لقـد ذكرنـا ثلاثـة وجـوه للـرد هي المصـدر، والترجمة، والمحتوى، وبقي لنا **وجه رابع** يقره العقل السليم.

قلت: فما هو؟

قال: هـو لـوازم القـول.. فـاللوازم قـد يـرد بهـا على مـا فهم من القول.

قلت: ذلك صحيح..

قال: ألا ترى أنه يلزم من هذا النص إبطال عقيدة التثليث؟

قلت: كيف ذلك؟

قال: إن النص يتحدث عن اللـه والكلمـة فقـط، ولا يوجـد أي أثـر للأقنوم الثالث الذي هو الروح القدس.. فإذا كـان الـروح القـدس هـو إله حق مساوي للأب والابن في كل شيء، وأن له كـل المجـد الـذي للأب والابن، فلماذا لم يذكر في هذه الافتتاحية المهمة؟

صمت، فقال: هذا اللازم الأول.. والثاني: ألم يقـل يوحنـا :(وكـان الكلمة الله).. ألا يلزم عن هذا القول أن الجسد هو الله؟

قلت: لا يلزم ذلك.

قـال: ولكن يوحنـا قـال :(والكلمـة صـار جسـداً).. وبـذلك يصـبح للكلمة كيان مستقل إلهي.. وهو تصور لا يقلبه إلا وثني.

صمت، فقال: لقد اعتـبر يوحنـا أن الكلمـة هي اللـه، وأن الكلمـة صارت جسداً.. ألا يلزم من ذلك صيرورة الله جسدا؟

صمت، فقال: وإذا صار الله جسدا.. أليس ذلك تغييرا فيه.. مع أن الكتاب المقدس يعلمنا أن الله لا يتغير (ملاخي 3: 6)؟

صمت، فقال: إذا صدقنا كلمة يوحنا، واعتبرنـا اللـه صـار جسـدا.. فهذا يلزم عنه أن كل ما وقع لهذا الجسد من قبـل اليهـود من ضـرب وجلد هو واقع على الكلمة لأن الكلمة صارت جسدا، وهـذا من أبطـل الباطل في حق الله الكامل المنزه عن كل نقص.

صمت، فقال: هل الكلمة هي الـتي تنطـق بنفسـها أم ينطـق بهـا غيرها؟

قلت: بل ينطق بها الغير.

قال: فمن نطق بكلمة المسيح فكان؟ أليس هو الله؟

قلت: بلى..

قال: فالكلمة كانت عند الله، أي نطـق اللـه بهـا، وهي كلمـة (كن المسيح) فكان.. فكيف تتحول الكلمة التي نطق الله بها، فتصـير هي الله نفسه؟

صـمت، فقـال: هـل رأيت إنسـاناً نطـق بكلمـة، ثم تحـولت هـذه الكلمة في الحال لتصبح هي نفس الإنسان الذي نطق بها!؟

هل تتحول القصيدة التي ألقاها شاعر لتصير هي نفس الشـاعر!؟ أم أن الشاعر هو ناطق، والقصيدة منطوقة بفمه، فيكون هو ناطقها، أي موجدها وصانعها، والقصيدة مصنوعة مصوغة بإرادته؟

صمت، فقال: ألا يكون القول عادة معبرا عن عقيدة قائله؟

قال: أجل.. إلا إذا كان منافقا يظهر خلاف ما يبطن.

قلت: لا.. لن نتحدث هنا إلا عن القديسين.. وعن يوحنا بالذات.. لقد وردت عن يوحنا كلمات كثيرة تنبئ عن تصوره للعلاقة بين المسيح والله تعالى من خلال ما سطره في إنجيله :

فهو ينقل عن المسيح قوله :(الحق الحق اقول لكم انه ليس عبد اعظم من سيده ولا رسول أعظم من مرسله)(يوحنا: 13:ـ 16)، فهو قد صرح هنا بأن الله أعظم ممن يرسله أو المرسل أعظم من المرسل، فإذا كان الرسول ليس بأعظم من مرسله كما يقول المسيح، وأن هناك فرق بين المرسل والمرسل، فلنثبت من كلام يوحنا أن الابن قد وقع عليه الإرسال وأنه مرسل من الله.

وهو يقول في رسالته الأولى :(إن الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا به) (4: 9)

وهو يقول :(لأن الذي أرسله الله يتكلم بكلام الله. لأنه ليس بكيل يعطي الله الروح) (يوحنا 3: 34)

وينقل عن المسيح قوله :(الآب نفسه الذي أرسلني يشهد لي) (يوحنا: 5:ـ 37)، فهل ترى أن من يريد أن يقنعنا بأن المسيح والله واحد يكتب مثل هذا؟

وينقل عنه قوله :(سمعتم أني قلت لكم أنا اذهب ثم آتي إليكم.لو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون لأني قلت أمضي إلى الآب.لان أبي أعظم مني)(يوحنا:14: 28).. فهل يستطيع أي شخص أن يذهب إلى نفسه، وتكون نفسه أعظم منه.

وهو يقول :(تكلم يسوع بهذا ورفع عينيه نحو السماء وقال أيها الآب قد أتت الساعة.مجد ابنك ليمجدك ابنك أيضا) (يوحنا:17:1) ومعنى هذا على حسب فهمكم لكلمة يوحنا :(مجدت نفسي حتى أمجد نفسي)

وينقل عن المسيح قوله :(أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني

يكونـون معي حيث أكـون أنـا لينظـروا مجـدي الـذي أعطيتـني لأنـك أحببتني قبل إنشاء العالم)(يوحنا: 17: 24)

فهل ترى بعد كل هذا أن بداية إنجيل يوحنا تنسجم مع بقية إنجيل يوحنا نفسه؟

2 ـ البنوة

قلت: سلمت لك بكل ما ذكرت.. فلننتقل إلى اللفظ الثاني الـذي نستنبط منه عقائدنا.. فالنصوص الإنجيلية تصف المسيح أنه ابن اللـه، وهي أدلة صريحة على ألوهية المسيح.

قال: سنرد على هذا من أربعة وجوه كذلك: المصـدر، والترجمـة، والمحتوى، واللوازم.

قال: أجبني هل سمى المسيح نفسه ابن الله؟

قلت: أجل.. لقد سمى نفسه كذلك في(يوحنا 10/37)

قـال: مـرة واحـدة كـان ذلـك، وفي الإنجيـل الـذي شـككنا في مصدره.. والمحققون مع ذلك يشككون في صدور هذه الكلمـات من المسيح أو تلاميـذه، كمـا قـال سـنجر في كتابـه (قـاموس الإنجيـل): (ليس من المتيقن أن المسيح نفسه قد استخدم ذلك التعبير)

ويقول شارل جنيبر:(المسيح لم يدع قـط أنـه المسـيح المنتظـر، ولم يقل عن نفسه بأنه ابن الله، فهذه لغـة اسـتخدموها المسـيحيون فيما بعد في التعبير عن المسيح)

ويقول العالم كولمن بخصوص هـذا اللقب:(إن الحـواريين الـذين تحـدث عنهم أعمـال الرسـل تأسَـوا بمعلمهم الـذي تحفـظ على استخدام هذا اللقب ولم يرغب به، فاستنوا بسنته)

ويرى جنيبر أن المفهـوم الخـاطئ وصـل إلى الإنجيـل عـبر الفهم غير الدقيق من المتنصرين الوثنيين فيقـول :(مفهـوم (ابن اللـه) نبـع من عالم الفكر اليوناني)

قلت: ولكن مع ذلك، فقد أقر المسيح من أطلق عليه هذا الاسم.

قال: سنتحدث عن هذا عند البحث عن دلالة الكلمة في الكتاب المقدس.. ولكني الآن أقول لك بأن بولس ـ وهومن هو ـ هو أول من استعمل الكلمة، وكانت حسب لغة المسيح تعني عبد الله، وترجمتها اليونانية servant، فأبدلها بالكلمة اليونانية pais بمعنى طفل أو خادم تقرباً إلى المتنصرين الجدد من الوثنيين.

وقد عرفنا أنه كان يهتم بنشر المسيحية بغض النظر عن صفائها.

قلت: دعنا من هذا.. فأنا لا أحب التعرض لأحد بسوء.

قال: وأنا مثلك.. فلتترك الكلام في هذا.. ولنبحث في الكلمة نفسها.. ألستم تستدلون بكون ابن الله على طبيعته الإلهية؟

قلت: بلى..

قال: فقد ذكر المسيح أيضاً أنه ابن الإنسان.. بل قد ذكر ذلك في ثلاث وثمانين نصاً من النصوص، كلها أطلقت على المسيح لقب (ابن الإنسان)، فلئن كانت تلك التي أسمته ابن الله دالة على ألوهيته، فإن هذه مؤكدة لبشريته، صارفة تلك الأخرى إلى المعنى المجازي.

صمت، فقال: أليس من الكتاب المقدس قول متى :(قال له يسوع: للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار.وأما ابن الإنسان فليس له، أين يسند رأسه)(متى 8/20)

أليس فيها :(ابن الإنسان ماض كما هو مكتوب عنه) (مرقس: 14/21)؟

أليس فيها :(ليس الله إنساناً فيكذب، ولا ابن إنسان فيندم) (العدد 23/9) فالمسيح ليس الله؟

صمت، فقال: ومع ذلك.. هل خص المسيح بإطلاق هذا اللقب عليه؟

قلت: لا.. قد ورد في الكتاب المقدس ذكر لأبناء كثيرين لله..

قال: فعدد لي منهم من ذكروا بهذا الوصف.

قلت: هم كثيرون:

فمنهم آدم الذي قيل فيه :(آدم ابن الله)(لوقا: 3/38)

ومنهم سليمان، فقد جاء في سفر الأيام :(هو يبـني لي بيتـاً ...أنـا أكون له أباً، وهو يكون لي ابناً) (الأيام: 17/12-13)

ومنهم داود كمـا في المزامـير :(أنت ابـني، أنـا اليـوم ولـدتك) (المزمور 2/7)

ومنهم الملائكة،كما في لوقا :(مثلَ الملائكةِ وهم أبناء الله)(لوقـا 20/36)

قاطعني، وقال: وقد سمت النصوص آخرين أيضا بأنهم أبناء اللـه، أو ذكرت أن الله أبوهم:

فالحواريون أبناء الله، كما قـال المسـيح عنهم :(قـولي لهم: إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم)(يوحنا 20/17)

وقال للتلاميذ أيضاً :(فكونوا أنتم كاملين، كما أن أبـاكم الـذي في السماوات هو كامل)(متى 5/48)

وعلمهم المسـيح أن يقولـوا:(فصـلوا أنتم هكـذا: أبانـا الـذي في السماوات، ليتقدس اسمك)(مـتى 6/9)، وقولـه :(أبـوكم الـذي في السماوات يهب خيرات للـذين يسـألونه)(مـتى 6/11)، فكـان يوحنـا يقول:(انظروا أية محبة أعطانا الآب حـتى نـدعى أولاد اللـه)(يوحنـا: 3/1)

بل إنه أطلق هذا اللقب على اليهود كما في قول المسيح لليهود :(أنتم تعملون أعمال أبيكم، فقالوا لـه: إننـا لم نولـد من زنـا. لنـا أب واحد، وهو الله)(يوحنا 8/41)

وقد أطلق هذا اللقب في الكتاب المقدس على اليهود كثيرا، كمـا في قوله:(يكون عدد بني إسرائيل كرمل البحر الذي لا يكال ولا يعـدّ ويكون عوضاً عن أن يقال لهم: لستم شعبي، يقـال لهم :(أبنـاء اللـه الحي)(هوشع: 1/10).

ومثل ذلك ما ورد :(لما كـان إسـرائيل غلامـاً أحببتـه، ومن مصـر دعوت ابني)(هوشع: 11/1).

ومثل ذلك ما جاء في سفر الخروج عن جميع شعب :(فتقول لفرعون هكذا: يقول الرب: إسرائيل ابني البكر. فقلت لك: أطلق ابني ليعبدني فأبيت)(الخروج 4/22)..

وخاطبهم داود قائلاً :(قدموا للرب يا أبناء الله، قدموا للرب مجداً وعزّاً)(المزمور 29/1)

ومثله قوله :(لأنه من في السماء يعادل الرب. من يشبه الرب بين أبناء الله)(المزمور 89/6).

وفي سفر أيوب :(كان ذات يوم أنه جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب)(أيوب 1/6).

بل أطلق هذا على الشرفاء والأقوياء كما ورد :(أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات.فاتّخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا.. إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولاداً. هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذوو اسم)(التكوين 6/2)

وقال الإنجيل عن صانعي السلام:(طوبى لصانعي السلام، لأنهم أبناء الله يُدعون)(متى 5/9)

التفت إلي، وقال: فهل ترى أن كل هؤلاء يمكن اعتبارهم آلهة؟

قلت: لا..

قال: فلم تخصون المسيح وحده بالألوهية مع أن نفس اللفظ أطلق على غيره؟

قلت: ولكن المعنى الحقيقي للبنوة ورد خاصا بالمسيح.

قال: في أي موضع؟

قلت: لقد نطقت به الشياطين، ففي إنجيل لوقا :(كانت شياطين أيضاً تخرج من كثيرين وهي تصرخ وتقول: أنت المسيح ابن الله، فانتهرهم، ولم يدعهم يتكلمون لأنهم عرفوه أنه المسيح)(لوقا 4/41)

قال: أولا هذا كلام الشياطين.. وثانيا: انتهرها المسيح.. وثالثا: لا

دليل على أن المراد من البنوة هنا نفس ما ورد في سائر المواضع.. ورابعا: لم تقل الشياطين أن هذا هو ابن الله الحقيقي لا المجازي الذي تعودوا عليه.

قلت: لكن نصوص الكتاب المقدس تذكر تميزاً مستحقاً للمسيح في بنوته عن سائر الأبناء.

قال: وما هي؟

قلت: لقد جاء وصف المسيح بأنه الابن البكر أو الوحيد لله (عبرانيين:1/6، يوحنا:3/18)

وسمي ابن الله العلي (لوقا: 1/32، 76)

وذكر أنه ابن ليس مولوداً من هذا العالم كسائر الأبناء، بل هو مولود من السماء، أو من فوق (يوحنا 1/18).

قال: ولكن كل ما ذكرته تثبت النصوص أمثاله لأبناء آخرين:

فالبكورية وصف بها إسرائيل :(إسرائيل ابني البكر)(الخروج: 4/22-23)

ومثل ذلك افرايم :(لأني صرت لإسرائيل أباً، وإفرايم هو بكري) (إرميا: 21/9)

ومثل ذلك داود :(هو يدعوني: أنت أبي وإلهي وصخرة خلاصي، وأنا أيضاً أجعله بكراً، فوق ملوك الأرض علياً)(المزمور 89/26-27)

وابن الله العلي، ذكر مثلها لغير المسيح:

فقد ذكرت لسائر بني إسرائيل :(وبنو العلي كلكم)(مزمور: 82/6)

وذكرت في تلاميذ المسيح، فهم أيضاً بنو العلي :(أحبوا أعداءكم... فيكون أجركم عظيماً

وعبارة (الابن الوحيد) في الكتاب المقدس لا تعني بالضرورة الانفراد والوحدانية الحقيقية، بل قد يقصد بها الحظوة الخاصة

والمنزلة الرفيعة، فقد ورد في سفر التكوين :(يا إبراهيم! فقال: هاأنذا. فقال: خذ ابنك وحيدك الذي تحبه، اسحق، واذهب إلى أرض المريا) (تكوين: 22/1ـ2)، فأطلق الكتاب المقدس على اسحق لقب الابن الوحيد لإبراهيم، هذا مع أنه، طبقا لنص التوراة نفسها، كان إسماعيل قد وُلِد لإبراهيم، قبل إسحق، كما جاء في سفر التكوين :(فولدت هاجر لأبرام ابنا ودعا أبرام اسم ابنه الذي ولدته هاجر إسماعيل. كان أبرام ابن ست وثمانين لما ولدت هاجر إسماعيل لأبرام) (تكوين: 16 /ـ 15 ـ 16)، ثم تذكر التوراة أنه لما بلغ إبراهيم مائة سنة بشر بولادة إسحق (التكوين: 17: 15 إلى 20)، وبناء عليه لم يكن اسحق ابناً وحيداً لإبراهيم بالمعنى الحقيقي للكلمة، مما يؤكد أن تعبير (الابن الوحيد) لا يعني بالضرورة ـ في لغة الكتاب المقدس ـ معنى الانفراد حقيقة، بل هو تعبير مجازي يفيد أهمية هذا الابن، وأنه يحظى بعطف خاص ومحبة فائقة وعناية متميزة من أبيه، بخلاف سائر الأبناء.

التفت إلي، وقال: فأنت ترى من خلال هذا أنه لا خصوصية للمسيح.. لا في لفظ البنوة، ولا في الصفات المرتبطة بها.

قلت: نحن نستدل على ذلك بأدلة أخرى.

قال: لا.. دعنا مع هذا الدليل.. ولنتكلم عن كل دليل على حدة.. وإلا وقعنا في الدور.. ألسنا نبحث عن الحق؟

قلت: بلى..

قال: فلا ينبغي أن نتلاعب بالأدلة حين نبحث عنه.

قلت: نحن لا نتلاعب.. بل نحن نشير إلى أدلة أخرى.

قال: فأنت ترى أن هذا الدليل لا يكفي لتقرير ما تريدون.

لم أملك إلا أن أرد بالإيجاب، فقال: فلنطرحه إذن من جملة الأدلة.. لقد طرحنا دليل الكلمة.. وهنا نطرح دليل البنوة.

قلت: فما معنى البنوة الذي تراه؟

قال: عند تتبعنا لاستخدام عبارة (ابن الله) في الأناجيل نرى أن

هذا التعبير يقصد به معنى الصالح البار الوثيق الصلة بالله والمتخلَق بأخلاق الله.. ويدل لهذا أدلة كثيرة:

فمرقس، وهو يحكي عبارة قائد المائة الذي شاهد المصلوب وهو يموت قال :(حقاً كان هذا الإنسان ابن الله)(مرقس 15/39).

ولما حكى لوقا القصة نفسها أبدل العبارة بمرادفها فقال : (بالحقيقة كان هذا الإنسان باراً)(لوقا 23/47).

ومثل هذا الاستخدام وقع من يوحنا حين تحدث عن أولاد الله فقال:(وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله. أي المؤمنين باسمه)(يوحنا 1/12)

ومثله قال: (الذي يسمع كلام الله من الله)(يوحنا 8/47)

ومثل هذه الإطلاق المجازي للبنوة معهود في الكتب المقدسة التي تحدثت عن أبناء الشيطان، وأبناء الدهر (يوحنا: 8/44، لوقا: 16/8)

وبهذا المعنى كان يستخدم اليهود ـ مخاطَبي المسيح ـ لفظة (ابن الله)، التي لم تكن غريبة عليهم، بل شائعة ومستخدمة لديهم بهذا المعنى، ولذلك نجد أن أحد علماء اليهود وهو (نتنائيل) لما سمع من صديقه فيليبس، عن نبيٍّ خرج من مدينة الناصرة، استنكر ذلك في البداية، لكنه لما ذهب ليرى المسيح بنفسه، عرفه المسيح وقال فيه :(هو ذا إسرائيلي خالص لا غش فيه)، فقال له نتنائيل :(من أين تعرفني؟)، فأجابه المسيح :(قبل أن يدعوك فيليبس وأنت تحت التينة، رأيتك)، فأجابه نتنائيل :(رابِّي! أنت ابن الله، أنت ملك إسرائيل)(يوحنا 1:ـ 5 ـ 49).. فلا شك أن مقصود نتنائيل، كإسرائيلي يهودي موحد، عالم بالكتاب المقدس، من عبارة ابن الله هذه، لم يكن: أنت ابن الله المولود منه والمتجسد ولا مقصوده: أنت أقنوم الابن المتجسد من الذات الإلهية.

قلت: وما أدراك بذلك؟

قال: لأن هذه الأفكار كلها لم تكن معروفة في ذلك الوقت، ولا تحدث المسيح نفسه عنها، ولأن هذه الحادثة حدثت في اليوم الثاني

لبعثة المسيح فقط.. إن الواضح المقطوع بـه أن مقصـود نتنائيـل من عبارته أنت ابن الله: أنت مختار اللـه ومجتبـاه، أو أنت حـبيب اللـه أو من عند الله، أو أنت النبي الصالح البار المقدس، ونحو ذلك.

ومما يؤكد ذلك، أن لقب (ابن اللـه) جـاء بعينـه، في الإنجيـل، في حق كل بارٍّ صالح غـير المسـيح، كمـا اسـتعمل (ابن إبليس) في حـق الإنسان الفاسد الطالح:

ففي إنجيل متى (5: 9) :(طوبى لصانعي السلام فإنهم أبناءُ الله يُدْعَوْنَ).. وفيه أيضـا :(وأمـا أنـا فـأقول لكم أحبـوا أعـداءكم، بـاركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصـلوا لأجـل الـذين يسـيئون إليكم، ويطردونكم، لكي تكونوا أبنـاء أبيكم الـذي في السـموات)(مـتى :5: 44 ـ 45)

وفي إنجيل لوقا (6: 35):(بل أحبوا أعداءكم وأحسنوا وأقرضـوا وأنتم لا ترجون شيئا فيكون أجركم عظيمـا وتكونـوا بـني العـَلِيِّ فإنـه منعم على غير الشـاكرين والأشـرار)، فسـمَّى الأبـرار المحسـنين بلا مقابل المتخلِّقين بــخُلُقِ اللـه بِـ (أبنـاء العلي) و(أبنـاء أبيهم الـذي في السموات)..

و في الإصحاح الأول من إنجيل يوحنا يقـول :(وأمـا الـذين قبلـوه (أي قبلوا السيد المسيح)، وهم الذين يؤمنون باسمه، فقد مكَّنهم أن يصيروا أبناء الله)(1: 12)

وكل هذا يدل على أنه في لغة مؤلفي الأناجيل واللغـة الـتي كـان يتكلمها السيد المسيح، كان يُعَبَّرُ بـ (ابـن الله) عن كل رجل بار صـالح وثيق الصلة بالله مقرب منـه يحبـه اللـه ويتـولاه ويجعلـه من خاصـته وأحبابه.

قلت: فما وجه الاستعارة في هذا؟

قال: وجه هذه الاسـتعارة في هـذا واضـح.. فـالأب جُـبِلَ على أن يكون شديد الحنان والرأفة والمحبة والشفقة لولده، حريصـا على أن يجلب له جميع الخيرات ويدفع عنه جميع الشرور، فإذا أراد الله تعالى أن يبين هذه المحبة الشديدة والرحمة الفائقـة والعنايـة الخاصـة منـه

لعبده فليس أفضل من استعارة تعبير كونه أبا لهذا العبـد وكـون هـذا العبد كابن لـه.

هذا إذا أحسنا ظننا بالكتاب المقدس، ولم نتصور وقـوع التحريـف فيه.

قلت: وهو الأصل.

قال: أنا أتعامل معك على هذا الأصل.. وقد جاء في رسائل العهـد الجديد ما يوضح هـذا المجـاز أشـد الإيضـاح ولا يـترك فيـه أي مجـال للشك أو الإبهام:

فقد جاء في رسالة يوحنا الأولى (5:1 ـ 2) قوله :(كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد ولـد من اللـه. وكـل من يحب الوالـد يحب المولـود منـه أيضـا. بهـذا نعـرف أننـا نحب أولاد اللـه إذا أحببنـا اللـه وحفظنا وصاياه)

وفي آخر نفس هذه الرسـالة :(نعلم أن كـل من ولـد من اللـه لا يخطئ بل المولود من الله يحفظ نفسه والشرير لا يمسه) (5: 18)

وفي الإصحاح الثالث من نفس تلك الرسالة، يقـول يوحنـا :(كـل من هو مولود من الله لا يفعل خطيَّة لأن زرعه يثبت فيه ولا يسـتطيع أن يخطئ لأنــه مولــود من اللــه، بهــذا أولاد اللــه ظــاهرون وأولاد إبليس..) (رسالة يوحنا الأولى: 3: 9ـ10)

وفي الإصحاح الرابع من تلك الرسالة:(أيهـا الأحبـاء لنحب بعضـنا بعضا لأن المحبة هي من الله وكل من يحب فقد ولد من الله ويعرف الله) (رسالة يوحنا الأولى:4: 7)

وفي رسالة بولس إلى أهل رومية (8: 14 ـ 16):(لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولـئك هم أبنـاء اللـه. إذ لم تأخـذوا روح العبوديـة أيضا للخوف، بل أخذتم روح التبني الذي به نصرخ يا أبـا الآب. الـروح نفسه يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله.))

وفي رسالة بولس إلى أهل فيليبس (2:ـ 14 ـ 15):(افعلوا كـل شيء بلا دمدمة ولا مجادلة. لكي تكونوا بلا لوم وبسطاء أولاد اللـه بلا

عيب في وسط جيل معوج وملتو تضيئون بينهم كأنوار في العالم)

ففي كل هذه النصوص اسـتعملت عبـارات: ابن اللـه، أبنـاء اللـه، أولاد الله، والولادة من الله، بذلك المعنى المجازي.

قلت: فما هي اللوازم التي تنتج عن هذا القول.. ويرد بها عليه.

قال: كثيرة.. أولها أن تعتبر كل من أطلـق عليـه هـذا الإطلاق ابنـا لله.. لأنك لا يصح أن تعتبر اللفظ حقيقة في موضع، ثم تعتبره مجــازا في نفس الموضع.

قلت: لم أفهم ما الذي ترمي إليه.

قال: أرأيت لـو قلت لـك: استضـفت أسـدا، وأطعمتـه من أطيب الطعام، وألبسته من أحسن الثياب.. فما تفهم من هذا الكلام؟

قلت: أفهم منه المعنى المجازي.. فهذه الأوصاف لا تليق إلا بأسد بشري.

قال: أرأيت لو قلت لك: أنا أقصد معنى حقيقيا، ومعنى مجازيا.

قلت: كيف يمكن أن يجتمعا في محل واحد؟

قال: أقول لك: إن الأسد الذي أطعمته أسد حقيقي.. بينما الأســد الذي لبس الثياب أسد مجازي.

قلت: لا يستقيم الكلام بهذا.. وأنت تحتاج بهذا إلى تصحيح كلامك، فالتعبير خانك في الدلالة على مرادك.

قال: فهل خان التعبير كتاب الكتاب المقـدس.. حينمـا راح يصـف الكل أبناء الله.. فرحتم أنتم تميزون بعضهم، فتجعلـون بعضـهم أبنـاء حقيقيين، وتجعلون آخرين أبناء مجازيين.

3 ـ الحلول والاتحاد:

قلت: فلننتقـل إلى المعـنى الثـالث الـذي نسـتنبط منـه عقائـدنا.. فبعض النصوص تفيد حلولاً إلهياً في المسيح:

منها ما ورد في (يوحنا 10/38) من قـول المسـيح:(لكي تعرفـوا

وتؤمنوا أن الآب في، وأنا فيه)

ومنها ما يفيد اتحادا ومماثلة بين المسيح والله، كما في (يوحنا 14/9-10) من قول المسيح:(الذي رآني فقد رأى الآب..الآب الحال في) أو قوله:(أنا والآب واحد)(يوحنا 10/30)

فهذه النصوص تفيد بصراحة ووضوح أن المسيح هو الله، أو أن حلولاً إلهياً حقيقياً لله فيه.

قال: سأرد على هذا من وجوه.

قلت: على أن لا يكون منها ردك على مصدره.. فقد علمت موقفك من يوحنا.

قال: لا بأس.. فلنعتبر يوحنا كما تعتبرونه..

قلت: ولا ترد علي كذلك باختلاف التراجم.

قال: لا بأس.. فالتراجم في هذا قد تكون متوافقة.

قلت: لم يبق لك إلا أن ترد علي بمحتوى النص، وبلوازمه.

قال: أجل.. لم يبق لنا إلا هاتين الناحيتين.. وفيهما بحمد الله الغنى.

قال: فلنذكر كل نص على حدة، ونحاول أن نناقشه على ضوء هاتين الناحيتين:

أنا والآب واحد:

قلت: فلنبدأ بقول المسيح لليهود:(أنا والآب واحد)(يوحنا 10/30)

قال: عندما قال المسيح ذلك، هل أقره اليهود عليه؟

قلت: لا.. لقد أنكر عليه اليهود هذا القول، وسارعوا لرجمه بالحجارة.. ولكن لا عبرة بفعلهم، ولا يمكن أن تستدل به.

قال: أنا لا أستدل بفعلهم، ولكني أستدل بموقف المسيح، فإنهم عندما فعلوا ذلك عرفهم المسيح وجه خطئهم في الفهم.. ووضح لهم

أن هذه العبارة لا تقتضي ألوهيته، وبين لهم أنه استعمل هـذا اللفـظ على سبيل المجاز لا على على سبيل الحقيقة.. وإلا لزم من ذلـك أن يكونوا كلهم آلهة.

ولن أطيـل عليـك.. بـل تكفي قـراءة نص المحـاورة للـرد على الاستدلال بهذا الدليل، لقد ورد نص المحاورة هكذا :(قـال لهم :(أنـا والآب واحد)، فتناول الْيَهُودُ أيضاً حِجَارَةً لِيَرْجُمُـوهُ. فَقَـالَ لَهُمْ يَسُـوعُ: أَرَيْتُكُمْ أَعْمَـالاً صَـالِحَةً كَثِـيرَةً مِنْ عِنْـدِ أَبِي، فَبِسَـبَبِ أَيِّ عَمَـلٍ مِنْهَـا تَرْجُمُونَنِي؟) فأجابه اليهود قائلين :(ليس من أجـل الأعمـال الحسـنة نرجمـك، ولكن لأجـل التجـديف، وإذ أنت إنسـان تجعـل نفسـك إلهـاً، فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ :(أَلَيْسَ مَكْتُوباً فِي شَرِيعَتِكُمْ: أَنَا قُلْتُ إِنَّكُمْ آلِهَةٌ؟ فَإِذَا كَانَتِ الشَّرِيعَةُ تَدْعُو أُولئِكَ الَّذِينَ نَزَلَتْ إِلَيْهِمْ كَلِمَةُ اللهِ آلِهَةً وَالْكِتَـابُ لاَ يُمْكِنُ أَنْ يُنْقَضَ فَهَلْ تَقُولُـونَ لِمَنْ قَدَّسَـهُ الآبُ وَبَعَثَـهُ إِلَى الْعَـالَمِ: أَنْتَ تُجَدِّفُ، لأَنِّي قُلْتُ: أَنَا ابْنُ اللهِ؟)

فلا شك أن معنى هذه المحاورة أن اليهود فهمـوا خطـأ من قـول المسيح:(أنا والآب واحد) أنه يدعي الألوهية، فأرادوا لذلك أن ينتقموا منه، ويرجموه، فرد عليهم المسيح خطأهم، وسـوء فهمهم بـأن هـذه العبارة لا تستدعي ألوهيتـه، لأن (آسـاف) قـديماً أطلـق على القضـاة أنهم آلهة بقوله الثابت في المزمور (82:ـ 6):(أنـا قلت: إنكم آلهـة، وبنو العلي كلكم)

ولم يفهم أحد من هذه العبارة تأليه هؤلاء القضـاة، ولكن المعـنى المسـوغ لإطلاق لفـظ آلهـة عليهم أنهم أعطـوا سـلطاناً أن يـأمروا ويتحكموا ويقضوا باسم الله.

وبموجب هذا المنطق الذي شرحه المسيح لليهـود سـاغ للمسـيح أن يعبر عن نفسه بمثل ما عبر بـه آسـاف عن أولئـك القضـاة الـذين صارت إليهم كلمة الله.

ولا يقتضي كـل من التعـبرين أن في المسـيح، أو أن في القضـاة لاهوتاً حسبما فهمه اليهود خطأ.

قلت: ألا يمكن أن يكـون المسـيح قـد فعـل ذلـك بهم من بـاب المداراة؟

قال: لو فعل ذلك لكان مغالطة منه وغشاً لا مداراة، وهذا لا يليق بالأنبياء الهادين إلى الحق، فكيف يليق بمن تزعمونه إلها.

فإن كان المسيح هو رب العالمين الذي يجب أن يعبد، وقد صرفهم عن اعتقاد ذلك بضربه لهم ذلك المثل، فيكون بذلك قد أمرهم بعبادة غيره، وصرفهم عن عبادته.

قلت: فما تفهم أنت من هذا القول؟

قال: هذا القول يفهم على ضوء المحكمات، وعلى ضوء ما فسره المسيح ببساطة ويسر.. إن المسيح يريد أن يقول لهم :(إن قبولكم لأمري هو قبولكم لأمر الله).. هو تماما مثل قول رسول الرجل: أنا ومن أرسلني واحد.. وهو تماما مثل قول الوكيل: أنا ومن وكلني واحد.. لأنه يقوم فيما يؤديه مقامه، ويؤدي عنه ما أرسله به ويتكلم بحجته، ويطالب له بحقوقه.

صمت، فقال: ومع ذلك فإن هذا اعتباركم هذا التعبير دالا على الحقيقة المجردة يلزمكم بأن تتعاملوا مع كل النصوص التي تشابهه بنفس المعاملة.

قلت: المنطق يقتضي هذا.

قال: فهذا التعبير الذي أطلقه المسيح على نفسه، بأنه والآب واحد، أطلقه بعينه تماما على الحواريين عندما قال في نفس إنجيل يوحنا :(ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط، بل أيضا من أجل الذي يؤمنون بي بكلامهم ليكون الجميع واحدا كما أنك أنت أيها الآب فيَّ وأنا فيك، ليؤمن العالم أنك أرسلتني، وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني، ليكونوا واحدا كما أننا نحن واحد. أنا فيهم وأنت فيَّ ليكونوا مكملين إلى واحد) (إنجيل يوحنا 17/ 20 ـ 23)

فالوحدة هنا ليس المقصود منها معناها الحرفي، أي الانطباق الذاتي الحقيقي، وإنما هي وحدة مجازية أي الاتحاد بالهدف والغرض والإرادة.

وذلك ظاهر ظهورا واضحا من قوله :(ليكونوا هم أيضا واحدا فينا)، وقوله :(ليكونوا واحدا كما أننا نحن واحد، أنا فيهم وأنت فيَّ

ليكونـوا مكملين إلى واحـد)، حيث أن المسـيح دعـا اللـه تعـالى أن تكون وحدة المؤمنين الخلَّص مع بعضهم البعض مثـل وحـدة المسـيح مع الله، ولا شك أن وحـدة المؤمـنين مـع بعضـهم البعض وصـيروتهم واحداً ليست بـأن ينصـهروا مـع بعض ليصـبحوا إنسـاناً واحـداً جسـماً وروحاً، بل المقصود أن يتحدوا مع بعضـهم بتوحـد إرادتهم ومشـيئتهم ومحبتهم وعملهم وغرضـــهم وهـــدفهم وإيمـــانهم.. فهي هي وحـــدة معنوية.. فكذلك كانت الوحدة المعنوية بين الله والمسيح.

و يؤكـد ذلـك أن المسـيح دعـا اللـه تعـالى لوحـدة الحـواريين المؤمنين، ليس مع بعضهم البعض فحسب بل مع المسـيح ومـع اللـه تعالى أيضاً، بحيث يكون الجميع واحداً، فلو كانت وحـدة المسـيح مـع الله هنا تجعل منه إلـهاً، لكانت وحدة الحواريين مع المسيح ومـع اللـه تجعل منهم آلهة أيضا.. ويلـزم عن ذلـك كلـه أن المسـيح يـدعو اللـه تعالى أن يجعل تلاميذه آلهة.. فهل يعقل ذلك؟

قلت: فما تفهم أنت من هذا النص؟

قال: إن المسيح بقوله ذلك يسأل الله تعالى أن يفيض عليهم من آلائه وعنايته وتوفيقه إلى ما يرشدهم إلى مراده اللائـق بجلالـه بحيث لا يريدون إلا ما يريده، ولا يحبون إلا ما يحبه ولا يبغضون إلا ما يبغضه، ولا يكرهون إلا ما يكرهه، ولا يـأتون من الأقـوال والأعمـال إلا مـا هـو راض به، مؤثر لوقوعه.

و يدل لهذا من الواقع أن إنسانا لو كان له صديق موافـق لغرضـه بحيث يكون محباً لما يحبه ومبغضاً لما يبغضه كارهاً لمـا يكرهـه، جـاز أن يقال: أنا وصديقي واحد.

ويتأكـد هـذا المعـنى المجـازي لعبـارة المسـيح إذا لا حظنـا الكلام الذي جاء قبلها وأن المسيح كـان يقـول: إن الـذي يـأتي إلي ويتبعـني أعطيه حياة أبدية ولا يخطفه أحد مـني، لأن أبي الـذي هـو أعظم من الكل هو الذي أعطاني أتباعي هؤلاء، ولا أحد يستطيع أن يخطف شيئا من أبي، أنا وأبي واحد، يعني من يتبعني يتبـع في الحقيقـة أبي لأنـني أنا رسوله وممثل له وأعمل مشيئته فكلانا شيء واحد.

وقد ورد في القرآن الكريم ـ مع حرصه على صفاء التوحيد ـ هــذا

التعبير، فقد قال تعالى :﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَنْ تَوَلّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً ﴾ (النساء:80).. فهل قال أحد من المسلمين أن الرسول هو الله.

بل قد جاء نحو هذا التعبير بالوحدة المجازية مع الله، عن بولس ـ مع ما علمنا عنه ـ في إحدى رسائله، وهي رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس (6 /ـ 16 ــ17) حيث قال :(أم لستم تعلمون أن من التصق بزانية هو جسد واحد لأنه يقول: يكون الاثنان جسدا واحدا؟ وأما من التصق بالرب فهو روح واحد)، وعبارة الترجمة العربية الكاثوليكية الجديدة هي :(ولكن من اتحد بالرب صار وإياه روحا واحدا)

فكل هذا يثبت أن الوحدة هنا لا تفيد أن صاحبها هو الله تعالى عينه ـ تعالى الله عن ذلك ـ وإنما هي وحدة مجازية، وقد ورد مثلها في كثير من النصوص المقدسة عند المسلمين، فقد ورد في الحديث القدسي الشريف الصحيح أنه ﷺ قال راويا عن الله تعالى :(.. وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها..) وكل المسلمين متفقون على أنه ليس المقصود من الحديث أن الله تعالى يحل بكل جارحة من هذه الجوارح، أو أنه يكون هذه الجوارح بعينها، لأن هذا من المحال، بل إن المقصود أنه لما بذل العبد أقصى جهده في عبادة الله وطاعته، صار له من الله قدرة ومعونة خاصتين، بهما يقدر على النطق باللسان، والبطش باليد.. وفق مراد الله تعالى وطبق ما يشاؤه ويحبه.

التفت إلي، فرآني مستغرقا في السماع، فقال: ليس ذلك فقط.. بل قد جاء في إنجيل يوحنا (17: 11) أن المسيح طلب من الآب أن يحفظ تلامذته فقال :(يا أبت القدوس احفظهم باسمك الذي وهبته لي ليكونوا واحداً كما نحن واحد)

فقد ذكر المسيح وجه شبه بينه وبين تلاميذه، ولما كان المسلم به أن وجه الشبه بين المشبهين لا بد أن يكون متحققاً في طرفي التشبيه كان من غير الجائز أن يكون وجه الشبه بين وحدة المسيح بالآب، ووحدة التلاميذ بعضهم ببعض، هو الجوهر والمجد والمقام.

لأن هـذا المعـنى لـو كـان موجـوداً في المشـبه بـه، وهـو وحـدة المسـيح بـالآب على الفـرض والتقـدير، فهـو قطعـاً غـير موجـود في المشبه وهو وحدة التلاميذ بعضهم ببعض.

لذلك اقتضى القول بأن وجـه الشـبه هـو الغايـة والطريـق وإرادة الخير والمحبة دون أن تكون هناك خصومة أو مخالفة أو عداوة.

فالتشبيه في قول المسيح :(ليكونوا واحـداً كمـا نحن) يفسـر لنـا معنى الوحدة في قوله:(أنا والآب واحد)

من رآني فقد رأى الآب:

قلت: فلننتقـل إلى مـا ورد في إنجيـل يوحنـا من قـول المسـيح : (من رآني فقد رأى الآب)

قال: إن المسيح ـ على ضوء ما سبق ـ أراد أن يقول: إن من رأى هـذه الأفعـال الـتي أظهرهـا فقـد رأى أفعـال أبي، وهـذا مـا يقتضـيه السياق الذي جاءت به هذه الفقرة.

فهذا الكلام كـان عن المكـان الـذي سـيذهب إليـه المسـيح، وأنـه ذاهب إلى ربه، ثم سؤال توما عن الطريق إلى الله، فأجابـه المسـيح أنه هو الطريـق، أي أن حياتـه وأفعالـه وأقوالـه وتعاليمـه هي طريـق السير والوصول إلى الله.

وهذا مما لا خلاف فيه، فكل قـوم يكـون نـبيهم ورسـولهم طريقـا لهم إلى ربهم.. ثم يطلب فيليبس من المسيح أن يريه الله، فيقول له متعجبا :(كل هذه المدة أنا معكم، وما زلت تريد رؤية الله)، ومعلوم أن الله تعالى ليس جسـما حـتى يـرى، فمن رأى المسـيح ومعجزاتـه وأخلاقه وتعاليمه التي تجلى فيها الله تعـالى أعظم تجـل، فكأنـه رأى الله، فالرؤية رؤية معنوية.

قلت: السـياق لا يلغي دلالـة النص.. ولا ينبغي أن ننحـرف بـالنص عن معناه اللفظي بسبب سياقه.

قـال: لا بـأس.. سـأتعامل معـك على ضـوء هـذا.. وأعتـبر النص قاعدة، أو آية مبتورة عن كل سياق.

أجبني.. هل يمكن على حسب الكتاب المقدس.. بل على حسب أسفار العهد الجديد أن يرى الله؟

صمت، فقال: أنت تعلم أن هذه الأسفار اتفقت على عدم إمكان رؤية الله:

فقد ورد في إنجيل يوحنا (1: 18):(الله لم يره أحد قط)

وورد في إنجيل يوحنا (5:ـ 37) :(والآب نفسه الذي أرسلني يشهد لي لم تسمعوا صوته قط ولا أبصرتم هيئته)

وورد في رسالة يوحنا الأولى (4:ـ 12):(الله لم ينظره أحد قط)

وقال بولس في رسالته الأولى إلى تيموثاوس (6: 16) عن الله : (الذي لم يره أحد ولا يقدر أن يراه)

فلو قلنا: إن رؤية المسيح هي رؤية لله لحصل التناقض بين هذه النصوص.

قلت: فما تفهم أنت من هذا النص؟

قال: ما سبق ذكره من أن النص يراد به المجاز لا الحقيقة.. وهذا معنى يقبله العقل، وتساعد عليه النصوص الإنجيلية المماثلة الأخرى، فقد ورد مثل هذا التعبير مرات عديدة، دون أن يقصد به قطعا ما يفهم من ظاهر النص:

ففي إنجيل لوقا(10/16) يقول المسيح لتلاميذه السبعين الذين أرسلهم اثنين اثنين إلى البلاد للتبشير :(الذي يسمع منكم يسمعني والذي يرذلكم يرذلني والذي يرذلني يرذل الذي أرسلني).. فهل يمكن الاستدلال بقوله :(من يسمعكم يسمعني) على أن المسيح حال بالتلاميذ، أو أنهم المسيح ذاته؟

صمت، فقال: ومثل ذلك ما جاء في إنجيل متى (10/40) من أن المسيح قال لتلاميذه :(من يقبلكم يقبلني، ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني)

ومثله ما جاء في إنجيل لوقا (9 / 48) من قول المسيح في حق الولد الصغير :(من قبل هذا الولد الصغير باسمي يقبلني ومن قبلني يقبل الذي أرسلني)

قلت: فما وجه هذا المجاز؟

قال: هو واضح.. فكل من أرسل رسولا أو مبعوثا أو ممثلا عن نفسه، فكل ما يُعَامَلُ به هذا الرسول يعتبر في الحقيقة معاملة للشخص المرسِل.

وقد جاء مثل هذا المجاز في كتاب المسلمين المقدس كثيراً.. ومن ذلك قوله تعالى:﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾(لأنفال: من الآية17)، وقوله تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾(الفتح: من الآية10)، وقوله تعالى:﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾(النساء: من الآية80)

صمت، فقال: ومع ذلك.. فلو فرضنا صحة ما فهمتم من هذا النص.. فإنه يلزم عنه لوازم لا تقبلونها.

قلت: مثل ماذا؟

قال: لقد ورد في رسالة بولس إلى أهل غلاطية (3: 28) قوله :(لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع)، فهل هذا القول يعني أن أهالي غلاطية متحدون في الجوهر والقوة وسائر الصفات مع المسيح، أو أنهم متحدون في الإيمان بالمسيح، وفي شرف متابعته.

قلت: لا شك أن الثاني هو المراد.. وهو الأقرب للفهم والعقل.

قال: فطبق هذا المعنى على قول المسيح.. ولا تكل بمكيالين.

أنا في الآب والآب في:

قلت: فلننتقل إلى قول المسيح :(أنا في الآب والآب في).. فهذا النص يستدل به قومي على الاتحاد والحلول بين الله والمسيح.

قال: سأرد على هذا النص بمحتوى هذا النص ولازمه.

أما محتواه.. فإن المراد منه على حسب لغة الكتاب المقدس هو

حلول رضا الله ومحبته وقداسته ورضاه في المسيح.

قلت: أنت تتعسف في تفسير النص.. فإن المسيح ذكر ذاتـه، ولم يذكر ما ذكرت من مواهب.

قال: أنا لا أتعسف في تفسـير النص.. بـل أحملـه على غـيره من النصوص، فقد ورد مثل هذا في الكتاب المقدس، ولم تفهموا منه مـا فهمتموه، فقد جاء في الكتاب المقدس.. بل في العهـد الجديـد.. بـل في رسالة يوحنا الأولى (3: 24) في وصف الله :(من يحفظ وصاياه يثبت فيـه وهـو فيـه، وبهـذا نعـرف أنـه يثبت فينـا، من الـروح الـذي أعطانا)

وورد في نفس الرسالة (4:ـ 12،ـ 13) :(إن أحب بعضـنا بعضـاً فالله يثبت فيه، ومحبته قد تكلمت فينا، بهذا نعرف أننا نثبت فيه وهـو فينا)

وقد ورد في العهد القديم في المزمور (68:ـ 16):(ولمـاذا أيتهـا الجبال المسنمة ترصدن الجبل الذي اشتهاه اللـه لسـكنه، بـل الـرب يسكن فيه إلي الأبد).. وورد في مزمور (135:ـ 21):(مبارك الـرب من صهيون الساكن في أورشليم)

وانطلاقا من هذه النصوص نحن بين أمرين:

إما أن نعتبر كل من يـؤمن بالمسـيح، ويحفـظ وصـاياه يثبت اللـه فيه، ويثبت هو في الله، بلا مزية أو فـرق بين المسـيح وبينـه، وبـذلك يتحد الجميع بالله وبحلـولهم في اللـه، واللـه يحـل فيهم، ويكـون كـل واحد من هؤلاء المؤمـنين بالمسـيح أو ممن يحفـظ وصـاياه هـو اللـه شأنه شأن المسيح نفسه.

وبذلك تنتهي الأقانيم الثلاث لتبدأ أقانيم لا حصر لها.

وإما أن نجنح للتأويل.. وذلك بأن نؤول ثبوت الله فيمن يحفظــون وصاياه، وفيمن يحبون المؤمنين به، أو فيمن يحبون بعضهم بعضــاً، أو فيمن يؤمنون بالمسيح بثبوته فيهم بالمحبة والرضا.

ومثل ذلك سكنى الله في الجبل أو في مدينـة أورشـليم، وتأويـل

ذلك هو وضع اسم الله المقدس عليها.

وجرياً على قاعدة المساواة في التأويل يجب تأويل ما ورد من حلول الله في المسيح بحلوله فيه بالمحبة والقداسة والطاعة والرضا وهذا هو المعنى الذي تتفق جميع النصوص على الدلالة عليه.

قلت: فما لازم هذا القول الذي ينفي ظاهره؟

قال: ما ذكرته لك من لزوم الاتحاد في كل ما ذكرنا.. بالإضافة إلى ذلك ورد في الكتاب لمقدس أن روح الله حلت على حزقيال وألداد وميداد كما أن روح الله تحل في المؤمنين، فهل قال أحد إن واحداً من هؤلاء متحد مع الله، أو أنه هو الله:

فقد ورد في سفر حزقيال (11:ـ 5) قول حزقيال النبي :(وحل علي روح الرب)

وورد في سفر العدد (11:ـ 26) عن ألداد وميداد :(فحل عليهما الروح)

وورد برسالة يعقوب (4ـ 5) قول يعقوب :(الروح الذي حل فينا يشتاق إلي الغيرة والحسد)

وورد في رسالة بطرس الأولى (4: 14) قول بطرس :(لأن روح المجد والله يحل عليكم)

فإذا كانت روح الله حلت على حزقيال وألداد وميداد وهي تحل بعد ذلك على غيرهم.. فلم تخصصون المسيح بأقنوم خاص به.. ولا تجعلون كل هؤلاء أقانيم مع الله؟

التفت إلي، فرآني مستغرقا في السماع، فقال: لقد ورد في الكتاب المقدس عدة فقرات بحق الحواريين والمؤمنين تشبه عبارة : (أنا في الآب والآب في)، ومع ذلك فأنتم لا تفسرونها كما فسرتم قول المسيح :(أنا في الآب والآب في)

لقد ذكر إنجيل يوحنا (14:ـ 20) قول المسيح :(في ذلك اليوم تعلمون أني أنا في أبي وأنتم في وأنا فيكم)

وورد في رسالة يوحنا الأولى (4:ـ 13) قوله :(بهذا تعرف أننا نثبت فيه وهو فينا) أي الله.

فلو أخذنا بظاهر هذا الكلام لأصبح المسيح والحواريون وجميع المؤمنين آلهة كذلك.

وبهذا نعلم بأن الحديث عن الروابط بين الله والمسيح، أو بين المسيح والمؤمنين، أو بين الله والمؤمنين لا يعني الحديث عن روابط بين جواهر أو اتصال ذات بذات، وإنما غاية القول فيه أن يكون حديثاً عن صلات روحية معنوية.

عمانوئيل:

قلت: فلننتقل إلى ما اقتبسه متى في الإصحاح الأول من إنجيله بنبوءة سابقة جاءت في سفر إشعياء في الاصحاح السابع يقول متى :(وهذا كله كان لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل:(هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه (عمانوئيل) الذي تفسيره الله معنا)

قال: وهل ترى أن هذه النبوءة تصدق على المسيح؟

قلت: أتشكك فيما ذكر متى؟

قال: لا.. ولكنه اجتهاد اجتهده.. والاجتهاد قد يكون خاطئا.

قلت: ولكن متى ملهم.

قال: ألم نتفق على أن نطرح في بحثنا كل ما نعرفه من أنواع التقديس؟

قلت: أتريد أن تشككني في متى أيضا؟

قال: لا أريد أن أشككك في نيته.. ولكني أشكك في اجتهاده.. ولا حرج على المجتهد إذا اجتهد وأخطأ.

قلت: فما الذي تراه من أسباب تخطئة متى في اجتهاده؟

قال: لو قمنا بقراءة الإصحاح من سفر اشعياء كاملا لرأينا أن هذه

الفقرة لا تتنبأ عن المسيح القادم، بل هي وعد الله لأحاز بن يوثان ملك يهوذا على لسان النبي إشعيا بأنه سوف يعطيه آية وعلامة لزوال ملك أعدائه، وقد بين له النبي اشعياء آية خراب ملك أعدائه وزواله، وهي أن امرأة شابة تحبل وتلد ابناً يسمى عمانوئيل، ثم تصبح أرض أعداءه خراباً قبل أن يميز هذا الصبي بين الخير والشر.

فالفقرة السادسة عشر من الإصحاح السابع من سفر إشعيا تقول :(لأَنَّهُ قَبْلَ أَنْ يَعْرِفَ الصَّبِيُّ كَيْفَ يَرْفُضُ الشَّرَّ وَيَخْتَارُ الْخَيْرَ، فَإِنَّ إِسْرَائِيلَ وَأَرَامَ اللَّتَيْنِ تَخْشَيَانِ مَلِكَيْهِمَا تُصْبِحَانِ مَهْجُورَتَيْن) أي أن احاز سوف ينتصر على إِسْرَائِيلَ وَأَرَام قبل أن يميز الصبي بين الخير والشر.

ومما يؤكد هذا أن هذه النبوءة قد تحققت في زمن اشعياء النبي، وتحقق معها كل ما ورد منها من أحداث.

قلت: ولكن النص ذكر عذراء تلد.. وهي لا تصدق إلا على مريم.

قلت: إن هذا يعود بنا إلى التحريفات التي سببتها الترجمات.. ففي النص العبري حسب النسخة المسوريه لسفر اشعياء نرى أن الكلمة المترجمة إلى (عذراء) في النص العبري هي كلمة (شابة) وليس عذراء، كما في الترجمة العربية، وبهذا نرى أن الترجمة العربية لم تكن أمينة في ترجمة النص من سفر اشعياء.

ثم نرى كيف قام كاتب الإنجيل المنسوب إلى متى باستعمال كلمة (عذراء) بدل كلمة (شابه) عند اقتباسه لهذا النص من سفر اشعياء لجعلها نبوة تحققت في المسيح.

ثم بعد كله هل دعي المسيح في يوم من الأيام (عمانوئيل)؟

قلت: لا..

قال: فالنبوءة تتعلق بـ (عمانوئيل) لا بيسوع.. ولا بالمسيح.. ولا بعيسى.

قلت: دعنا من كل هذا.. فأنت تعود بنا إلى السياق.. نريد أن نبحث في المحتوى.. فلا ينبغي أن ننشغل عن المحتوى بأي شيء

آخر.

قال: لا بأس.. ما معنى كلمة (عمانوئيل)؟

قلت: لقد فسرها الإنجيل بمعنى (الله معنا)

قال: فهل تراها تصدق على المسيح فقط.. أم أنها يمكن أن تصدق على كل من يؤمل منه الخير، ويرجى من جهته الإحسان.

صمت، فقال: هل معنى (الله معنا) أن الله بذاته مشخص وموجود معنا، أو الموجود معنا هو عونه ورعايته، كقول القائل :(الله معنا) يقصد بذلك معونة الله وتوفيقه ورعايته؟

صمت، فقال: إن عمانوئيل ـ لو فرضنا صحة ما فهمه متى ـ يراد منه أن المسيح مبعوث من عند الله ليعين ويرعى قومه.

قلت: ولماذا لا يفهم منه المعنى الظاهر؟

قال: لو فرضنا أن نبوءة اشعياء تنطبق على المسيح وأن عمانوئيل معناه (الله) وليس الله معنا.. فلا يمكن أن نتخذ من تسمية المسيح الله دليلاً على كونه هو الله.. فقد سبق أن ذكرنا أن الكتاب المقدس أطلق اسم الله على غير المسيح كما أطلقه على المسيح تماماً، فقد أطلق اسم الله على الملاك وعلى القاضي وعلى الأنبياء كموسى وعلى الأشراف وغيرهم.

فبما أن هؤلاء جميعاً يطلق عليهم اسم الله، كالمسيح فإما أن يعتبروا جميعاً آلهة حسب المعنى الظاهر وهو محال عقلاً، أو يئول الظاهر ويكون لفظ الله قد أطلق عليهم بالمعنى المجازي أو التشبيهي.

قال الرب لربي:

قلت: فلننتقل إلى قول المسيح لليهود في إنجيل لوقا (20: 42): (كيف يُقال للمسيح أنه ابن داود، وداود نفسه يقول في كتاب المزامير:(قال الرب لربي: اجلس عن يميني حتى أجعل أعداءك موطئا لقدميك)، فداود نفسه يدعو المسيح ربا، فكيف يكون المسيح ابنه؟)

قال: هـل تـرى أن هـذه البشـارة المـذكورة في المزامـير تتعلـق بالمسيح؟

قلت: لا شك في ذلك.. وهل تشك أنت في ذلك؟

قـال: لا.. ولكـني أتسـاءل عن مـدى انطباقهـا على المسـيح[1].. فالمسـيح لم يضـع أعـداءه في مـواطئ قدميـه، بـل كـان يهـرب من أعدائه كما في الأناجيل بل إنهم ضربوه ولكمـوه وجلـدوه كمـا تحكي الأناجيل.

قلت: أريد أن تشككني في هذه النبوءة كما شككتني في غيرهـا.. أراك تريد أن تلغي كل النبوءات المرتبطة بالمسيح.

قال: لا.. أنا لا يهمني أن تكون هذه البشـارة مرتبطـة بالمسـيح أو غيره، فكلهم مصطفون من الله.. وذلك مجرد تساؤل لا تشكيك، وقد سحبت قولي.. فهلم بنا إلى المهم.

قلت: أجل.. هذا القول من الأقوال التي نسـتدل بهـا على طبيعـة المسيح.

قال: أنا أرى في هذه الجملة التي استشهد بها السيد المسيح من سفر المزامير دليلا واضحا على نفي ألوهيته لا على إثباتها.

قلت: كيف.. وقد جاء فيها :(قال الرب لربي)

قـال: عبـارة المزامـير تقـول: قـال الـرب (أي اللـه) لـربي (أي المسيح): اجلس عن يميني حتى أجعل أعداءك موطأً لقـدميك، وبنـاء على هذه الجملة لا يمكن أن يكون المقصود من كلمة ربي الثانية هـو الله أيضا، وذلك لأن المعنى سيصبح عندئـذ: قـال اللـه لِلّه اجلس عن يميني حتى أجعل أعـداءك موطئـا لقـدميك.. وكيـف يجلس اللـه عن يمين نفسه.

قلت: هذا الكلام مبني على طبيعة المسيح.

قال: لا بأس.. إذا كان ربي الثانيـة إلهـاً فإنـه لا يحتـاج لأحـد حـتى

1() انظر الأدلة الكثيرة على انطباق هذه النبوءة على رسول اللـه ﷺ في رسـالة (أنبيـاء يبشرون بمحمد) من هذه السلسلة.

يجعل أعداءه موطئا لقدميه، بل هو نفسه يسـخر أعـداءه بنفسـه ولا يحتاج إلى من يسخرهم له.

صمت، فقال: مخاطبة الله لإلـه آخر تعني وجود إلهين اثنين وهـذا يناقض العقيدة التي تتبنونها.. فأنتم تعتبرون الثلاثة واحدا.

قلت: لا بأس.. ولكن كيف سمى داود المسيح ربا؟

قال: إذا رجعنا لمزامير داود في العهد القـديم وجـدنا أن البشـارة هي الفقرة الأولى من المزمور رقم 110، ولفظها ـ كما في الترجمة الكاثوليكيـة الحديثـة :(قـال الـرب لسـيّدي اجلس عن يميـني حـتى أجعل أعداءك موطئا لقدميك)[1]

فما عبر عنه المسيح بلفظة ربي، هو في الحقيقة بمعنى سيدي.. ولـذلك نجـد أن الترجمـات العربيـة المختلفـة للعهـد الجديـد، خاصـة القديمة منها كـانت تسـتخدم لفظـة السـيد في مكـان لفظـة الـرب، ولفظة المعلم في مكان لفظة رابِّـي.

قلت: أنت تهرب إلى اختلاف الترجمات.

قـال: لا بـأس.. فلنبـق على كلمـة :(ربي).. بمراجعـة بسـيطة للأناجيل ندرك أن لفظة الرب تستخدم بحـق المسـيح بمعـنى السـيد والمعلم، فقد جاء في إنجيل يوحنا (1ـ 38) مثلا :(فقالا: ربي! الذي تفسيره يا معلم، أين تمكث؟).. وجاء فيه أيضا: (20ـ 16):(قال لها يسوع: يا مريم! فالتفتت تلـك وقـالت لـه: ربـوني! الـذي تفسـيره يـا معلم)

بل إن القرآن الكريم مع تشدده في نفي ذرائع الشـرك اسـتخدم هذه اللفظـة بهـذا المعـنى، فقـد جـاء فيـه :﴿ يَـا صَـاحِبَيِ السِّـجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً)(يوسف: من الآية41)، وجاء فيــه :﴿ وَقَـالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَـا اذْكُـرْنِي عِنْـدَ رَبِّكَ فَأَنْسَـاهُ الشَّـيْطَانُ ذِكْـرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ) (يوسف:42)

قلت: فما المراد من تلك العبارة إذن؟

1() العهد القديم / ص 1269.

قال: إن ما يريده المسيح من عبارته تلك هو تذكير اليهود بمقامه العظيم قائلا لهم: كيف تعتبرون المسيح مجرد ابنٍ لداود، مع أن داود نفسه اعتبر المسيح الآتي المبشر به والذي سيجعله الله دائنا لبني إسرائيل يوم الدينونة: ربًّاً له: أي سيدا له ومعلما[2]!؟

صورة الله:

قلت: فلننتقل إلى وصف بولس للمسيح بأنه صورة الله، وأنه الله القدير.

قال: إن كون المسيح صورة الله لا يعني ما تفهمونه من الألوهية، بل معنى ذلك أن الله جعله نائباً عنه في إبلاغ شريعته الأدبية والروحية إلي من أرسل إليهم، والدليل على ذلك قول بولس نفسه في رسالته الأولى إلي أهل كورنثوس(11: 7):(فإن الرجل لا ينبغي أن يغطي رأسه لكونه صورة الله ومجده، وأما المرأة فهي مجد الرجل)، فمعنى هذا أن الله أناب الرجل عنه في سلطانه على المرأة، ومقتضى هذا السلطان أن لا يغطي رأسه بخلاف المرأة.

بالإضافة إلى هذا.. فإن القول بكون المسيح هو صورة الله يلزم عنه أنه غير الله تعالى، لأن كون شيء على صورة شيء لا يقتضي أنه هو، بل بالعكس يفيد أنه غيره، فمثلاً صور الآلهة المعبودة من دون الله والمصنوعة من الذهب والنحاس والخشب هي بالقطع ليست عين الإله المعبود، وبناء على هذا فإن القول بأن المسيح هو صورة الله يفيد بلا شك أنه غيره لا عينه.

بالإضافة إلى هذا.. فقد ذكر الكتاب المقدس أن الله خلق آدم كما خلق المسيح، فلا ميزة للمسيح في هذا المعنى فقد ورد في سفر التكوين(1: 26) :(قال الله: نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه)

وورد نفس المعنى في سفر التكوين(9:ـ 9):(لأن الله على صورته عمل الإنسان)

بل إن هذه الصفة تكررت بعينها مرات عديدة في الكتاب

2() انظر ما يتعلق بهذه البشارة في (أنبياء يبشرون بمحمد) من هذه السلسلة.

المقدس بعهديه القـديم والجديـد، ووصـف بهـا الإنسـان بشـكل عـام والرجل بشكل خـاص، ويفهم من تتبـع مـوارد اسـتعمالها في الكتـاب المقدس أنها تعـني نـوع من التشـابه العـام أو العلاقـة والترابـط بين الإنسان ككل والله:

فقد جـاء في سـفر التكـوين :(وقـال اللـه: لنصـنع الإنسـان على صورتنا كمثالنا وليتسلط على أسماك البحر وطيـور السـماء والبهـائم وجميع وحوش الأرض وجميع الحيوانات التي تدب على الأرض، فخلق اللـه الإنسـان على صـورته، على صـورة اللـه خلقـه ذكـرا وأنـثى) (تكوين :1 / 26 ـ 27)

وقد فسر مفسرو التـوراة هـذا بـأن المقصـود منـه مـا يتمـيز بـه الإنسـان عن الجمـادات والنباتـات والحيوانـات من العقـل الكامـل والقـدرة على النطـق والتعبـير عمـا يريـد والإرادة والاختيـار الحـر والاسـتطاعة والقـدرة، فضـلا عن السـمع والبصـر والحيـاة والإدراك والعلم.. أي أن هنــاك تشــابها عامــا بين صــورة اللــه في صــفاته والإنسان.

قلت: ولكن لم خص المسيح بأنه صورة الله في كلام بولس؟

قال: إن الإنسان كلما ترقى في الكمالات،كلما صـار أكـثر عكسـا لصفات الله، وكلما تجلت فيه أسـماء اللـه وصـفاته الحسـنى كـالعلم والقدرة والعزة والعدل والحلم والكرم والرحمة.. لهذا تحـدث بـولس عن نفسه وعن سائر القديسين، فقال :(ونحن جميعـا نعكس صـورة مجد الرب بوجوه مكشوفة كما في مرآة، فتتحـول إلى تلـك الصـورة ونــزداد مجــدا على مجــد، وهــذا من فضــل الــرب الــذي هــو روح) (قورنتس:3 / 18)

وقد قال في موصيا المؤمنين بالتخلُّق بـأخلاق اللـه والعيش حيـاة مسيحية كاملة :(أما الآن فألقوا عنكم أنتم أيضا كـل مـا فيـه غضـب وسـخط وخبث وشـتيمة، لا تنطقـوا بقـبيح الكلام ولا يكـذب بعضـكم بعضـا، فقـد خلعتم الإنسـان القـديم وخلعتم معـه أعمالـه، ولبسـتم الإنسان الجديد ذاك الذي يجدد على صورة خالقه ليصل إلى المعرفة)(رسالة بولس إلى أهل قولسي: 3 / 8 ـ 10)

فإذا كانت صورة الله تقتضي الألوهية،، فإن هذا يقتضي أن يكون جميع القديسين، بل جميع الرجال آلهة!؟

قلت: ولم لا تقول ما قال قومي من التعليل؟

قال: وما يقولون؟

قلت: يذكرون أن الله تعالى أراد أن يؤنس البشرية، ويقترب منها بصورة يتجلى فيها، فجاء بالمسيح لذلك.

قال: أنتم تقرون بأن المسيح كـان طفلاً، ثم تـدرج في المراحـل، وصار ينمو حتى صار كبيراً.

قلت: أجل.. نحن نقول هذا.

قال: فأي صورة من صور حياته المرحلية تمثل الله تعالى لتؤنس البشرية؟

إن كانت صورته وهو طفل، فقد نسيتم صورته وهـو شـباب، وإن كـانت صـورته، وهـو في الشـباب فقـد نسـيتم صـورته وهـو في دور الكهولة.. وإن كان الله على كل هذه الصور، فالله على هذا أغيار، أي يتغير من طفل إلي شاب إلي كهل.. وهو كما ينص الكتـاب المقـدس منزه عن ذلك.

ثم بعد هـذا.. مـا هي المـدة الـتي عاشـها المسـيح في الـدنيا بين البشر؟

قلت: ثلاثون سنة.

قال: إذن الله قد آنس النـاس بنفسـه ثلاثين سـنة فقـط.. مـع أن عمر الكون قبل المسيح كان ملايين السنين.. ولسنا نـدري كم يكـون بعده.. فهل ترك الله في هذه الملايين من السنين الماضـية خلقـه بلا إيناس، وبدون أن يبدو لهم في صورة؟

الله ظهر في الجسد:

قلت: فلننتقــل إلى قــول بــولس كمــا في رســالته الأولى إلى

تيموثـاوس(3:ـ 16)[1]:(اللـه ظهـر في الجسـد، تـبرر في الـروح، تـراءى للملائكـة، كُـرِزَ بـه بين الأمم، أومِنَ بـه في العـالم، رفِـع في المجد)

قال: أولا.. هـذا الكلام لبـولس، وقـد عرفنـا أنـه لا ينبغي الاعتمـاد عليه في هـذا.. ومـع ذلـك، فلن نلغي مـا فهمتم من هـذا الكلام بهـذا السبب.. بل هناك أسباب أخرى تدعو إلى إلغاء الاعتماد عليه.

أولها أن ذكر لفظ الجلالـة (اللـه) كفاعـل لفعـل (ظهـر) إنمـا هـو اجــتهاد وتصـرف من المـترجم، ولا وجـود لهـذه اللفظـة في الأصـل اليوناني بل فعل (ظهر) فيها مذكور بدون فاعـل، أي مـذكور بصـيغة المبني للمجهول (أُظْـهِـرَ)، كما هو حال سائر أفعال الفقرة: كُـرِزَ بـه بين الأمم، أومنَ به في العالم..

وقد اتبعت الترجمة العربيـة الحديثـة الكاثوليكيـة الأصـل اليونـاني بدقة فذكرت فعـل ظهـر بصـيغة المبـني للمجهـول، ولم تـأت بلفـظ الجلالة هنا أصلا، وهذا ما ذكرته بحروفـه :(ولا خلاف أن سـر التقـوى عظيم. قد أُظهِرَ في الجسد، وأُعـلِن بارا في الروح وتـراءى للملائكـة وبُشِّر به عند الوثنيين وأومن به في العالم، ورُفِـعَ في المجد)[2]

وهكذا في الترجمتين الحديثتين المراجعتين الفرنسية والإنجليزية، وبهذا يبطل الاستدلال بالفقرة على ألوهيـة المسـيح، لأن الـذي ظهـر في الجسد هو المسيح، الذي كان كائنـا روحيـا فيمـا سـبق، فهـو أول خليقة الله حسب عقيدة بولس.

بالإضافة إلى هذا.. فإن بعض الجمل اللاحقة تؤكد أن الـذي ظهـر ليس الله ولا هو بإله، كعبارة: أُعلِنَ باراً في الروح، أو عبـارة رُفِـعَ في المجــد.. حيث أنــه من البــديهي أن اللــه تعــالى الممجــد في علاه القدوس أزلاً وأبداً، لا يمكن أن يأتي أحد ويرفعـه في المجـد أو يعلنـه باراً في الروح، إنمـا هـذا شـأن العبـاد المقـربين والرسـل المكـرمين وحسب.

1() كما في الترجمة التقليدية البروتستانتية.

2() العهد الجديد الطبعة الكاثوليكية.

بالإضـافة إلى هـذا كلـه، فإنـه يمكن تأويـل النص لينسـجم مـع المحكمات من النصوص، بل لينسجم مع النص نفسه.

فالظهور لا يعني دلالته الحرفية، ولكنه يعني أن الله ظهر برسالته وآياته التي صنعها رسوله.

الثالوث:

قلت: فلننتقل إلى ما ورد في رسالة يوحنا الاولى (5/7)فقد جـاء فيها:(فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة: الآب والكلمة والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد).. فمفهوم الثالوث واضـح هنـا.. بـل ليس هناك ما هو أوضح منه.. فالآب والكلمة والروح هؤلاء الثلاثـة هم واحد.

قـال: نعم هـذا النص واضـح تمـام الوضـوح، ولكن هـل هـو كلام المسيح أو كلام الأنبياء، أو كلام الحواريين؟

قلت: هو كلام يوحنا..

قال: وهو ليس من تلاميذ المسيح.. فكيف تعتمد عليه في عقيـدة تنسخ المسيحية نفسها؟

قلت: أنت تعود بنا إلى التشكيك في يوحنا.

قال: لا بأس.. هذه مجرد إشارة.. فأجبني: هل أنت متأكـد من أن هذا هو النص الأصلي[1]؟

قلت: لو لم يكن هو النص الأصلي ما أثبت في الكتاب المقدس؟

قـال: لا.. لقـد تأكـدت من هـذا النص.. ورجعت إلى المصـادر الأصلية.. وقد وجدت أن هذا النص مخترع، غـير موجـود فى الأصـول اليونانية.. بل لم يظهر إلى الوجود إلا فى عصـور متـأخرة، ليس قبـل القرن السادس عشر بعد ميلاد المسيح.

قلت: ما تقول؟.. إن ما تنطق به خطير جدا.

1() انظر الكلام على هذا النص في رسالة (الكلمات المقدسة) من هذه السلسلة.

قال: سأذكر لك قصة هذا النص، فلا تعجل..

هذا النص وجـد فقـط فى ثمانيـة مخطوطـات، سـبعة منهـا تعـود للقرن السادس عشر، والمخطوطـة الأخـيرة من القـرن العاشـر أى بعد ألف سنة موجود بها هـذا النص على الهـامش بخـط مختلـف، ولا يعرف على وجه الدقة تاريخ كتابته.

ليس ذلك فقط.. بل إن السبعة مخطوطات السـابق ذكرهـا منهـا أربعة كتب هذا النص فيث هامشها.

وأول مرة ظهرت هذه الكلمات كـانت فى مخطوطـة لاتينيـة فى القرن الرابع على الهامش، ثم ترجمت الى اليونانية.

والقصة واضحة.. لقد لفت نظر أحد النساخ لفـظ ثلاثـة الموجـود فى العدد الثامن، والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة: الروح والمــاء والـدم والثلاثـة هم في الواحـد.. فلم يجـد مانعـا من أن يضـيف على لسان يوحنا ثلاثة أخرى لتساعده فى إثبات عقيدة التثليث التى لا تجد لها أى نص صريح فى الكتاب المقدس.

بـل يقـول بعض علمـائكم أن النص أضـيف باللغـة اللاتينيـة أثنـاء احتدام النقاش مـع آريـوس الموحـد وأتباعـه، فكـان لابـد من إضـافة تقوى مركزهم، ثم وجدت هذه الإضافة طريقا بعد ذلك حـتى ظهـرت لأول مرة فى الطبعة الثالثة من إنجيل ايرازمس سنة 1522 ميلاديـة بضغط على ايرازمس هـذا الـذى لم يضـعها فى الطبعـة الاولى عـام 1516 والثانية عام 1519 من كتابه.

وقـد سـئل عن سـبب عـدم وضـعه هـذا النص، فأجـاب الإجابـة المنطقية الوحيدة، وهي أنه لم يجدها فى أى نص يونـانى قـديم، فتم وضـع المخطوطـة رقم 61 باليونـانى، وبهـا هـذا النص.. وهنـا فقـط أضافها إيرازمس إلى الكتاب المقدس، وبعد ضغط قوى من الكنيسة الكاثوليكية

فكيـف يمكن الاعتمـاد على نص لم يظهـر قبـل القـرن السـادس عشر، وفي مخطوطات محدودة تشكل جزءا من آلاف المخطوطات الموجودة باللغة اليونانية!؟

وبما أن الترجمة الألمانية تعتمد على الطبعة الثانية من كتاب إيرازمس هذا، أي طبعة 1519، فإن الألمان ليس عندهم هذه الصيغة فى أى عصر من العصور.

قلت: ولكن نسخة الملك جيمس الشهيرة فيها هذه الكلمة؟

قال: إن نسخة الملك جيمس الشهيرة اعتمدت بصورة رئيسية على النسخة اليونانية للطبعة العاشرة لنسخة تيودور بيزا التى هى فى الأساس تعتمد على الطبعة الثالثة لنسخة ايرازمس السابق ذكرها، ولذلك فإن هذه الصيغة مشهورة عند الشعوب الناطقة بالإنجليزية فقط أكثر من شهرتها عند غيرهم.

ولذلك عندما اجتمع اثنان وثلاثون عالما نصرانيا مدعمون بخمسين محاضرا مسيحيا لعمل النسخة القياسية المراجعة حذف هذا النص بلا أى تردد.

وهناك ـ بالإضافة إلى هذا ـ شهادة عالم كبير هو إسحاق نيوتن الذى يذكر أن هذا المقطع ظهر أول مرة فى الطبعة الثالثة من إنجيل ايرازمس للعهد الجديد، ويضيف نقطة قوية تدل على هذا.. وهو أن هذا النص لم يستخدم فى أى مجادلات لاهوتية حول الثالوث من وقت جيروم، وحتى وقت طويل بعده.

وقد توالت الردود المسيحية على هذا النص، ومن ذلك ما قاله الكاتب جون جلكر ايست فى كتابه (نعم الكتاب المقدس كلمة الله) الذي وضعه للرد على الشيخ احمد ديدات:(المثل الثالث الذي أورده ديدات هو أحد العيوب التي صحَّحتها ترجمة RSV، وهذا ما نقرّ به. ففي (يوحنا1 5:7) في ترجمة KJV نجد آية تحدِّد الوحدة بين الآب والكلمة والروح القدس، بينما حُذفت هذه الآية في ترجمة RSV. ويظهر أنَّ هذه الآية قد وُضعت أولاً كتعليق هامشي في إحدى الترجمات الأولى، ثم وبطريق الخطأ اعتبرها نُسَّاخ الإنجيل في وقت لاحق جزءاً من النص الأصلي. وقد حُذفت هذه الآية من جميع الترجمات الحديثة، لأنَّ النصوص الأكثر قِدَماً لا تورد هذه الآية [1].

والنص يختفى تماما من النسخة الامريكية القياسية، والطبعة

1() نعم الكتاب المقدس كلمة الله: صفحة 16.

العربية الجديدة من الكتاب المقدس تضع هذه العبـارة بين قوسـين.. مع تنبيهها على أن ما يوضع بين القوسين غير موجود بالأصل.

وهو اعتراف صريح من كتبة الأناجيل أن الابحـاث المعروفـة الـتى تقول أن هذا النص أضيف بعد القـرن الخـامس عشـرالميلادى، وغـير موجود فى أى مخطوطة يونانية.

التفت إلي، وقـد رآني غـرقت حيـائي ممـا يفعلـه قـومي بكتـابهم المقدس، فقال: لا بأس.. لقد وجد من قومك من يبرر هذا.

ارتدت إلي نفسي، فقـال: لقـد قـالوا بـأن الـروح القـدس ألهمت الكاتب أن يضيف هذه الزيادة.

ابتسمت لهذا المخـرج الـذكي، فقـال: ألم يكن من الأجـدى لهـذا الملهم أن يخبر بأن روح القدس ألهمـه ليضـع هـذه الزيـادة في ذلـك المحل.. ويريح الناس من عناءالبحث عن مصدره؟

صمت، فقال: من المسئول عن مصير الملايين من الـذين هلكـوا وسيهلكون وهم يعتقدون أن عقيدة التثليث التى تعلموهـا تقـوم على نص هو في حقيقة أمره دخيل أقحمته يد كاتب مجهول!؟

4 ـ خصائص الألوهية

قلت: فلننتقـل إلى المعـنى الرابـع الـذي نسـتنبط منـه عقائـدنا.. فكثير من النصوص تسند أمورا للمسيح هي من خصائص الألوهية.

قال: مثل ماذا؟

قلت: لقـد أحصـيتها في خمس: الدينونـة، والمغفـرة، والـنزول، والسجود، والمعجزات.

الدينونة:

قال: فلنبدأ بالدينونة.

قلت: يعتبر الكتاب المقدس المسيح ديانـا للخلائـق يـوم القيامـة، كما قال بولس :(أنـا أناشـدك إذاً أمـام اللـه والـرب يسـوع المسـيح العتيد أن يدين الأحياء والأموات عند ظهوره وملكوته)(تيموثاوس(2)

4/1)

فلو جمعنا بين هذا النص وما ورد في المزامير من أن (الله هو الديان)(المزامير: 50/6)، فيكون ذلك دليلاً على ألوهيته.

قال: إن هذا القول يتناقض مع نصوص أخرى أراكم تفتخرون بها، وتكثرون من ذكرها، وتتباهون على المسلمين بورودها في كتابكم.

قلت: مثل ماذا؟

قال: أنتم تقرأون على العالم دائما ما ورد في يوحنا :(لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم، بل ليخلّص به العالم الذي يؤمن به لا يدان، والذي لا يؤمن قد دين، لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد)(يوحنا: 3/17)، فالمسيح ـ بحسب هذا النص ـ لن يدين أحداً، وهو ما أكده يوحنا بقوله على لسان المسيح :(وإن سمع أحد كلامي ولم يؤمن فأنا لا أدينه، لأني لم آت لأدين العالم بل لأخلص العالم، من رذلني ولم يقبل كلامي فله من يدينه، الكلام الذي تكلمت به هو يدينه في اليوم الأخير)(يوحنا 12/47-48)

قلت: أترى تناقضا بين النصين.. ألا يمكن التوفيق بينهما؟

قال: لا حاجة لذلك.. فالتناقض يحصل في كلام الشخص نفسه، لا في كلام شخصين.. فذلك لاذي ذكرته كلام بولس، وهذا كلام المسيح.

قلت: أتريد أن تعود بنا إلى التشكيك في بولس؟

قال: لا.. ولكن ليست هذا أول اختلاف بين بولس والمسيح.. إن الاختلاف بينهما أعمق من ذلك.

قلت: دعك من مثل هذا الكلام.. وعد بنا إلى النص.

قال: لا بأس.. أنتم تعتبرون الدينونة من خصائص الألوهية.

قلت: هكذا ينص الكتاب المقدس.

قال: إن هذا القول يلزم عنه حاجتكم إلى إضافة أقانيم جديدة للألوهية.

قلت: كيف؟

قال: أنتم ملزمون بإضافة التلاميذ الاثـني عشـر بمـا فيهم الخـائن يهوذا الأسخريوطي.. ألم تقرأ مـا ورد في مـتى :(فقـال لهم يسـوع: الحق أقول لكم: إنكم أنتم الذين تبعتمـوني في التجديـد، مـتى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضـاً على اثـني عشـر كرسياً تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر)(متى 19/28)

وورد في لوقـا:(لتـأكلوا وتشـربوا على مائـدتي في ملكـوتي وتجلسوا على كراسيّ، تدينون أسباط إسـرائيل الإثـني عشـر)(لوقـا 22/30)

الغفران:

قلت: ومما يستدل به على طبيعة المسيح مـا نقلتـه الأناجيـل من غفـران ذنب المفلـوج والخاطئـة على يديـه، مـع أن المغفـرة من خصائص الألوهية، وعليه فالمسيح إله يغفر الذنوب، فقد قال للخاطئة مـريم المجدليـة:(مغفـورة لـك خطايـاك)(لوقـا 7/48)، كمـا قـال للمفلوج:(ثق يا بني، مغفورة لك خطاياك)

قال: أنتم تبترون النصوص عن سـياقها، فتحرفونهـا بـذلك أخطـر تحريف.

قلت: أتريد أن تهرب إلى السياق؟

قال: لا يمكن أن تفهم النص بعيدا عن سـياقه.. أرأيت لـو قطعت كلامك إربا إربا.. هل يمكن أن يفهم أحد مقصودك؟

قلت: لا..

قـال: فكـذلك فعـل قومـك.. ولـذلك سـنرجع إلى السـياق لنفهم الكلام على حقيقته:

ففي قصـة المـرأة لمـا شـكّ النـاس بالمسـيح، وكيـف قـال لهـا: (مغفورة خطاياك)، مع أنه مجرد بشر، أزال المسـيح اللبس، وأخـبر المرأة أن إيمانها هو الذي خلصها.

ولا بأس أن أسوق لك القصة هنا كما أوردها لوقا :(وأما هي فقد دهنت بالطيب رجليّ، من أجل ذلك أقول لك: قد غُفرت خطاياها الكثيرة، لأنها أحبت كثيراً، والذي يغفر له قليل يحب قليلاً، ثم قال لها: مغفورة لك خطاياك، فابتدأ المتكئون معه يقولون في أنفسهم: من هذا الذي يغفر خطايا أيضاً!؟ فقال للمرأة: إيمانك قد خلّصك، اذهبي بسلام) (لوقا 7/46-50)

ومثل ذلك ما ورد في قصة المفلوج، فإنه لما دار في خلد اليهود أنه يجدف، وبخهم المسيح على الشر الذي في أفكارهم، وصحح لهم الأمر، وشرح لهم أن هذا الغفران ليس من فعل نفسه، بل هو من سلطان الله، لكن الله أذن له بذلك، كما في سائر المعجزات والعجائب التي كان يصنعها، وقد فهموا منه المراد، وزال اللبس من صدورهم.

والقصة بتمامها كما أوردها متى هي :(قال للمفلوج: ثق يا بني، مغفورة لك خطاياك، وإذا قوم من الكتبة قد قالوا في أنفسهم: هذا يجدّف، فعلم يسوع أفكارهم فقال: لماذا تفكرون بالشر في قلوبكم؟ أيما أيسر: أن يقال مغفورة لك خطاياك، أم أن يقال قم وامش؟ ولكن لكي تعلموا أن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا، حينئذ قال للمفلوج: قم احمل فراشك واذهب إلى بيتك، فقام ومضى إلى بيته، فلما رأى الجموع تعجبوا، ومجدوا الله الذي أعطى الناس سلطاناً مثل هذا)(متى 9/3-8)

قلت: أنا أؤمن بأن للنص سلطانا في حد ذاته.. ولا ينبغي لسياق النص أن يلغي هذا السلطان.

قال: لا بأس.. هل قال للمسيح للمرأة :(قد غفرت لك خطاياك)؟

قلت: لقد قال لها :(مغفورة لك خطاياك)

قال: فالمسيح لم يدع أنه هو الذي غفر ذنبها، بل أخبرها بأن ذنبها قد غُفر، والذي غفره بالطبع هو الله تعالى.

ومثل ذلك قوله للمفلوج :(ثق يا بني، مغفورة لك خطاياك)،

فأخبر بتحقق الغفران، ولم يقل: إنه هو الغافر لها.

وبذلك تكون المغفرة هنا من باب الإخبار بالغيب الذي جعلـه اللـه للأنبياء، بل لمن هو دونهم.

ويدل لهذا أن المسـيح طلب من اللـه أن يغفـر لليهـود، ولـو كـان يملكه لغفر لهم ولم يطلبه من الله كما في لوقـا :(فقـال يسـوع: يـا أبتاه اغفر لهم، لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون)(لوقا 23/34)

صمت، فقال: إن هذا القول يلـزمكم بإضـافة أقـانيم كثـيرة للإلـه الواحد:

أولهم تلاميذ المسيح، فقد ذكر المسـيح لهم أن بإمكـانهم غفـران الذنوب التي تتعلق بحقوقهم الشخصية، بـل وكـل الـذنوب والخطايـا، كمـا في مـتى :(إن غفـرتم للنـاس زلاتهم، يغفـر لكم أيضـاً أبـوكم السـماوي، وإن لم تغفـروا للنـاس زلاتهم لا يغفـر لكم أبـوكم أيضـاً زلاتكم)(متى 6/14-15)

بل ورد في يوحنا مـا هـو أخطـر من ذلـك، فيقـول :(من غفـرتم خطاياه تغفر له، ومن أمسكتم خطاياه أمسكت)(يوحنا 20/28)

وهذا السلطان دفع لكـل التلاميـذ، كمـا في مـتى :(الحـق أقـول لكم: كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السماء، وكل مـا تحلّونه على الأرض يكون محلـولاً في السـماء، وأقـول لكم أيضـاً: إن اتفق اثنان منكم على الأرض في أي شيء يطلبانـه فإنـه يكـون لهمـا من قبل أبي الذي في السموات)(متى 18/18-20)

وليس التلاميذ فحسب.. بل إن هذا السـلطان يمتـد إلى الكنيسـة التي ورثت هذا السلطان عن بطرس.. فقد أصـبح القسـس يغفـرون للخـاطئين عن طريـق الاعـتراف أو صـكوك الغفـران، واعتمـدوا في إقرار ذلك على وراثتهم للسلطان الذي دفع لبطرس، كما في متى :(أنت بطرس.. وأعطيك مفاتيح ملكـوت السـماوات، فكـل مـا تربطـه على الأرض يكون مربوطاً في السماوات، وكل مـا تحلـه على الأرض يكون محلولاً في السـماوات)(مـتى 16/19)، فلـو غفـر بطـرس أو البابا وارثه لإنسان غفرت خطيئته من غير أن يقتضي ذلك ألوهيته.

النزول:

قلت: ومما يستدل به على طبيعة المسيح ما نقلته الأناجيل من أن المسيح قد أتى من فوق أو من السماء، و(الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع)(يوحنا 3/31)، ولهذا نحن نرى صورة ألوهيته مشرقة في قوله:(أما أنا فمن فوق، أنتم من هذا العالم، أما أنا فلست من هذا العالم)(يوحنا 8/23).. وكل هذا يدل على أنه كائن إلهي فريد.

قال: مع أن هذا ليس شيئا من خواص الألوهية إلا أنه يلزمكم بوضع أقانيم جديدة لآلهة كثيرة:

أولها الملائكة، كما جاء في متى :(لأن ملاك الرب نزل من السماء)(متى 28/2).

ثم أخنوخ الذي صعد إلى السماء كما في العهد القديم :(وسار أخنوخ مع الله، ولم يوجد، لأن الله أخذه)(التكوين 5/24)، مع أنه ورد في يوحنا :(ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء، ابن الإنسان الذي هو في السماء)(يوحنا 3/13)، فأخنوخ مثله.. فلم لا تقولون بألوهيته.

ثم إيليا الذي صعد إلى السماء، كما في العهد القديم :(ففصلت بينهما فصعد إيليا في العاصفة إلى السماء)(ملوك (2) 2/11)

بل إن الأناجيل تذكر أن التلاميذ، هم أيضاً مولودين من فوق أو من الله، ففي يوحنا :(وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنين باسمه)(يوحنا 1/12)

بل إن كل المؤمنين بالمسيح مولودون من فوق بما أعطاهم الله من الإيمان، فهم كسائر المؤمنين كما قال المسيح :(الحق الحق أقول لكم: إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله)(يوحنا 3/3)، وكما قال يوحنا :(كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح، فقد ولد من الله)(يوحنا (1)ـ 5/1)، وقال :(كل من يصنع البر مولود منه)(يوحنا (1)2/29)

قلت: ولكن المسيح قال :(أما أنا فلست من هذا العالم)

قـال: ليس هـذا دليلاً على الألوهيـة، فمـراده اختلافـه عن سـائر البشر باستعلائه عن العالم المادي الذي يلهث وراءه سائر الناس.

وقد قال مثل هذا القول في حق تلاميذه أيضاً بعـد أن لمس فيهم حب الآخرة والإعراض عن الـدنيا، فقـال :(لـو كنتم من العـالم لكـان العالم يحب خاصته، لكن لأنكم لستم من العالم، بل أنـا اخـترتكم من العالم، لذلك يبغضكم العالم)(يوحنا 15/19)

وفي موضع آخـر قـال عنهم :(أنـا قـد أعطيتهم كلامـك، والعـالم أبغضهم، لأنهم ليسوا من العالم كما أني لست من العالم)(17/14-15)، فقال في حق تلاميذه ما قاله في حق نفسه من كـونهم جميعـاً ليسوا من هذا العـالم، فلـو كـان هـذا على ظـاهره، وكـان مسـتلزماً الألوهية، للزم أن يكون التلاميذ كلهم آلهة، لكن تعبـيره في ذلـك كلـه نوع من المجـاز، كمـا يقـال: فلان ليس من هـذا العـالم، يعـني هـو لا يعيش للدنيا ولا يهتم بها، بل همُّـهُ دوماً رضا الله والدار الآخرة.

السجود:

قلت: ومما يستدل به على طبيعة المسيح مـا نقلتـه الأناجيـل من سجود بعض معاصري المسيح له.. وفي سـجودهم لـه دليـل ألوهيتـه واستحقاقه للعبادة:

فقد سجد له أب الفتاة النازفة، كما في متى :(فيمـا هــو يكلمهم بهذا إذا رئيس قد جاء، فسجد له)(متى 9/18)

كما سجد له الأبرص :(إذا أبرص قد جاء وسجد له)(متى 8/2)

كما سـجد لـه المجـوس في طفولتـه :(فخـروا وسـجدوا لـه، ثم فتحوا كنوزهم)(متى 2/11)

ففي رضا المسيح بالسجود له دليـل على ألوهيتـه، يـدل لهـذا أن بطرس رفض سجود كرنيليوس له، وقال له :(قم أنـا أيضـاً إنسـان)(أعمال 10/25)، فقد اعتبر السجود نوعاً من العبادة لا ينبغي إلا لله.

قال: إن هذا يلزمكم بإضافة أقانيم كثيرة للإله الواحد:

ألم يرد في العهد القديم أن يعقوب وأزواجه وبنيه سجدوا لعيسـو

بن إسحاق حين لقاءه، فقد ورد فيه :(وأما هو فاجتاز قدامهم، وسجد إلى الأرض سبع مرات، حتى اقترب إلى أخيه.. فاقتربت الجاريتان هما وأولادهما وسجدتا، ثم اقتربت ليئة أيضاً وأولادها وسجدوا. وبعد ذلك اقترب يوسف وراحيل، وسجدا)(التكوين 33/3-7)؟

ألم يسجد موسى لحماه حين جاء من مديان لزيارته فقد جاء:(فخرج موسى لاستقبال حميه، وسجد، وقبّله) (خروج 18/7)؟

ألم يسجد إخوة يوسف تبجيلاً لأخيهم يوسف، فقدجاء :(أتى إخوة يوسف، وسجدوا له بوجوههم إلى الأرض) (التكوين 42/6)؟

بل إن هذه العادة استمرت في بني إسرائيل، فقد جاء :(وبعد موت يهوياداع جاء رؤساء يهوذا، وسجدوا للملك)(الأيام (2) 24/7)

قلت: فما تفهم أنت من هذا السجود؟

قال: هذا نوع من التحية.. وهو لا حرج فيه إذا لم يرتبط بنية العبادة، وقد ذكره القرآن الكريم مع شدة تحرزه من كل ذرائع الشرك، فقد قال تعالى عن يوسف :﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (يوسف:100)

قلت: فلماذا رفض بولس وبطرس سجود الوثنيين لهما؟

قال: لقد خشيا أن يكون سجودهم من باب العبادة، لا التعظيم، خاصة مع رؤيتهم معجزات التلاميذ، فقد يظنونهم آلهة لما يرونه من أعاجيبهم.

المعجزات:

قلت: ومما يستدل به على طبيعة المسيح ما نقلته الأناجيل من معجزات لا يمكن أن تصدر من بشر، ولهذا ورد في سفر أعمال الرسل:(أيها الرجال الاسرائيليون اسمعوا هذه الاقوال. يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات

صنعها الله بيده في وسطكم كما انتم ايضا تعلمون) (سفر أعمال الرسل 22:2)

ولهذا عندما تسأل أي مسيحي: ما الذي دلك على كون المسيح إلهاً؟ فسيقول لك: دل عليه ظهور الافعال والمعجزات العجيبة على يديه، كإحياء الموتى والسلطان على الطبيعة وشفاء البرصى والعمي وتكثير الطعام.

قال: لا أظن أن المسيحي الذي يقول هذا يكون قد قرأ الكتاب المقدس مرة واحدة في حياته.

قلت: وما أدراك بذلك؟

قال: لأن كل من قرأ الكتاب المقدس سيعلم أن المعجزات وحدها لا تكفي للدلالة على النبوة، فكيف تكفي للدلالة على الألوهية؟.. لقد ورد في متى(24: 24):(سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة، ويعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يضلوا المختارين).. فإذا كان المنافق الكاذب يستطيع أن يأتي بالمعجزات والافعال العجيبة، فعلى أي قياس يمكننا أن نميز بين الانبياء الحقيقيين ومدعي النبوة!؟... وإذا كان الحال كذلك فهل نستطيع اعتبار معجزات المسيح دليل على نبوته فضلاً عن اتخاذكم إياها دليلاً على ألوهيته!؟

دعنا من هذا.. فأنا أتحدث مع حبر عالم لا مع عامي.. أجبني: هل كان قيام المسيح بصنع المعجزات والافعال العجيبة استناداً إلي قوته الذاتية وسلطانه، أم استناداً إلي قوة الله؟

صمت، فقال: من العجيب أن تعتبروا المعجزات دليلا على الألوهية مع كون المسيح نفسه يقر بأن القدرة التي كان يمتلكها هي مدفوعة له من الله تعالى.. لقد قال في إنجيل متى (11:ـ 27): (كل شيء قد دفع إلي من أبي) فالرب هو الدافع والمسيح هو المدفوع له.. ولا شك أن هناك فرقا عظيم بين الدافع والمدفوع له.

ليس هذا فقط.. بل قد ورد التصريح بهذه الحقيقة العظيمة في مواضع كثيرة من الأناجيل:

فقد جاء في إنجيل يوحنا(5:ـ 19):(فأجاب يسوع، وقال لهم:

الحق الحق أقول لكم لا يقـدر الابن أن يعمـل من نفسـه شـيئا إلا مـا ينظر الآب يعمل)

وفيه أيضا، وفي نفس الإصحاح (5:ـ 30):(أنـا لا أقـدر أن أفعـل من نفســي شــيئا. كمــا أســمع أدين ودينونــتي عادلــة لأني لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الآب الذي أرسلني)

وفي نفس الإنجيـل (5:ـ 36):(وأمـا أنـا فلي شـهادة أعظم من يوحنَّا. لأن الأعمال التي أعطـاني الآب لأعملهـا، هـذه الأعمـال بعينهـا التي أنا أعملها هي تشهد لي أن الآب قد أرسلني)

وفي نفس الإنجيــل (4:ــ 35):(الآبُ يحبُّ الابن وقــد دفــع كــل شيء في يده)

وفي إنجيل متى (28ـ: 18):(فتقدَّم يسوع وتمهَّل قائلاً: دُفِعَ إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض)

وفي إنجيـل لوقـا (10:ـ 21 ـ 22):(والتفت (أي المسـيح) إلى تلاميذه وقال: كل شيء قد دُفِـعَ إليَّ من أبي)

وفي نفس الإنجيل(11:ـ 20) يقول المسيح :(ولكن إن كنت أنـا بإصبع الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله)

وقد كان الحاضرون يعلمون ذلك.. يـدل لـذلك مـا ورد في إنجيـل يوحنا(11ـ: 21 ـ 22):(فَقَالَتْ مَرْثَا لِيَسُوعَ: (يَا سَيِّدُ لَوْ كُنْتَ هَهُنَا لَمْ يَمُتْ أَخِي. لَكِنِّي الآنَ أَيْضاً أَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَـا تَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ يُعْطِيـكَ اللَّهُ إِيَّاهُ)

ولهذا كان المسـيح قبـل أن يقـوم بـالمعجزه يتوجـه ببصـره نحـو السماء ويطلب الله ويشكره كما جاء في إنجيـل يوحنـا(11:ـ 41)ـ : (وَرَفَعَ يَسُوع عَيْنَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: (أَيُّهَا الآبُ، أَشْكُرُكَ لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِي، وَقَـدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ دَوْمـاً تَسْـمَعُ لِي. وَلكِنِّي قُلْتُ هَـذَا لأَجْـلِ الْجَمْـعِ الْوَاقِفِ حَوْلِي لِيُؤْمِنُوا أَنَّكَ أَنْتَ أَرْسَلْتَنِي)

وقد تكرر منه هذا الفعل كما في إنجيل مـتى (14:ـ 15 ـ 21): (وَأَمَـرَ الْجُمُـوعَ أَنْ يَجْلِسُـوا عَلَى الْعُشْـبِ. ثُمَّ أَخَـذَ الأَرْغِفَـةَ الْخَمْسَـةَ

وَالسَّمَكَتَيْنِ، وَرَفَعَ نَظَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَبَارَكَ وَكَسَّرَ الأَرْغِفَةَ، وَأَعْطَاهَا لِلتَّلاَمِيذِ، فَوَزَّعُوهَا عَلَى الْجُمُوعِ. فَأَكَلَ الْجَمِيعُ وَشَبِعُوا)

لقد قام المسيح برفع نظره نحو السماء قبل أن يقوم بالمعجزة وقبل أن يبارك، وكأنه يدعو خالق السموات والأرض ليمنحه ما يطلبه من معجزات.

صمت قليلا، ثم قال: ألا تعلم أن هذا القول يلزمكم بإضافة أقانيم كثيرة للإله الواحد؟

قلت: كيف ذلك؟

قال: لقد بشر المسيح كل من يؤمن به بأنه سيعمل من العجائب مثل أعمال المسيح، بل في إمكانه أن يعمل ما هو أعظم منها، فقد جاء في يوحنا على لسان المسيح :(الحق الحق أقول لكم: من يؤمن بي فالاعمال التي أنا أعملها يعملها هو أيضاً ويعمل أعظم منها) (يوحنا 14: 12)

صمت، فقال: لماذا لا تتخذون (اليشع) إلهاً، فقد ذكر الكتاب المقدس في سفر الملوك الثاني (4: 32) أن (اليشع) قد أحيا طفلاً ميتاً.. بل قد جاء فيه ما هو أعظم من ذلك، فقد ورد عنه في سفر الملوك الثاني (13: 20) انه أحيا ميتاً وهو ميت فقد ورد فيه:(وَمَاتَ أَلِيشَعُ فَدَفَنُوهُ. وَحَدَثَ أَنَّ غُزَاةَ الْمُوآبِيِّينَ أَغَارُوا عَلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ عِنْدَ مَطْلَعِ السَّنَةِ الْجَدِيدَةِ، فِيمَا كَانَ قَوْمٌ يَقُومُونَ بِدَفْنِ رَجُلٍ مَيْتٍ. فَمَا إِنْ رَأَوْا الْغُزَاةَ قَادِمِينَ حَتَّى طَرَحُوا الْجُثْمَانَ فِي قَبْرِ أَلِيشَعَ، وَمَا كَادَ جُثْمَانُ الْمَيْتِ يَمَسُّ عِظَامَ أَلِيشَعَ حَتَّى ارْتَدَّتْ إِلَيْهِ الْحَيَاةُ، فَعَاشَ وَنَهَضَ عَلَى رِجْلَيْهِ)

بل جاء في سفر (حزقيال) ما هو أعظم من ذلك، فقد جاء في الاصحاح (37: 7) أنه أحيا جيشا عظيم جداً من الأموات.

ومع هذا لم يقل أحد أن النبي اليشع أو أن النبي حزقيال بهما طبيعة لاهوتية أو أن الرب قد حل بهما. تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا.

أما تكثير الطعام ومباركته، فإنا نجد في الكتاب المقدس عن

اليشع كما في سفر الملوك الثاني (4: 1، 7) أنه صنع معجزة تكثير الزيت، والذي يقرأ هذه المعجزة سيجد أن أليشع لم يرد في خبرها أنه رفع نظره نحو السماء، ولا أنه بارك وشكر الله كما فعل المسيح، ومع ذلك لم يقل أحد أن في أليشع طبيعة لاهوتية مع أن هذه الاعجوبة أبلغ مما وقع للمسيح.

أما خضوع عناصر الطبيعة.. فإن الطبيعة ــ حسب الكتاب المقدس ـ قد خضعت لكثيرين، وكان منهم أليشع وإيليا ويشوع، فالذي يقرأ ماجاء في سفر الملوك الثاني (1: 7، 14) سيجد أن إيليا أمر عنصر النار التي هي سيدة العناصر، فأخضعها وأطاعته بمجرد أمره فنزلت من السماء، فلم يكن من ايليا إلا انه أمر فكان.

وجاء في سفر الملوك الثاني (2:ـ 7،ـ 8) عن إيليا واليشع : (ووقف كلاهما بجانب الأردن، وأخذ إيليا رداءه ولفه وضرب الماء، فانفلق إلي هنا وهناك فعبر كلاهما في اليبس)

أليس انفلاق الماء الذي وقع معجزة لإيليا واليشع أعظم من هدوئه الذي وقع معجزة للمسيح.. ومع ذلك لم تقولوا أنتم.. ولم يقل أحد إن في إيليا طبيعة لاهوتية.

أما شفاء العمي والبرصى.. فقد نص الكتاب المقدس على أن هذه المعجزة قد حدثت على يد اليشع، كما في سفر الملوك الثاني (6: 14 _ 20).. ومن يقرأ ما جاء في خبر هذه المعجزة سيجد أن ما فعله أليشع لم يكن بفرد واحد أو باثنين أو بثلاثة بل كان بجيش كبير .. ومع ذلك لم تقولوا أنتم.. ولم يقل أحد إن في اليشع طبيعة لاهوتية.

أما التنبؤ بأحداث المستقبل.. فاليشع قد تم له ذلك.. وذلك عندما وعد المرأة الشونمية التي لم يكن لها ابن ورجلها قد شاخ (فَقَالَ لَهَا أَلِيشَعُ: (فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ مِنَ السَّنَةِ الْقَادِمَةِ سَتَحْضُنِينَ ابْناً بَيْنَ ذِرَاعَيْكِ. فَقَالَتْ:(لاَ يَاسَيِّدِي رَجُلَ اللهِ. لاَ تَخْدَعْ أَمَتَكَ) لَكِنَّهَا حَمَلَتْ وَأَنْجَبَتِ ابْناً فِي الزَّمَنِ الَّذِي أَنْبَأَ بِهِ أَلِيشَعُ) (سفر الملوك الثاني:4: 16)

بالإضافة إلى هذا.. فإن الكثير من الانبياء تنبؤو بالغيب والأحداث

المستقبلية ممن وردت أسـماؤهم في الكتـاب المقـدس.. بـل قـاموا بصنع الآيات والمعجزات كالمسيح تماماً.. ومع هذا لم يقل أحــد منكم ولا من غيركم أن فيهم طبيعة لاهوتية.

التفت إلي، فــرآني مســتغرقا في الســماع، فقــال: أأنتم أعلم بالمسيح من تلاميذ المسيح؟

قلت: لا.. هم أعلم بالمسيح منا.

قال: فقد حصلت كل هذه المعجزات أمام أعينهم، ومع ذلك كــان أقصى ما قالوا :(قد قام فينا نبي عظيم) كما جاء في (لوقا: 7: 16)، وم يكن من المسـيح إلا أن أقـرهم ولم ينكـر عليهم وصـفهم لـه بالنبوة.

بل إن المسيح نفسه لم يقصد من المعجزة إلا إقناعهم بنبوته كما جاء في إنجيل يوحنا(11: 41): (وَرَفَعَ يَسُوعُ عَيْنَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: (أَيُّهَا الآبُ، أَشْكُرُكَ لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِي، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ دَوْمـاً تَسْـمَعُ لِي. وَلكِنِّي قُلْتُ هَذَا لأَجْلِ الْجَمْعِ الْوَاقِفِ حَوْلِي لِيُؤْمِنُوا أَنَّكَ أَنْتَ أَرْسَلْتَنِي)

فهل يمكن لمخلص للمسيح بعد هـذا أن يتخـذ من قيـام المسـيح بإحياء الموتى دليلاً على ألوهيته؟

***

هذا حديثي مع هذا الرجل الصالح.. لقد عشت في رحـاب كلماتـه أياما جميلة.. وقد حـاولت كلاليب الـدنيا بعـد لقـائي معـه أن تجـذبني إليها، وتخلصني من أسر كلماته، لكنها لم تطق..

ومــع ذلــك لم تكن لــدي القــوة لأواجــه كــل تلــك الجيــوش من المنكـرين علي، فلـذلك انـزويت في بيت متواضـع، وفي طـرف من أطراف الأرض، لا يسمع بي أحد، ولا أكاد أسمع أحدا.

لكني اليوم وبعد أن كنت أقرأ قوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَـا أَنْزَلْنَـا مِنَ الْبَيِّنَـاتِ وَالْهُـدَى مِنْ بَعْـدِ مَـا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَـابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُــونَ (159) إِلَّا الَّذِينَ تَـابُوا وَأَصْــلَحُوا وَبَيَّنُــوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } [البقرة: 159، 160]، رحت

أسجل هذه الكلمات، لعلها تشفع لي عند ربي، وتخلصني من اللعنات التي تصب على الكاتمين.

ثانيا ـ الفداء

لا يهمكم أن تعرفوا اسمي.. ولا مدى دقة مـا حصـل لي ممـا سأحكيه لكم.. بل كلوا البقلة، ولا تسـألوا عن البقـال..واسـتمتعوا بالنور، ولا يهمكم السراج الذي صدر منه.

بداية قصتي تبدأ من نهاية القصة الأولى التي سـمعتموها من صاحبي المختفي الذي لا يكاد يـرى.. فأنـا كنت مثلـه مسـيحيا، ثم بعـد أن سـمعت قصـته خـرجت من الثـالوث إلى الوحـدة.. ومن المسيحية المحرفة إلى المسيحية المصححة..

لكـني وفي بدايـة إسـلامي.. ومـع إخلاصـي فيـه.. كـانت في عقلي بعض لوثـة من عقيـدة الفـداء الـتي غرسـت جـذورها في أعمـاق كيـاني.. ولـذلك كنت أسـأل اللـه دائمـا أن يقيض لي من الأشعة ما يرفع منها كل أثر، ويمحو منها كل دنس.

وقد استجاب الله دعوتي..

فبينمـا كنت أسـير في تلـك المدينـة العجيبـة أمـام بعض السجون بثياب رجـال الـدين.. الـتي كنت ألبسـها لأصـد عـني كـل شبهة.. سمعت سجينا يصيح بملء فيه : (أنا بريء.. أنا بريء..)

لم ألتفت في البدء لهذا الصياح.. فأنـا أعلم أن كـل السـجناء يـرددون مثـل هـذا.. فمن الصـعب على المجـرم أن يعتقـد أنـه مجرم.. ولو اعتقد أنه مجرم لربما كان ذلك سـببا لتوبتـه وإقلاعـه عن إجرامه.

لكن صياحه اشتد.. وصـرت أسـمعه يقـول: (نعم.. الجريمـة وقعت.. ووقعت في بيتي.. لكن أبي هو المسؤول عنها.. لقـد أقـر أمامكم بذلك.. فلماذا أخذتموني بدله؟)

عنـدما قـال هـذا بـدأت الوسـاوس تخطـر على بـالي، وقلت لنفسي: تعالي معي.. لعل لهذا المجرم من الشأن ما يستدعي أن أقف بجانبه.

دخلت إلى السجن.. وطلبت مقابلة السجين.. وبما أني رجل دين، فقد لقيت استقبالا حارا من إدارة السجن.. بل إن المدير نفسه عندما سمع بقدومي هرع لاستقبالي، ثم أدخلني مكتبه..

وفي مكتبه سألته عن سر ذلك السجين، فقال: أي سجين؟

قلت: ذلك الذي يصيح ببراءته.. وبأن أباه هو الذي ارتكب الجريمة بدله.

قال: آ.. تقصد (أوغسطينوس)[1]

قلت: من (أوغسطينوس)؟

قال: ذلك السجين الذي تتحدث عنه.. إنه لا يكف عن ذلك الصياح.. لقد حاولنا أن نستعمل معه كل الوسائل لإسكاته فلم نفلح..

ثم ابتسم، وقال: لطالما أثار عطف من يمر بهذا الشارع.. كلهم يأتيني راجيا أن يفرج عنه.

ثم تثاءب، وقال: ومع ذلك.. فإن السجن استفاد من صياحه هذا.. لقد صار هذا السجن أشهر سجن في هذه المنطقة جميعا بسببه.

قلت: فما جريمته؟.. ولم يصيح بهذا الصياح؟

قال: هذا رجل متهم بجريمة كبيرة.. وعقابها قد لا يقل عن الإعدام.. ولم يبق لإعدامه إلا أيام معدودة.. ولذلك تراني شديد الحزن عليه.

قلت: لم؟

---

[1] () أشير به إلى القديس أوغسطين (354 ـ 430).. وهو أحد أهم الشخصيات المؤثرة في المسيحية الغربية.. بل تعتبره الكنيستان الكاثوليكية والأنغليكانية قديسا، وأحد آباء الكنيسة البارزين، وشفيع المسلك الرهباني الأوغسطيني.. كما يعتبره العديد من البروتستانت، وخاصة الكالفنيون أحد المنابع اللاهوتية لتعاليم الإصلاح البروتستانتي حول النعمة والخلاص.. وتعتبره بعض الكنائس الأورثوذكسية مثل الكنيسة القبطية الأرثوذكسية قديسا.. وقد اخترناه هنا باعتباره في مقدمة النصارى الذين قدموا تفسيراً متكاملاً لفكرة الكفارة، ويعتبره العثماني في كتابه: (ما هي النصرانية؟) الوحيد الذي استوعب قضية الكفارة.

قال: هكذا.. لست أدري.. لقد جبلت مذ كنت صبيا على رحمة شديدة.. قد لا تناسب الوظيفة التي وكلت إلي..

قلت: أليس من الممكن التخفيف عنه.. كأن تحكموا عليه بالمؤبد بدل الإعدام؟

قال: لا.. لا يمكن ذلك.. لقد ورد القرار النهائي.. ولا يمكن الطعن فيه ولا التغيير..

قلت: أليس هناك من حل؟

قال: ليس هناك إلا حل واحد.

قلت: ما هو؟

قال: أن أقدم ولدي الوحيد فداء له..

قلت: كيف تقول هذا.. وما ذنب ولدك المسكين.. وكيف تزعم الرحمة وأنت تريد أن تفعل هذا بولدك؟

قال: لقد قال لنا أصحاب القرار الذين طلبنا منهم أن يراجعوا قرارهم بشأن السجين: (ليس هناك من حل إلا إذا تطوع السجان بأن يقدم ولده فداء له وبدلا عنه)

قلت: لكني سمعت الرجل يخبر أنه ليس مجرما.. وأن الذي قام بالجريمة والده.. ألا يمكن أن تعيد المحكمة التحقق من هذا الكلام؟

قال: ولماذا تعيد المحكمة التحقق؟

قلت: ربما يكون كلامه صادقا.. قد لا يكون هو الذي ارتكب الجريمة.. وقد يكون والده بالفعل هو الذي ارتكبها.

قال: المحكمة لا تحتاج للتحقيق في هذا.

قلت: لم؟

قال: لأنها حققت.. ولم تحكم عليه إلا بعد تحقيقها.

قلت: هل عرفت المحكمة أنه هو الذي ارتكب الجريمة لا أبوه؟

قال: لا.. بل عرفت أن أباه هو الذي ارتكب الجريمة.. لقد أقر أبوه بذلك.. بل طلب العفو لذلك.. فعفي عنه.

قلت: ولماذا تعاقبون الولد المسكين ما دام والده هو الذي ارتكب الجريمة.. بل أقر بها فوق ذلك؟

قال: لا شك أنك لا تعرف هذه المحكمة..

قلت: كيف لا أعرف المحاكم؟

قال: هذه المحكمة محكمة خاصة.. إنها محكمة تطبق الشريعة المسيحية.. بل إنها تطبق الشريعة الربانية.

قلت: الرب يأمر بالعدل.. لا بالظلم.. وبالرحمة لا بالقسوة.. وبأن يلاقي كل مجرم جزاءه، لا بأن يلاقيه ابنه بدلا عنه.

ثم العجب فوق ذلك أن تربط هذه المحكمة الممتلئة بالجور العفو عنه بأن يقدم ولد السجان البريء روحه فداء له.

نهضت غاضبا، وأنا أردد: أي محكمة هذه؟.. هذه عصابة لا محكمة.

قال بغضب لا يقل عن غضبي: ولماذا إذن تذكرون بأن المسيح ـ الذي هو ابن الله الوحيد ـ صلب لأجل فداء البشرية من خطيئة لم يفعلوها.. ؟

أليس الوضع واحدا؟

ارتدت إلي نفسي، وجلست، وقد أيقنت بأن الله قد يرفع عني على لسان هذا السجان ما يملؤني بالوساوس، ولذلك تظاهرت بمسيحية مخلصة صادقة، فقلت: لقد اجتمع رأي القديسين وآباء الكنيسة على هذا..

قال السجان، وقد اعتدل في الجلسة: يسرني أن أسمع من أهل الكنيسة ما قال آباء الكنيسة.. فاشرح لي عقيدة الفداء.. فلا

يزال ذهني كليلا دون فهم أسرارها.

قلت: لقد كـان سـانت أوغسـطينوس في مقدمـة القديسـين الذين قدموا تفسيراً متكاملاً لهذه العقيدة..

قاطعني، وقال: تقصد أن هذا السجين هو الذي قال هذا..

ابتسـمت، وقلت: لا.. أقصـد القـديس أوغسـطينوس.. لقـد مضى على وفاته قرونا طوالا.

قال: فما ذكر في كشف أسرار هذه العقيدة؟

قلت: اسمعني خطوة خطوة.. وستفهم هـذه العقيـدة بجميـع أبعادها.

قال: كلي سمع لك.. فتحدث.. ولكن لا تتحدث إلا باللغة التي أفهمها.

قلت: لكي تفهم العقيدة المسيحية في هذا البـاب تحتـاج إلى التعرف على سبع عقائد كبرى تقوم عليها المسـيحية لا يمكنهـا أن تفهم المسيحية، ولا أن تـدين بهـا من دونهـا.. أن تعـرف الخطيئـة الأولى.. ثم العقوبة الخاصة المرتبطـة بهـا.. ثم تعـرف كيـف ورث آدم الخطيئة لذريته.. ثم تعرف العقوبة العامة لأجل تلـك الخطيئـة الموروثة.. ثم تعرف القانون الذي وضعه الله لتكفير الخطايـا.. ثم تعرف أن المسـيح صـلب.. ثم تعـرف أنـه صـلب لأجـل أن يفتـدى المسيح البشرية بصلبه..

1 ـ الخطيئة الأولى

قـال: فحــدثني عن العقيــدة الأولى.. حــدثني عن الخطيئــة الأولى.

قلت: حدثت الخطيئـة الأولى عنـدما خلـق اللـه آدم وحـواء.. وأدخلهمـا جنتـه.. ونهاهمـا عن الأكـل من أحـد أشـجارها.. فـأغوى إبليس حـواء.. فـوقعت هي وزوجهـا في شـراك كيـده.. وأكلا من الشجرة المحرمة..

لقد نص على هذا سفر التكوين.. ففيه:(وأخذ الرب الإله آدم، ووضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها، وأوصى الرب الإله آدم قائلاً: من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً.. وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل أكلاً.. وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها، لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت..

وكانت الحية أحيَل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الإله؟، فقالت للمرأة: أحقاً قال الله: لا تأكلا من كل شجر الجنة؟ فقالت المرأة للحية: من ثمر شجر الجنة نأكل، وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه، ولا تمساه لئلا تموتا.

فقالت الحية للمرأة لن تموتا، بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر، فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل، وأنها بهجة للعيون، وأن الشجرة شهية للنظر، فأخذت من ثمرها، وأكلت، وأعطت رجلها أيضاً معها، فأكل فانفتحت أعينهما، وعلما أنهما عريانان. فخاطا أوراق تين، وصنعا لأنفسهما مآزر.

وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار، فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة، فنادى الرب الإله آدم، وقال له: أين أنت؟

فقال: سمعت صوتك في الجنة، فخشيت لأني عريان، فاختبأت، فقال: من أعلمك أنك عريان ؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك ألا تأكل منها؟ فقال آدم: المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت.

فقال الرب الإله للمرأة: ما هذا الذي فعلت؟ فقالت المرأة: الحية غرّتني فأكلتُ.

فقال الرب الإله للحية: لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم. ومن جميع وحوش البرية على بطنك تسعين، وتراباً تأكلين كل أيام حياتك، وأضع عداوة بينكِ وبين المرأة وبين نسلك ونسلها، هو يسحق رأسك، وأنت تسحقين عقبه.

وقال للمرأة: تكثيراً أكثر أتعاب حبلك، بالوجع تلدين أولاداً، وإلى رجلك يكون اشتياقك، وهو يسود عليك.

وقال لآدم: لأنك سمعت لقول امرأتك، وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلاً: لا تأكل منها. ملعونة الأرض بسببك، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك، وشوكاً وحسكاً تنبت لك، وتأكل عشب الحقل، بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها، لأنك تراب، وإلى تراب تعود...

وقال الرب الإله: هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشر، والآن لعله يمد يده، ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً، ويأكل ويحيا إلى الأبد، فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها، فطرد الإنسان، وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم، ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة) (التكوين 2/15-3/24)

هذا هو الأمر الأول الذي تنبني عليه عقيدة المسيحيين في الفداء.. أما العقيدة الثانية..

قاطعني، وقال: دعنا نفهم هذا النص أولا.. فلا يصح أن نمر على الكلمات المقدسة من دون تثبت وتدبر..

قلت: لك الحق في ذلك.. فكل كلمة في الكتاب المقدس تحوي من المعاني ما يحتاج إلى تأمل طويل.

قال: لقد نسبت هذه الفقرات التي كنت تقرؤها الإغواء إلى الحية.. فهل هي حية حقيقية أم أنها رمز للشيطان (انظر الرؤيا 20/2)؟

قلت: أظن أنها حية حقيقية.. فإن سفر التكوين كان يتحدث عن حية حقيقية، وليس عن معنى رمزي، فقد وصف الحية بأنها من البهائم.. فقد قال عنها : (الحية أحيل جميع حيوانات البرية)، وقال عنها: (ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية، على بطنك تسعين)

فهذه النصوص تدل على أنها حية حقيقية.. وأنها التي نراها

إلى يومنا هذا وهي تسعى على بطنها، عقوبة للعصيان، كما جاء في السفر التوراتي.

التفت إلي، وقلت: ما مرادك من هذا السؤال؟

قلت: هو مجرد تساؤل.. فكثيرا ما خطر على بالي السؤال عن الحيوان.. وهل يكلف ويعاقب أم لا؟.. وهل تكليفه قبل آدم أم بعده؟..، وهل أرسل الله له رسلا من جنسه أم لا؟.. وغير ذلك من التساؤلات.

دعنا منها جميعا.. وعد بنا إلى المعصية التي وقع فيها آدم.. ما هي معصية آدم؟

قلت: لقد أجاب سفر التكوين عن ذلك.. لقد ذكر أن آدم أكل من الشجرة المحرمة، شجرة معرفة الخير والشر، لقد عرف هو وزوجه الخير والشر.

قال: وما في ذلك؟.. أليست المعرفة هي السلم الوحيد للوصول إلى الحقيقة؟.. فهل كان بحث آدم عنها وتشوقه إليها جريمة؟.. أليس ذلك تحقيقاً للمشيئة الإلهية في إقامة الجنس البشري؟.. ثم ألا ترى من الظلم أن يعاقب آدم - حسب النص - على ذنب ما كان له أن يدرك قبحه، إذ لم يعرف بعدُ الخير من الشر؟

قلت: أرى أنك تسأل تساؤلات خطيرة.. قد تؤثر على عقيدتك كمسيحي؟

قال: اعذرني.. أنا لم أعرفك بنفسي.. نعم أنا مسيحي.. ولكني في الأصل كنت مسلما.. ولهذا فإن التساؤلات التي أسألها نابعة من عقائدي السابقة التي أحاول أن أتخلص منها.. أنا لا أسألك لأنكر عليك، وإنما أسألك لترد الشبهات التي تحاول أن تنحرف بعقلي عن الدين الوحيد الصحيح الذي رضيه الله للبشرية.

لقد رأيت القرآن الكريم يذكر ما وقع فيه آدم من أكل الشجرة.. ولكنه مع ذلك لا يبالغ مثل هذه المبالغة في شأنها.. بل نجده يكاد يلتمس الأعذار لآدم في ذلك..

فقد ذكر القرآن الكريم نسيانه للأمر الإلهي، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً ﴾ (طه: 115)

وورد في الحديث:(حاجَّ موسى آدم فقال له: (أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم؟)، قال آدم:(يا موسى أنت الذي اصطفاك اللّه برسالاته وبكلامه؟ أتلومني على أمر كتبه اللّه عليّ قبل أن يخلقني، أو قدره اللّه عليَّ قبل أن يخلقني؟)، فقال رسول اللّه ﷺ:(فحج آدم موسى)[1]

وأجد فيه أنه بمجرد أن تاب تاب الله عليه.. ففي القرآن : ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة:37)

قلت: ألا ترى أن آدم بتصرفه ذلك قد وضع قوته الإرادية في غير موضعها عندما تناول ما حرم عليه..

قال: أجل.. أعلم ذلك.. وكل إنسان قد يكون معرضا لذلك..

قلت: وهو بتصرفه ذلك قد ارتكب ـ حسبما ينص القديسون وآباء الكنيسة ـ على جرائم عظيمة:

أولها.. أنه كفر.. إذ اختار أن يعيش محكوماً بسلطته، بدل أن يعيش في ظل الحكم الإلهي.

وثانيها.. أنه أساء الأدب مع الله.. لأنه لم يتيقن في الله.

وثالثها.. أنه قتل نفسه.. إذ جعل حكمها الموت.

ورابعها.. أنه زنا زنا معنويا.. لأن إخلاص الروح الإنسانية قد ضاع من أجل التصديق بقول الحية المعسول.

وخامسها.. أنه سرق.. إذ نال ما لا يحل له.

وسادسها.. أنه طمع.

---

[1] رواه البخاري ومسلم.

وفوق ذلك كله.. فإنه فعل المعصية بإصرارا وتعمد.. فلم يكن صعباً عليه تحاشي المعصية.. إذ لم يكن يعرف يومذاك عواطف الهوس والشهوة.

لقد كانت هذه الخطيئة بالجرائم الكثيرة التي تحملها أمَّاً لكل الأخطاء البشرية.. فمهما أمعنت في حقيقة أي إثم، فستجد له انعكاساً في هذه الخطيئة الواحدة.

2 ـ العقوبة الخاصة

قال: لا بأس.. سلمت لك بهذه العقيدة.. فآدم قد أخطأ خطأ كبيرا..

قلت: وقد استحق بذلك أن تنزل عليه العقوبة..

قال: وهذه هي العقيدة الثانية.. فحدثني عنها.

قلت: لقد تحدث سفر التكوين ــ كما قرأنا من قبل ــ على عقوبات ثلاث طالت آدم وحواء والحية:

أما **الحية** فكانت عقوبتها هي ما نص عليه في قول الرب لها: (ملعونة أنت من جميع البهائم، ومن جميع وحوش البرية على بطنك تسعين، وتراباً تأكلين كل أيام حياتك، وأضع عداوة بينك وبين المرأة، وبين نسلك ونسلها، هو يسحق رأسك، وأنت تسحقين عقبه)

وأما عقوبة **حواء**، فهي ما نص عليه في قول الرب لها: (تكثيراً أكثر أتعاب حبلك، بالوجع تلدين أولاداً، وإلى رجلك يكون اشتياقك، وهو يسود عليك)

وأما عقوبة **آدم**، فهي ما نص عليه في قول الرب له: (ملعونة الأرض بسببك، وبالتعب تأكل منها كل أيام حياتك، وشوكاً وحسكاً تنبت لك، وتأكل عشب الحقل، بعرق وجهك تأكل خبزاً)

قال: اسمح لي أن أبدي بعض الملاحظات.. لقد ذكرت لك أني إنسان مجادل.. وأني يصعب إقناعي.. فاصبر علي..

ابتسـمت، وقلت: قـل مـا تشـاء.. فلن تجـد في إلا الصـدر الواسع.

شجعه ذلك على الحديث، فقال: اسمح لي أن **أبدأ بالحية**.. أنا مغرم بالحيات.. وبعالم الحيات.. ولدي في بيـتي منهـا الكثـير.. أنـا كلمـا نظـرت إليهـا أتسـاءل: هـل كـانت الحيـة قبـلُ مسـتوية القامة.. حسناء جميلة.. لا تأكل التراب.. بل تبلع الحيوان؟

وأتساءل بعـد ذلـك.. هـل كـانت الحيـات قبـل المسـيح تأكـل التراب.. وأن الذي رفعه عنها هذه العقوبة هو المسيح بعد صلبه؟

لست أدري..

التفت إلي، وقال: هل لديك علم يرتبط بهذا؟

أردت أن أجيب، فقــال: دعنــا من الحيــات.. فلنتحــدث عن الإنسان.. فنحن ـ كما ترى ـ بشر، ولسنا حيات.

قلت: أجل.. فهل لديك إشـكالات ترتبـط بالإنسـان؟.. قلهـا.. فأنا رجل دين متفتح تماما..

قلت ذلك لأستحثه.. فقد كان لكلامه من المنطـق العقلي مـا كانت نفسي تهفو إليه.

قال: أجل.. لقد ذكرت أن **المرأة عوقبت** بأمرين: أحــدهما جسماني، وهو أتعاب الحمل والـولادة.. وثانيهمـا: معنـوي نفسـي، وهو دوام اشتياقها للرجل، وأنه يسود عليها.

قلت: أجل.. ذلك صحيح.. وهو ما نص عليه سفر التكوين.

قال: ألا ترى أن هذه العقوبة تختلـف عن العقوبـة الـتي هـدد بها من يأكل من الشجرة.. لقد ورد في نفس السفر:(وأما شجرة معرفة الخـير والشـر فلا تأكـل منهـا، لأنـك يـوم تأكـل منهـا موتـاً تموت)؟

قلت: قد يفسر الموت بالموت المعنوي..

قال: ولكن السياق لا يـدل عليـه.. بالإضـافة إلى أني وجـدت

بولس يقول: (كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس، إذ أخطأ الجميع) (رومية 5/23)

بالإضافة إلى أن النص يقول: (لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت)، فكأن هذا يصرف الموت عن المجاز إلى الحقيقة، فكما أن الأكل حقيقي، فإن الموت حقيقي أيضا.

قلت: أنا أيضا.. أرى ما ترى، فالنص يكاد يكون صحيحا في دلالته على هذا..

قال: لا بأس.. هناك مسألة أخطر من هذا.. لطالما راودتني..

قلت: ما هي؟

قال: لطالما تساءلت.. من يتحمل وزر الذنب آدم أم حواء؟

قلت: الكتاب المقدس ينص على أن الذي يتحمله هو حواء.. ففيه أن حواء التي أغوتها الحية فأكلت (وأعطت رجلها أيضاً معها، فأكل)، ولما سئل عن فعلته قال آدم: (المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة، فأكلت)،

لقد صرح بولس ببراءة آدم، فقال: (وآدم لم يغو، لكن المرأة أغويت، فحصلت في التعدي) (تيموثاوس(1)ـ 2/14)، لأنه (كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم) (رومية 5/12)

قال: اسمح لي أن أذكر بأن القرآن يخالف الكتاب المقدس في هذا.. فعندما تحدث القرآن عن خطيئة آدم حمّل آدم وهو الرجل المسؤولية الأولى.. ففيه : ﴿ فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ (طـه:121)

أردت أن أغير مجرى الحديث، فقلت: بالمناسبة.. لقد عرفت ما ذكره الكتاب المقدس عن عقوبة آدم وزوجه والحية.. فما ذكر القرآن من ذلك.. ألم تقل لي بأنك كنت مسلما؟

قال: بلى.. لقد رأيت القرآن تناول هذه الناحية بما يربطها

بالحياة البشرية على الأرض.. لقد نص القرآن على عقوبتين:

أما إحداهما، فتوجهت إلى الشيطان.. وقد توجهت إليه مباشرة بعد رفضه السجود لآدم ومجادلته لله في ذلك.. لقد نص على هذه العقوبة في القرآن الكريم في مواضع منه.. منها هذا النص الذي يبين سبب العقوبة ونوعها: وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآَدَمَ فَسَجَدُوا إلا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (11) قَالَ مَا مَنَعَكَ ألا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (12) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (13) قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (14) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (15) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (16) ثُمَّ لَآَتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (17) قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ (18) (الأعراف)

أنت ترى من خلال هذا النص أن إبليس كان مصرا على معصيته.. وأنه مع ذلك طلب أن ينظر ليمارس معاصي جديدة هي إغواء آدم وذريته.. وقد وفى بما وعده عندما وسوس لآدم.. أما عقوبته فهي العذاب في نار جهنم، هو ومن اتبعه من بني آدم.

وأما الثانية.. فقد توجهت لآدم وزوجه.. وقد اختلفت كثيرا عن عقوبة الشيطان.. لأن آدم وزوجه بمجرد أن وقعا في الخطيئة تابا إلى الله.. ولذلك، فإن عقوبتهما ارتبطت بالدنيا.. ففي القرآن : فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآَتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آَدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (121) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (122) قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124) (طه)

قلت: لقد ذكر القرآن عقوبة مرتبطة بالآخرة في الآيات التي قرأتها.

قـال: العقوبـة المرتبطـة بـالآخرة لا تتعلـق بأكـل آدم من الشجرة.. بل تتعلق بما سيسلكانه في الحياة.. فإن سـلكا طريـق الله عادا إلى جنـة أشـرف وأكمـل.. وإن سـلكا طريـق الشـيطان حشرا معه في نار جهنم.

قلت: والحية.. ما عقوبة الحية؟

قـال: لم يـذكر القـرآن أي حيـة.. القـرآن ذكـر إبليس وأنـه وسوس لآدم وزوجه.

قلت: عن طريق الحية.

قال: لم ينص القرآن على ذلك..

قلت: فكيف وصلت وساوس إبليس لآدم وزوجه؟

بمجرد أن سألت هذا السؤال رن الهاتف، فاسـتأذنني.. وبعـد أن أنهى المكالمة قـال لي: اعـذرني.. هـذا صـديق لي في أمريكـا دائم الاتصال بي.. عد بنا إلى ما كنا فيه.

قلت: لقد سألتك عن الكيفية التي وصلت بها وساوس إبليس لآدم وزوجه.

ابتسم، وقال: وما الكيفية الـتي وصـلت بهـا كلمـات صـديقي من أمريكا لي؟

قلت: عبر الموجات.. فالموجات هي التي أوصلت كلامـه إلى جهاز استقبالك.

قال: أفترى البشر أقدر على صـناعة مثـل هـذه الأجهـزة من الشياطين؟

ابتسمت، وقلت: ألهم هواتف مثلنا؟

قـال: لا تسـأل عن الكيفيـة.. ففي الكيفيـة تحتـار العقـول.. وتخطئ العقول.

3 ـ وراثة الخطيئة

قلت: دعنا من هذا.. وهلم نتحدث عن العقيدة الثالثة.. عقيدة وراثة الخطيئة.. ألديك تساؤلات حولها؟.. قل ولا تهب.. فصدري واسع لكل ما تذكره.

قال: لدي تساؤلات كثيرة حولها.. ولكني لن أذكرها لك حتى تشرح لي ما تراه فيها.. فربما كان سبب تساؤلاتي أني أحمل نظرة خاطئة عنها.

قلت: لقد شرحها آباء الكنسية وقديسوها بما لا مزيد عليه..

قال: فما ذكروا؟

قلت: لقد ذكروا أنه بعد أن هزمت الخطيئة آدم سلب الله منه الحرية الإرادية، فأصبح حراً في إتيان الإثم، وغير حرٍ في صنع المعروف، فالعقاب المعقول للذنب هو الذنب بعده، بعد تخلي رحمة الله عنه.

وهكذا أصبحت الخطيئة مركبة من طبيعة الأبوين، وانتقلت منهما وراثة إلى سائر أبنائهما.. فيولد الطفل وهو مذنب، لأن وباء الخطيئة قد سرى إلى هذا الطفل وراثة..

لقد قال القديس أوغوسطينوس يشرح ذلك: (إن آدم هو ـ كما يروي سفر التكوين ـ أول إنسان خلقه الله على الأرض، وهذا الإنسان قد ارتكب الخطيئة الأولى التي يروي الفصل الثالث من سفر التكوين أحداثها، وبسبب وضعه المميّز في الفردوس ومسؤوليته الشاملة كجدّ للبشرية كلها، فقد انتقلت الخطيئة بالوراثة منه إلى جميع الناس)

وصور القديس (توماس أكويناس) (1274م) ذلك بالذنب تذنبه الروح، لكنه ينتقل إلى أعضاء وجوارح الإنسان.

وهكذا أصبح البشر جميعاً خطاة، وكما يقول عوض سمعان في كتابه (فلسفة الغفران في المسيحية): (وبما أن آدم الذي ولد منه البشر جميعاً كان قد فقد بعصيانه حياة الاستقامة التي خلقه الله عليها، وأصبح خاطئاً قبل أن ينجب نسلاً، إذن كان أمراً بدهياً أن يولد أبناؤه جميعاً خطاة بطبيعتهم نظيره، لأننا مهما جُلنا

بأبصارنا في الكون لا نجد لسنة الله تبـديلاً أو تحـويلاً، ولـذلك قـال الوحي: (بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم) (رومية 5/12 - 21).

وقد شبه (كالوني) أحد علمـاء البروتسـتانت انتقـال الخطيئـة لبني آدم بانتقال الوباء، فقال:(حينما يقال: إننا اسـتحققنا العـذاب الإلهي من أجـل خطيئـة آدم، فليس يعـني ذلـك أننـا بـدورنا كنـا معصـومين أبريـاء، وقـد حملنـا ظلمـاً ذنب آدم.. الحقيقـة أننـا لم نتوارث من آدم العقاب فقط، بل الحق أن وبـاء الخطيئـة مسـتقر في أعماقنا، على سبيل الإنصاف الكامل، وكذلك الطفـل الرضـيع تضعه أمـه مسـتحقاً للعقـاب، وهـذا العقـاب يرجـع إلى ذنبـه هـو، وليس من ذنب أحد غيره)

وبرر (ندرة اليازجي) هذه العقيدة تبريرا حسـنا، فقـال: (آدم هو مثال الإنسان، الإنسان الذي وجد في حالة النعمة وسقط، إذن سقوط آدم من النعمة هو سقوط كل إنسان، إذن خطيئـة آدم هي خطيئة كل إنسـان، فليس المقصـود أن الخطيئـة تنتقـل بـالتوارث والتسلسـل لأنهـا ليسـت تركـة أو ميراثـاً.. إنمـا المقصـود أن آدم الإنسان قد أخطأ، فأخطـأ آدم الجميـع إذن، كـل واحـد قـد أخطـأ، وذلك لأنه إنسان)

ابتسم، وقال: هل تأذن لي في أن أطرح تساؤلاتي الثقيلة؟.. اسمح لي فأنا ثقيـل بطبعي.. لا أسـتطيع أن أجامـل، ولا أن أكتم.. ربما كان هذا من دلائل إخلاصي وصدقي في البحث.. وربمـا كـان نوعا من الهرطقة..

على العموم.. أنا لا أقصد إلا البحث عن الحقيقة..

قلت: تحـدث كمـا يحلـو لـك.. فقـد ذكـرت لـك أني مسـتعد لأسمع كل ما تقول.

قـال: أنـا أرى أن مـا ذكـره هـؤلاء الآبـاء الكـرام، وهـؤلاء القديسون المبجلون ـ مع احترامي لهم ـ لا يعـدو أن يكـون مجـرد تبريرات متهافتة.. هي أقرب إلى لغـة الدبلوماسـية منهـا إلى لغـة العقل..

أعجبتني صراحته، وقد دعاني ذلك إلى استفزازه ليقـول كـل ما عنده، فقلت: ألا ترى أنك تظلمهم بذلك؟

قـال: لا.. هم الـذين يظلمـون عقـولهم بـذلك.. ألا تـرى أن تشبيههم لوراثة الذنب بعدوى المـرض لا أسـاس لـه من الصـحة.. ذلك أن المرض شيء غير اختياري.. فلا يقـاس الـذنب عليـه، كمـا أن المرض لا يعاقب عليه الإنسان.

ومثل ذلك فصل (أكونياس) بين الروح والجسد وقوله بـــ (أن الخطيئة تسـري من الـروح للجـوارح).. إن هـذا غـير صـحيح.. لأن الخطأ عندما يقع فيـه الإنسـان، فإنمـا يقـع فيـه بروحـه وجسـده.. فالإنسان مركب منهما، ويمارس حياته من خلالهمـا معـاً.. أمـا آدم فهو غير مركب من آدم وأبنائه.

قلت: لعلك لم تقرأ ما ورد في القرآن.. فقـد ورد فيـه : وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَـهِدْنَا أَنْ تَقُولُـوا يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (لأعراف:172)

قال: بلى..

قلت: إن هذه الآية تنص على أن الله استخرج ذريـة بـني آدم من أصلابهم، شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم.. وهــذا يعني أن ذرية آدم كانوا مع آدم في الجنة.. وكانوا معه حين ارتكب الخطيئة.. وبالتالي يتحملون معه وزرها.

ابتسم، وقال: إن ما تنص عليه الآية مختلف تماما.. إنها تـذكر أن الله أودع في الفطر الإنسـانية معرفتـه.. لقـد وردت الأحـاديث تدل على هذا.. ففي الحديث : (كـل مولـود يولـد على الفطـرة - وفي روايـــة: على هـــذه الملـــة - فـــأبواه يهودانـــه، وينصـــرانه، ويمجسانه، كما تولد البهيمة بهيمة جمعـاء، هـل تحسـون فيهـا من جدعاء)[1]

إن هــذا حقيقــة من حقـائق الإسـلام الكـبرى.. فالأصـل في

---

[1] رواه البخاري ومسلم.

الإسلام براءة الإنسان من كل ذنب لم يفعله..

لقد ورد في القرآن الآيات الكثيرة الدالة على هذا.. سأسوق لك منها ما يكفي لدلالتك على ذلك.. ففيه : مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً (15) (الأعراف).. أي لا يحمل أحد ذنب أحد، ولا يجني جانٍ إلا على نفسه.

وفي آية أخرى : وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ (فاطر: 18)

وفي آية أخرى: وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إلا مَا سَعَى (لنجم:39)

وفي آية أخرى: وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْداً (مريم:80)

وفي آية أخرى : إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إلا آَتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (93) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (94) وَكُلُّهُمْ آَتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (95) (مريم)

إن هذه النصوص وغيرها كثير تقرر المسؤولية الفردية، وأن كل إنسان مسؤول عن خاصة نفسه في عمله وسلوكه وحياته، ثم هو نتيجة هذه المسؤولية سيحاسب وحده، وسيلقى الله وحده.

قلت: ولكن ألم تقرأ هذه الآية : وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالا مَعَ أَثْقَالِهِمْ (العنكبوت: 13).. وهذه الآية : وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ (النحل: 25)

قال: هاتان الآيتان لا تعارضان النصوص السابقة.. بل هي تؤيدها وتقويها.

قلت: كيف ذلك.. أنا أراهما متعارضتان.

قال: أجبني.. أرأيت لو أن شخصا أخطأ فشرب الخمر أو ارتكب أي معصية.. ألا يحاسب على ذلك؟

قلت: بلى..

قال: أرأيت لو أنه لم يكتف بشربه ولا بمعصيته.. بل راح

ينشر المعاصي ويدعو إليها ويستعمل كل الأساليب لذلك، فغر بسببه ناس كثيرون.

قلت: يحاسبون جميعا على ما فعلت أيديهم.

قال: ألا ترى أنه سيتميز عنهم بمزيد من العقاب؟

قلت: بلى.. فهو لم يكتف بأن يعصي.. بل راح يحرض عليها.. وربما كان التحريض أكبر من الخطيئة نفسها.

قال: ولذلك نصت تينك الآيتين على أن الإنسان قد يتحمل أوزار غيره إن كان سببا فيها..

وقد وردت النصوص الكثيرة تدل على هذا.. وتعتبر أن الداعية للأعمال حسنة أو سيئة ينال جزاء دعوته أو إثمها:

ففي الحديث عن جرير قال: كنا في صدر النهار عند رسول الله فجاء قوم عراة مجتابي[1] النمار[2] ــ أي لابسيها ــ قد خرقوها في رءوسهم مقلدي السيوف، عامتهم من مضر بل كلهم من مضر فتغير وجه رسول الله لما رأى ما بهم من الفاقة فدخل ثم خرج فأمر بلالا فأذن وأقام فصلى ثم خطب فقال : يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً (النساء:1)، والآية التي في سورة الحشر : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (الحشر:18) تصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره حتى قال : ولو بشق تمرة.. فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت، ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول الله تهلل كأنه مدهنة[3] فقال رسول الله :(من سن في الإسلام سنة حسنة

---

[1] من الجوب وهو القطع.

[2] جمع نمرة وهي كساء من صوف مخطط - أو العباء.

[3] أي كأنه ورقة مطلية بذهب، وهو كناية عن ظهور البشر والإشراق من شدة السرور.

فلـه أجرهـا وأجـر من عمـل بهـا من بعـده من غـير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليـه وزرهـا ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء)[1]

وفي حـديث آخـر:(إن هـذا الخـير خـزائن، ولتلـك الخـزائن مفاتيح، فطوبى لعبد جعله الله مفتاحا للخير مغلاقـا للشـر، وويـل لعبد جعله الله مفتاحا للشر مغلاقا للخير)[2]

ابتسـمت، وقلت: فـأنت تريـد أن تنسـخ مـا ذكـره الآبـاء والقديسون بما ورد في القرآن..

قال: لا.. لم أقصد ذلك.. ليس القرآن وحـده هـو الـذي يقـرر هذا.. لقد قـرأت الكتـاب المقـدس.. فوجدتـه يقـرر هـذه الحقيقـة تقريـرا قطعيـا لا شـك فيـه.. ولسـت أدري كيـف غـاب ذلـك عن قديسينا الأجلاء..

سأقرأ عليك بعض ما أحفظـه من نصـوص الكتـاب المقـدس التي تدل على هذا، كما قرأت لك من القرآن ما يدل عليه:

لقد ورد في (حزقيال 18/20 ـ 21): (النفس التي تخطيء هي تمـوت، الابن لا يحمـل من إثم الأب، والأب لا يحمـل من إثم الابن، بر البار عليه يكون، وشر الشرير عليه يكون)

وفي (التثنية 24/16): (لا يقتل الآبـاء عن الأولاد، ولا يقتـل الأولاد عن الآباء، كل إنسان بخطيئته يقتل)

وفي (إرميـاء 31/30): (بـل كـل واحـد يمـوت بذنبـه، كـل إنسان يأكل الحصرم تضرس أسنانه)

وفي (إرميـا 32/19): (الـذي عينـاك مفتوحتـان على كـل طـرق بـني آدم لتعطي كـل واحـد حسـب طرقـه، وحسـب ثمـرة أعماله)

وفي (الأيام (2)ـ 25/4): (لا تموت الآباء لأجـل البـنين، ولا

[1] رواه مسلم وغيره.

[2] رواه ابن ماجه وغيره بسند فيه لين.

البنون يموتون لأجل الآباء، بل كل واحد يموت لأجل خطيته)

وفي (حزقيال 18/17): (فإنه لا يموت بإثم أبيه)

وفي (التكوين 18/23 -ـ 25): (أفتهلك البار مع الأثيم، عسى أن يكون خمسون باراً في المدينة، أفتهلك المكان ولا تصفح عنه من أجل الخمسين باراً الذين فيه، حاشا لك أن تفعل مثل هذا الأمر: أن تميت البار مع الأثيم، فيكون البار كالأثيم. حاشا لك، أديان كل الأرض لا يصنع عدلاً)

كما أنكر المسيح الخطيئة الأصلية بقوله ــ كما في (يوحنا 15/22 ـ 24) ـ: (لو لم آت وأكلمهم، لم تكن لهم خطيئة، وأما الآن فليس لهم حجة في خطيئتهم.. لو لم أعمل بينهم أعمالاً لم يعملها آخر، لما كانت لهم خطيئة، أما الآن فقد رأوا وأبغضوني).. إن هذا النص لا يتحدث عن خطأ سابق عن وجوده، بل عن خطأ وقع فيه بنو إسرائيل تجاهه، هو عدم الإيمان بالمسيح، وليس فيه أي ذكر للخطيئة الموروثة، بل هو ـ كما يبدو ـ لا يعرف شيئاً عنها.

سكت قليلا، ثم قال: أنا أعلم أن العقيدة المسيحية لا تستند فقط للنصوص المقدسة.. فهناك أيضا رجال الدين الذين لهم سلطة لا تقل عن سلطة المقدس..

هؤلاء أيضا بحثت فيما ذكروا.. فوجدت **الكثير منهم ينكر هذا**..

لقد رأيت بعيني مخطوطات نجع حمادي المكتشفة بعد الحرب العالمية الثانية، وقد رأيت أنها خلت تماما من الحديث عن الخطيئة والغفران الذي يتحدث عنه آباء الكنيسة.

وفوق ذلك رأيت **منكرين محترمين لهذه العقيدة من المسيحيين أنفسهم**:

أذكر منهم ـ على سبيل المثال ـ الراهبان في روما في مطلع القرن الخامس (بيلاجوس) و(سليتوس) وأصحابهما، فقد أنكروا سريان الخطيئة الأصلية إلى ذرية آدم، واعتبروه مما يمنع السعادة الأبدية، وقالوا بأن الإنسان موكول بأعماله.

ومنهم (كوائيليس شيس) الذي نقلت عنه دائرة المعارف البريطانية أنه قال: (ذنب آدم لم يضر إلا آدم، ولم يكن له أي تأثير على بني النوع البشري، والأطفال الرضعاء حين تضعهم أمهاتهم يكونون كما كان آدم قبل الذنب)

ومنهم الميجور جيمس براون الذي وصف فكرة وراثة الذنب الأول بقوله: (فكرة فاحشة مستقذرة، لا توجد قبيلة اعتقدت سخافة كهذه)

قلت: أرى أن لك اطلاعا واسعا على الكتاب المقدس وعلى ما يقول رجال ديننا.. فما الذي دعاك إليه؟

قال: وكيف لا أطلع.. إن هذه المسائل تتقرر من خلالها سعادتي الدائمة وشقائي الدائم.. إنها ليست مسائل لهو ولعب.. بل هي مسائل حياة أو موت.

قلت: فكيف ظهر لك أن تبحث في هذا خصوصا، وتنكره؟

قال: أنا لا أنكر.. وإنما أتعجب وأتساءل.. وأبث إليك بما تمتلئ به نفسي من شبهات..

لقد كان أول ما دعاني للبحث في هذا رجال من الناس.. كنت أبشرهم بالمسيح.. وعندما ذكرت لهم وراثة الخطيئة **قام أحدهم** وسألني بأدب، قائلا : (هل ذنب آدم هو الذنب الوحيد الذي يسرى في ذريته أم أن جميع الخطايا تتوارث؟).. فقلت له: بل ذنب آدم وحده.. فقال: لم خص آدم دون غيره.. ولم خص ذنب آدم دون غيره؟

وقام آخر، وقال: ألا ترى أن هناك فرقا بين وراثة الصفات.. ووراثة الأفعال المكتسبة التي لا يتم توراثها.. فالابن مثلاً يرث من أبية ومن أمه وأجداده صفات كالطول ولون العينين وشكل أجزاء جسمه وحجمها، ولكنه لا يرث الخطيئة.. فلو أن أباك المباشر اقترف إثما، فهل ترث إثمة كما ترث لون عينية؟ ولو أن الأب اختار أن يكون مجرماً، فهل يعني ذلك أن ابنه سيرث منه هذه الطبيعة؟ ومثل ذلك، فإن الاب إن كان صالحاً.. فإن ذلك

لا يعنى بالضرورة أن الابن سيكون مثله، لأنه ورث طبيعة والده؟

كان معنا في ذلك الحين مسلم، فقام، وقال: لقد ذكر القرآن هذا.. ليبين أن كل إنسان لا يمكن أن يؤثر فيه غيره مهما كان ذلك الغير..

لقد ذكر نموذج نوح ﷺ وخلافه مع ابنه، فقال :﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (42) قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إلا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (43)﴾ (هود)

وذكر نموذج إبراهيم، وخلافه مع أبيه، فقال :﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (41) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (42) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (43) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (44) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (45) قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (46) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (47) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى ألا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (48)﴾ (مريم)

وذكر نموذج المرأة الصالحة تكون زوجة للكافر، ومع ذلك لا يضرها، فقال :﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امرأة فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (11)﴾ (التحريم)

وذكر نموذج المرأة المنحرفة تكون زوجة للرجل الصالح، ومع ذلك لا ينفعها، فقال :﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امرأة نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (10)﴾ (التحريم)

وقام آخر، وكان مسلما ملتزما، وقال: لقد ذكرت أن قابيلة

الخطأ متوارثة من آدم.. فكيف يكون ذلك، ونحن نرى في الإنسان قابليته للخطأ باعتبار الطبيعة التي طبع عليها، والظروف التي يوجد فيها..

لقد ذكر القرآن ذلك.. فقد قال يصف الإنسان، وما وهب من القوى والطاقات :﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (4) أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (5) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا (6) أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ (7) أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (8) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (9) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (10)﴾ (البلد)

وقال :﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا (1) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (2) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (3)﴾ (الإنسان)

وقال يصف تحمل البشر جميعا للمسؤولية الثقيلة مسؤولية التكليف بما تحمله من نزوع للخير وللشر :﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (72) لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (73)﴾ (الأحزاب)

لم أجد ما أجيبهم به.. فلذلك رحت أبحث في الكتاب المقدس، وفيما تركه آباء الكنيسة وقديسوها لعلي أظفر بأي جواب.. وقد ظفرت ببعض ما ذكرت لك.

4 ـ العقوبة العامة

قلت: دعنا من هذا.. وهلم نتحدث عن العقيدة الرابعة.. عقيدة العقوبة العامة.. ألديك تساؤلات حولها؟.. قل ولا تهب.. فصدري واسع لكل ما تذكره.

قال: لدي تساؤلات كثيرة حولها.. ولكني لن أذكرها لك حتى تشرح لي ما تراه فيها.. فربما كان سبب تساؤلاتي أني أحمل نظرة خاطئة عنها.

قلت: لقد شرحها آباء الكنسية وقديسوها بما لا مزيد عليه..

قال: فما قالوا؟

قلت: لقـد ذكـروا أن الخطيئـة المتوارثـة لا بـد أن تـؤدي إلى العقوبة العامة.

قــال: أتقصــد أن العمــوم الــذين ورثــوا الخطيئــة من أبيهم سينالهم حظهم من العقاب؟

قلت: أجـل.. فبمـا أن جميـع الجنس البشـري مولـودون وهم يحملون وزر الخطيئـة، فـإن عدالـة اللـه تقتضـي دفـع الثمن لكـل خطيئـة.. ولن يسـمح اللـه، بـل ولا يقـدر أن يسـمح لخطيئـة دون قصاص.

لقد قال بولس في رسالته إلى رومية (5 : 12): (من أجل ذلـك كأنمـا بإنسـان واحـد دخلت الخطيـة إلى العـالم، وبالخطيـة الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ اخطأ الجميع)

التفت إليه، وقلت: ألديك إشكالات ترتبط بهذا؟

قال: أجل.. إن العقد السابقة لم تزدها هذه العقيدة الجديـدة إلا تعقيدا.. واسمح لي أن أبث لك بما في نفسي منها، فـإني أراك واسع الصدر.

لطالمـا تسـاءلت بيـني وبين نفسـي، أقـول: إذا كـان بسـبب خطيئة آدم اجتاز الموت إلى جميع الناس، فلماذا ما يـزال المـوت مستمراً بعد أن فدى المسيح العالم وصالحنا مع الله ؟

ولماذا سار اخنوخ مع الله ولم ير المـوت كمـا يقـول الكتـاب مع أنه لم ينعم في ذلك الحين بالفداء؟

ولماذا صعد إيليا النبي أيضاً إلي السماء ولم يـر المـوت، مـع أنه لم ينعم في ذلك الحين بالفداء؟

ولمــاذا أثــنى الكتــاب المقــدس على الكثـير ممن لم ينعمــوا بالفداء.. ولم يذكر لهم أي عقوبة.. بل إنه **فوق ذلــك نص على**

براءتهم من الخطيئة الأصلية..

التفت إلي، وقال: أنت تعرف أن الكتاب المقدس ـ بأسفاره جميعا ـ يشهد لكثيرين بالخيرية ويثني عليهم، ولو كانوا مسربلين بالخطيئة الأصلية لما استحقوا هذا الثناء:

منهم الأطفال الذين قال فيهم المسيح في إحدى وصاياه ـ كما في (متى 18/3 -ـ 4)، (وانظر مرقس 10/13/16) ــ : (الحق أقول لكم، إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السماوات، فمن وضع نفسه مثل هذا الولد، فهو الأعظم في ملكوت السماوات)

وعندها نهر تلاميذه أطفالاً قال ـ كما في (متى 19/13 ـ 14) ـ: (دعوا الأولاد يأتون إليّ ولا تمنعوهم، لأن لمثل هؤلاء ملكوت السماوات)

إن هذين النصين يشيران بصراحة إلى طهارة الأطفال من الخطيئة الأصلية.. ولذلك جعلهم المسيح مثلاً للأبرار الذين يدخلون الجنة.

التفت إلي مبتسما، وقال: هذا ما يقوله المسيح.. لكن القديس الكبير أوغسطينوس كان يحكم بالهلاك على جميع الأطفال غير المعمدين، وكان يفتي فوق ذلك بأنهم يحرقون في نار جهنم.

المسيح لم يكتف ببراءة الصغار.. بل ذكر براءة الأبرار.. فهو يقول ـ كما في (لوقا 5/32) ـ: (لم آت لأدعو أبراراً، بل خطاة إلى التوبة)، فكيف يوجد أبرار، ولما يصلب المسيح؟

وهؤلاء الأبرار ذكرتهم نصوص التوراة وأثنت عليهم ولم تتحدث عن قيدهم بالخطيئة الموروثة: ففي (حزقيال 18/19 - 23): (كان كلام الرب إلى قائلاً: ما لكم أنتم تضربون هذا المثل على أرض إسرائيل قائلين: الآباء أكلوا الحصرم، وأسنان الأبناء ضرست، حي يقول السيد الرب.. الإنسان الذي كان باراً وفعل حقاً وعدلاً، لم يأكل على الجبال، ولم يرفع عينيه إلى أصنام بيت

إسرائيل، ولم ينجس امـرأة قريبـه، ولم يقـرب طامثـاً، ولم يظلم إنساناً.. فهو بـار، حيـاة يحيـا يقـول السـيد الـرب).. إن هـذا النص يشير إلى أن كـل من يعمـل الصـالحات يكـون بـاراً، ولا تـؤثر فيـه خطية آدم أو غيره.

لم يكتف الكتاب المقدس بهذا الكلام المجمل.. بل إنـه **ذكـر الأمثلة الكثيرة عن الأبرار الذين لم تكبلهم الخطيئة**:

فمن الأنبيـــاء الـــذين أثنت عليهم التـــوراة أخنـــوخ.. ففي (التكـوين 5/24): (وسـار أخنـوخ مـع اللـه، ولم يوجـد لأن اللـه أخــذه).. و قــال عنــه بــولس ــ كمــا في (عبرانــيين 11/5) ــ : (بالإيمان نقل أخنوخ لكيلا يرى الموت، ولم يوجد لأن الله نقله، إذ قبل نقله شهد له بأنه قد أرضى الله)

ومنهم نوح.. ففي(التكوين 6/9): (وكان نوح رجلاً باراً كاملاً في أجياله، وسار نوح مع الله)

ومنهم إبراهيم فقد قيل له ــ كمـا في (التكـوين 11/1) ــ : (لا تخف يا إبرام أنا ترس لك، أجرك كثير جداً)، وقيل عنه ــ كمـا في (التكوين 24/1) ـ: (بارك الرب إبراهيم في كل شيء)

ومنهم أيوب.. ذلك الذي قيل فيه ــ كمـا في (أيـوب 33/8-9 ـ : (قد قلت في مسامعي، وصوت أقوالك سمعت. قلت: أنا بريء بلا ذنب، زكي أنا ولا إثم لي)

ومنهم يوحنـا المعمـدان الـذي قيـل فيـه ــ كمـا في (مـتى 11/11) ـ: (الحق أقـول لكم: لم يقم بين المولـودين من النسـاء أعظم من يوحنـا المعمـدان).. وقـال عنـه لوقـا ـ كمـا في (لوقـا 1/15) ــ: (لأنــه يكــون عظيمــاً أمــام الــرب، وخمــراً ومســكراً لا يشرب)

لم يكتف الكتاب المقدس بالثناء على هؤلاء الأنبياء.. بـل إنـه **كال ثناء كثيرا على بعض من لم يكونوا أنبياء**..

منهم هابيل بن آدم الذي تقبل الله منه ذبيحتـه لصـلاحه، ولم يقبلها من أخيه، فلم تمنعه الخطيئة الأصلية عن أن يكون عند الله

مقبولاً كما (التكوين 4/4).. وقد قال عنه بولس ــ كما في (عبرانيين 11/4) ـ : (بالإيمان قدم هابيل للّه ذبيحة أفضل من قايين، فبه شهد له أنه بار، إذ شهد الله لقرابينه)

ومنهم الناجون مع نوح كلهم من الأبرار ففي (التكوين 6/12-7/23): (ورأى الله الأرض، فإذا هي فسدت، إذ كان كل بشر قد أفسد طريقه على الأرض فقال الله لنوح: نهاية كل بشر أتت أمامي... وتبقى نوح والذين معه في الفلك فقط).. ولو كانت الخطيئة موروثة لما كان ثمة مبرر لهذا التفريق.

ومنهم لاوي بن يعقوب، والذي اختص وسبطه بالكهانة، حيث قال الله عنه ــ كما في (ملاخي 2/5-7) ــ: (عهدي معه للحياة والسلام، وأعطيته إياهما للتقوى، فاتقاني، ومن اسمي ارتاع هو، شريعة الحق كانت في فِيه، وإثم لم يوجد في شفتيه، سلك معي في السلام والاستقامة، وأرجع كثيرين عن الإثم، لأن شفتي الكاهن تحفظان معرفة، ومن فمه يطلبون الشريعة، لأنه رسول رب الجنود)

ومنهم البقية المؤمنة في بني إسرائيل.. كما قال الرب في خطاب أورشليم محدثاً إياها عنهم ـ كما في (صفنيا 3/12-13) ـــ: (وأبقي في وسطكِ شعباً بائساً ومسكيناً، فيتوكلون على اسم الرب، بقيةُ إسرائيل لا يفعلون إثماً، ولا يتكلمون بالكذب، ولا يوجد في أفواههم لسان غش، لأنهم يرعون ويربضون).. فهؤلاء اليهود الباقون في أورشليم ـ كما ذكر هذا النص المقدس ـ منزهون عن الإثم والخطية.

5 ـ كفارة الخطيئة

قلت: دعنا من هذا.. وهلم نتحدث عن العقيدة الخامسة .. عقيدة كفارة الخطيئة.. ألديك تساؤلات حولها؟

قال: لدي تساؤلات كثيرة حولها.. ولكني لن أذكرها لك حتى تشرح لي ما تراه فيها.. فربما كان سبب تساؤلاتي أني أحمل نظرة خاطئة عنها.

قلت: لقد ذكر هذه العقيدة بولس في رسالته إلى العبرانـيين (9 :ـ 22) عنـدما قـال : (وكـل شـيء تقريبـا يتطهـر حسـب الناموس بالدم، وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة)

فهــذا النص يــدل على أن كفــارة الخطيئــة تحتــاج إلى دم يسفك.. وبقدر عظم الخطيئة يكون قدر الدم..

التفت إليه، وقلت: هذا ما قرره بولس.. وهذا ما جـرى عليـه قديسونا.. فهل لديك اعتراض عليه؟

قال: حاشا.. فمن أنا ومن بولس.. أنا عبد ضـعيف فقـير أحن إلى الخلاص.. ولولا حاجـة الخلاص إلى البحث الصـادق، والتحـري الدقيق ما كنت لأطرح هذه التساؤلات.. التي لا أطرحها معترضـا.. بل أطرحها، وأنا أتحرى الحق، وأطلبه..

قلت: فما تساؤلاتك حول ما قال بولس؟

قال: لقد رأيت بولس يعتمـد على شـريعة العهـد القـديم في تقرير هذا.

قلت: أجل.. فقد ذكر الناموس.. والنـاموس لم يقـرر إلا في العهد القديم.

قال: وقد نص على أن الكفارة لا تكون إلا بالدم.

قلت: ذلك صحيح.

قال: لكني وجـدت العهـد القـديم ينص على خلاف هـذا.. نعم هو يذكر الدم.. ولكنه يذكر معه التوبة.. بل إنه يعتبر التوبــة أعظم من الدم..

لقد قرأت في (هوشع 6 ـ 6-7):(إني أطلب رحمة لا ذبيحة، ومعرفتي أكثر من المحرقات ولكنكم مثل آدم، نقضتم عهدي)

وقرأت فيه (هوشع 14 :ـ 1-3):(ارجـع تائبـا ياإسـرائيل إلى الرب إلهك، لأنك قد تعـثرت بخطيئتـك. احملـوا معكم كلام ابتهـال وارجعوا إلى الرب قائلين له: انـزع إثمنـا، وتقبلنـا بفـائق رحمتـك،

فنزجي إليك حمد شفاهنا كالقرابين. إن أشور لن تخلصنا، ولن نعتمد على خيول مصر لإنقاذنا، ولن نقول للأوثان صنعة أيدينا: (أنتم آلهتنا) لأن فيك وحدك يجد اليتيم رحمة)

وقرأت في (ميخا 6 ـ 6-8):(يارب: بماذا أتقدم عندما أمثل أمام الرب وأسجد في حضرة الله العلي؟ هل أتقدم منه بمحرقات وبعجول حولية ؟ هل يسر الرب بألوف أنهار زيت ؟ هل أقرب بكري فداء إثمي وثمرة جسدي تكفيرا عن خطيئة نفسي؟ لقد أوضح لك الرب أيها الإنسان ما هو صالح. وماذا يبتغي منك سوى أن تتوخى العدل، وتحب الرحمة، وتسلك متواضعا مع إلهك)

وقرأت في (مزمور 40:ــ 6 : (لم ترد أو تطلب ذبائح ومحرقات عن الخطيئة، لكنك وهبتني أذنين صاغيتين مطيعتين)

وقرأت في (مزمور: 51 ـ 16 – 17):(فإنك لا تسر بذبيحة، وإلا كنت أقدمها. بمحرقة لا ترضى إن الذبائح التي يطلبها الله هي روح منكسرة. فلا تحتقرن القلب المنكسر والمنسحق ياالله)

وقرأت في (مزمور 69 : 30 –31): (أسبح اسم الله بنشيد وأعظمه بحمد. فيطيب ذلك لدى الرب أكثر من محرقة: ثور أو عجل)

وقرأت في في (إرمياء: 7 :ـ 22) : (هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل : ضموا محارقكم إلى ذبائحكم وكلوا لحماً، لأني لم أكلم آبائكم ولا أوصيتكم يوم أخرجتهم من أرض مصر بشأن محرقة وذبيحة، بل إنما أوصيتهم بهذا الأمر قائلاً: أطيعوا صوتي فأكون لكم إلهاً وأنتم تكونون لي شعباً، وسيروا في الطريق الذي أوصيتكم به ليحسن إليكم)

التفت إلي، وقال: إن هذه العقائد تتوافق تماما مع ما ذكره القرآن.. فهو يذكر أن التوبة هي التي تكفر الخطيئة، لا القرابين..

لقد ورد فيه : أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيم (التوبة: 104).. وفيه : وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ

غَفُـوراً رَحِيمـا (النسـاء :110).. وفيـه : قُـلْ يَـا عِبَـادِيَ الَّذِينَ أَسْـرَفُوا عَلَى أَنْفُسِــهِمْ لا تَقْنَطُــوا مِنْ رَحْمَــةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِــرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (الزمر: 53).. وفيه : وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (هود:3).. وفيه : يَـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُـوا تُوبُـوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَـةً نَصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْـرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُـوا مَعَـهُ نُـورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَـا وَاغْفِـرْ لَنَـا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (التحريم:8)

وأخبر القرآن أن كل الرسل جاءوا بهذا.. ففيه : وَمَا أَرْسَـلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَـهُمْ جَـاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُـولُ لَوَجَـدُوا اللَّهَ تَوَّابـاً رَحِيمـاً (النساء:64)

وأخبر عن نوح أنه قال لقومه : وَيَا قَوْمِ اسْـتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ (هود:52)

وعن صالح أنه قال لقومه : يَا قَوْمِ اعْبُـدُوا اللَّهَ مَـا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْـتَعْمَرَكُمْ فِيهَـا فَاسْـتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ (هود:61)

وعن شعيب أنه قال لقومه : وَيَا قَـوْمِ لَا يَجْـرِمَنَّكُمْ شِـقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَـالِحٍ وَمَـا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ (89) وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْـهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ (90) (هود)

وبمثل ذلك وردت الأحـاديث الكثـيرة عن محمـد.. وإن شـئت رويت لك منها ما يؤكد لك ذلك.

قلت: يسـرني ذلـك.. فحـدثني.. فقـد ذكـرت لـك أني واسـع الصدر.. وأني لا يهمني إلا الحقيقة..

انطلق وجهه بابتسامة عذبة، ثم قال: لقد ورد في الحديث قول محمد : (إن الله عز و جل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها)(1)

وفي حديث آخر قال : (من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه)(2)

وفي حديث آخر قال : (إن من قبل المغرب لبابا مسيرة عرضه أربعون عاما أو سبعون سنة فتحه الله عز وجل للتوبة يوم خلق السماوات والأرض، فلا يغلقه حتى تطلع الشمس منه)(3)

وفي حديث آخر قال : (للجنة ثمانية أبواب سبعة مغلقة وباب مفتوح للتوبة حتى تطلع الشمس من نحوه)(4)

وفي حديث آخر قال : (لو أخطأتم حتى تبلغ السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم)(5)

وفي حديث آخر قال : (من سعادة المرء أن يطول عمره ويرزقه الله الإنابة)(6)

وفي حديث آخر قال : (المؤمن واه راقع(7)، فسعيد من هلك على رقعه)(8)

1() رواه مسلم والنسائي.

2() رواه مسلم.

3() رواه الترمذي في حديث البيهقي واللفظ له وقال الترمذي حديث حسن صحيح.

4() رواه أبو يعلى والطبراني بإسناد جيد.

5() رواه ابن ماجه بإسناد جيد.

6() رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد.

7() معنى واه مذنب وراقع يعني تائب مستغفر.

8() رواه البزار والطبراني في الصغير والأوسط.

وفي حديث آخر قال : (مثل المؤمن ومثل الإيمان كمثل الفرس في آخيته[1] يجول ثم يرجع إلى آخيته، وإن المؤمن يسهو ثم يرجع، فأطعموا طعامكم الأتقياء، وأولوا معروفكم المؤمنين)[2]

وفي حديث آخر قال : (كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون)[3]

وفي حديث آخر قال : (إن عبدا أصاب ذنبا، فقال يا رب إني أذنبت ذنبا فاغفره، فقال له ربه: علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب، ويأخذ به، فغفر له، ثم مكث ما شاء الله، ثم أصاب ذنبا آخر، فقال: يا رب إني أذنبت ذنبا آخر، فاغفره لي، قال ربه: علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به، فغفر له، ثم مكث ما شاء الله، ثم أصاب ذنبا آخر فقال: يا رب إني أذنبت ذنبا فاغفره لي، فقال ربه: علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فقال ربه: غفرت لعبدي فليعمل ما شاء)[4]

وفي حديث آخر قال : (إن المؤمن إذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل منها، وإن زاد زادت حتى يغلف بها قلبه فذلك الران الذي ذكر الله في كتابه : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (المطففين:14))[5]

وفي حديث آخر أن بعضهم سأله، فقال: يا رسول الله أوصني، قال:(عليك بتقوى الله ما استطعت، واذكر الله عند كل حجر وشجر، وما عملت من سوء، فأحدث له توبة السر بالسر

---

[1] () الآخية : هي حبل يدفن في الأرض مثنيا ويبرز منه كالعروة تشد إليها الدابة.. وقيل هو عود يعرض في الحائط تشد إليه الدابة.

[2] () رواه ابن حبان في صحيحه.

[3] () رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم كلهم من رواية علي بن مسعدة وقال الترمذي حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث علي بن مسعدة عن قتادة وقال الحاكم صحيح الإسناد.

[4] () رواه البخاري ومسلم.

[5] () رواه الترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم.

والعلانية بالعلانية)[1]

وفي حـديث آخـر قـال:(إن اللـه يقبـل توبـة العبـد مـا لم يغرغر[2])[3]

وفي حديث آخر قال : (إذا تاب العبـد من ذنوبـه أنسـى اللـه عز و جل حفظته ذنوبه، وأنسى ذلك جوارحه ومعالمـه من الأرض حتى يلقى الله يوم القيامة وليس عليه شاهد من الله بذنب)[4]

وفي حـديث آخـر قـال : (النـادم ينتظـر من اللـه الرحمـة، والمعجب ينتظر المقت، واعلموا عباد الله أن كـل عامـل سـيقدم على عمله ولا يخرج من الدنيا حتى يرى حسن عمله وسوء عمله، وإنما الأعمال بخواتيمها، والليل والنهار مطيتـان، فأحسـنوا السـير عليهما إلى الآخرة، واحذروا التسويف، فإن الموت يـأتي بغتـة، ولا يغترن أحدكم بحلم اللـه عـز وجـل، فـإن الجنـة والنـار أقـرب إلى أحـدكم من شـراك نعلـه)، ثم قـرأ رسـول اللـه : فَمَنْ يَعْمَـلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَـرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَـلْ مِثْقَـالَ ذَرَّةٍ شَـرًّا يَـرَهُ (8) (الزلزلة)[5]

وفي حديث آخر قال : (التائب من الذنب كمن لا ذنب له)[6]

وفي حديث آخر قال : (الندم توبة)[7]

وفي حديث آخر قال : (ما علم الله من عبد ندامـة على ذنب

1() رواه الطبراني.

2() يغرغر: ما لم تبلغ روحه حلقومه فيكون بمنزلة الشيء الذي يتغرغر به.

3() رواه ابن ماجه والترمذي وقال حديث حسن.

4() رواه الأصبهاني.

5() رواه الأصبهاني.

6() رواه ابن ماجه والطبراني.

7() رواه ابن حبان في صحيحه، والحاكم وقال صحيح الإسناد.

إلا غفر له قبل أن يستغفره منه)[1]

وفي حديث آخر قال : (ليس أحد أحب إليه المدح من الله من أجل ذلك مدح نفسه وليس أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش وليس أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل)[2]

وفي حديث آخر قال : (والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم)[3]

وفي حديث آخر قال : (قال الله عز و جل أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حيث يذكرني والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة ومن تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا ومن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا وإذا أقبل إلي يمشي أقبلت إليه أهرول)[4]

وفي حديث آخر قال : (من تقرب إلى الله عز و جل شبرا تقرب إليه ذراعا ومن تقرب إليه ذراعا تقرب إليه باعا ومن أقبل إلى الله عز و جل ماشيا أقبل إليه مهرولا والله أعلى وأجل والله أعلى وأجل والله أعلى وأجل)[5]

وفي حديث آخر قال : (قال الله عز و جل يابن آدم قم إلي أمش إليك وامش إلي أهرول إليك)[6]

وفي حديث آخر قال : (من أحسن فيما بقي غفر له ما مضى ومن أساء فيما بقي أخذ بما مضى وما بقي)[7]

1() رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد.

2() رواه مسلم.

3() رواه مسلم وغيره.

4() رواه مسلم واللفظ له والبخاري بنحوه.

5() رواه أحمد والطبراني وإسنادهما حسن.

6() رواه أحمد بإسناد صحيح.

وفي حديث آخر قال : (إن مثل الذي يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات كمثل رجل كانت عليه درع ضيقة قد خنقته ثم عمل حسنة فانفكت حلقة ثم عمل حسنة أخرى فانفكت أخرى حتى تخرج إلى الأرض)(1)

وفي حديث آخر أن بعضهم أراد سفرا، فقال: يا رسول الله أوصني، فقال: (اعبد الله ولا تشرك به شيئا) قال: يا رسول الله زدني قال : (إذا أسأت فأحسن وليحسن خلقك)(2)

وفي حديث آخر روي أن قريشا قالت لمحمد : (ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهبا، فإن أصبح ذهبا اتبعناك)، فدعا ربه فأتاه جبريل ﵇ فقال: إن ربك يقرئك السلام، ويقول لك: إن شئت أصبح لهم الصفا ذهبا، فمن كفر منهم عذبته عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين، وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة، قال: (بل باب التوبة والرحمة)(3)

وفي حديث آخر قال : (اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن)(4)

التفت إلي، وقال: اسمح لي.. لقد أطلت عليك في رواية الأحاديث.. لست أدري لعل هذا من آثار بداية حياتي التي كنت فيها مسلما.. لكني أشعر أن تلك المعاني التي ذكرها محمد لا تختلف كثيرا عن المعاني التي جاء العهد القديم يقررها..

فقد قال الرب في (إشعيا: 55 :ـ 7): (ليترك الشرير طريقه والأثيم أفكاره، وليتب إلى الرب فيرحمه، وليرجع إلى إلهنا لأنه يكثر الغفران)

---

(7) رواه الطبراني بإسناد حسن.

(1) رواه أحمد والطبراني بإسنادين رواة أحدهما رواة الصحيح.

(2) رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح الإسناد.

(3) رواه الطبراني ورواته رواة الصحيح.

(4) رواه الترمذي وقال حديث حسن.

وقال في (حزقيال:33 :ـ 11):(حي أنا يقول السـيد الـرب، إني لا أبتهج بموت الشرير بل بأن يرتدع عن غيه ويحيا)

وقال في (حزقيال:18 ـ 21 -22) : (ولكن إن رجع الشرير عن خطاياه كلها التي ارتكبها، ومارس جميع فرائضي وصنع ما هو عدل وحق فإنه حتما يحيا، لا يموت ولا تذكر لـه جميـع آثامـه الـتي ارتكبها. إنما يحيا ببره الذي عمله)

وورد في (خروج: 40:12) أن الرب غفر لهارون خطأه، وأمر بجعله وذريته كهنة على بني اسرائيل.

وجاء في بداية المزمـور الأول قـول الـرب:(طـوبى للإنسـان الذي لا يتبع مشورة الأشـرار، ولا يقـف في طريـق الخـاطئين، ولا يجالس المستهزئين.. بل في شريعة الرب بهجته، يتأمل فيها نهارا وليلا.. فيكون كشجرة مغروسة عند مجـاري الميـاه، تعطي ثمرهـا في حينه، وورقها لا يذبل، وكل ما يصنعه يفلح)

انظـر.. لقـد أخـبر الـرب ــ على لسـان داود ــ أن الاشـتغال بأسباب الخير ومفارقة أهل الشر وحدها تكفي للخلاص..

قلت: مع احترامي لمـا ذكـرت.. ولكـني أريـد أن أنبهـك على ناحية مهمة جدا ربما لم تتمكن من معرفتها بعد.

نظر إلي باهتمام، وقال: يسرني أن أعلمها منك.

قال: أرى أنك تهتم كثـيرا بالعهـد القـديم.. وتنسـى أن العهـد الجديـد هـو الأسـاس في المسـيحية لا العهـد القـديم.. فلن تفهم المسيحية حق الفهم.. أو لن تتجلى لك المسيحية بصورتها الرائعة الكاملة إلا عندما تجلس تحت ظلال العهد الجديد.

ابتسم، وقال: بلى.. لقد جلست.. جلست كثيرا.. وقد سمعت المسيح أثناء جلوسـي تحت ظلال العهـد الجديـد يقـول ــ كمـا في (متى:5 ـ 17): (لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء.. ما جئت لأنقض بل لأكمل)

ووجدت فيه ـ كما في (متى:23ـ 1) ـ :(حينئذ خاطب يسوع

الجمــوع وتلاميــذه قــائلا: (على كرســي موســى جلس الكتبــة والفريسيون فكل مـا قـالوا لكم أن تحفظـوه فـاحفظوه وافعلـوه ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون)

وسمعته يقـول ــ كمـا في (مـتى:19 :ـ 16):(إن أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا).. أي اتبع تعاليم التوراة واعمل بها.

6 ـ صلب المسيح

قلت: لا بــأس.. دعنــا من هــذا.. وهيــا نتحــدث عن العقيــدة السادسة المرتبطة بهذا.. عقيدة صلب المسيح.. ألـديك تسـاؤلات حولها؟

قال: اذكر لي مـا تنص عليـه هـذه العقيـدة.. وسـأذكر لم مـا عرض لي من وساوس بسببها.

قلت: يعتقد المسيحيون أن المسيح صلب.

قال: فبم يستدلون على ذلك؟

قلت: إن هــذا لا يحتــاج إلى اســتدلال.. فقــد ورد النص على الصلب في الأناجيل..

ألم تقرأ ما ورد في الأناجيل من الإصحاحات المطولة لصلب المســيح، ذاكــرةً الكثــير من تفاصــيل القبض عليــه، ومحاكمتــه، وصلبه، ثم دفنه، ثم قيامته، فصعوده إلى السماء؟

ألم تعرف أن هذه العقيدة هي عصـب المسـيحية ومحورهـا.. لقد قال الكاردينال الإنجليزي (منينغ) يصور أهميـة حادثـة الصـلب في كتابـه (كهنـوت الأبديـة) بقولـه:(لا تخفى أهميـة هـذا البحث المـوجب للحـيرة، فإنـه إذا لم تكن وفـاة المسـيح صـلباً حقيقيـة، فحينئذ يكون بناء عقيدة الكنيسة قد هدم من الأساس، لأنـه إذا لم يمت المســيح على الصــليب، لا توجــد الذبيحــة، ولا النجــاة، ولا التثليث.. فبولس والحواريون وجميـع الكنـائس كلهم يـدعون هـذا، أي أنه إذا لم يمت المسيح لا تكون قيامة أيضاً)؟

وقال : (جوردن مولتمان) في كتابـه (الإلـه المصـلوب) : (إن

وفاة يسوع علي الصليب هي عصب كل العقيدة المسيحية)

بل قال قبلهم (بولس) يؤكد هذا ويؤسس لــه : (إن لم يكن المسيح قد قام، فباطل كرازتنا، وباطل أيضاً إيمانكم) (كورنثوس (1) 15/14)

قــال: بلى.. قــرأت ذلــك.. ولكن لــدي بعض الشــبهات ملأت قلبي بالظلمات..

لست أدري ربما كان سبب ذلك هو أني كنت مسلما قبــل أن أصير مسيحيا..

لقد قرأت في القرآن ـ إبان إسلامي ـ أن الله أنجى المســيح من مــؤامرات الأعــداء.. ففيــه – عنــد ذكــر تعــداد نعم اللــه على المسيح ـ : وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرائيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَـالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ مُبِينٌ)(المائدة:110)

وفيــه : وَمَكَــرُوا وَمَكَــرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْــرُ الْمَــاكِرِينَ (آل عمــران:54)، أي أنهم كــادوا ليقتلــوه، ولكن كيــد اللــه أعظم من كيدهم.

وفيه عند ذكر بعض ملامح المؤامرة التي حاكها اليهود ضده : وَبِكُفْرِهِمْ وَقَـوْلِهِمْ عَلَى مَـرْيَمَ بُهْتَانًـا عَظِيمًـا (156) وَقَـوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُـوهُ وَمَـا صَـلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (157) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَـانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (158) وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُـؤْمِنَنَّ بِـهِ قَبْـلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا (159) (النساء)

وفيــه : إِذْ قَــالَ اللَّهُ يَـا عِيسَــى إِنِّي مُتَوَفِّيــكَ وَرَافِعُــكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَـوْمِ الْقِيَامَــةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَـرْجِعُكُمْ فَـأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَـا كُنْتُمْ فِيــهِ تَخْتَلِفُونَ (آل عمران:55)

إن هــذه الآيــات جميعــا تنص صــراحة أو تلميحــا على نجــاة المسيح من مكر الماكرين، وعلى رفعه إلى السـماء، وأن أعـداءه

الذين أرادوا صلبه وقعوا في الشك.. وتنص على أن المسيح يعـود قبيل الساعة، فيكون علامة على قرب انقضاء الدنيا.

قلت: دعنـا ممـا يقـول القـرآن.. فالعقائـد المسـيحية لا نستنبطها إلا من كتابنا المقدس.

قال: صدقت.. وأنا لم أذكـر مـا ورد في القـرآن لأسـتدل بـه على إنكار هذه الحادثة.. وإنما ذكرتها باعتبارهـا دعـوى تحتـاج إلى تحقيق.. أليس القاضي العادل هو الذي يقبـل جميـع الـدعاوى، ثم يتعامل معها بعد ذلك بما يقتضيه التحقيق والتحري؟

قلت: بلى.. ذلك صحيح..

قال: فلنعتبر ما ورد في القرآن مجرد دعوى.. وهلم نناقشـها بما يقتضيه البحث العلمي.

قلت: لك ذلك.. فناقشها بما تشاء.

قال: أنت ترى كما يرى كل آباء الكنيسة وقديسوها أن حادثة صلب المسـيح هي محـور المسـيحية وقطبهـا الـذي تـدور عليـه.. أليس كذلك؟

قلت: لقد ذكرت لك ذلك.. وذكرت لك النصوص الدالة عليه.

قال: أليس الأصل في مثـل هـذا أن ينقـل بـالتواتر.. أو ينقـل نقلا لا تعتريه أي شبهة؟

قلت: بلى.. فلا يمكن أن نعتمـد في الأحـداث الخطـيرة إلا على الأدلة القطعية.. وقد قال القرآن الـذي أراك ترجـع إليـه كـل حين يقرر هذا : ﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّـمْعَ وَالْبَصَـرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾ (الاسـراء: 36).. وفيـه :﴿ يَـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُـوا إِنْ جَـاءَكُمْ فَاسِـقٌ بِنَبَـأٍ فَتَبَيَّنُـوا أَنْ تُصِـيبُوا قَوْمـاً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ (الحجرات:6)

قـال: إن هـذا يسـتدعي البحث في الشـهود الـذين حضـروا الحادثة.. أجبني.. من هم الشهود الذين وصفوا الحادثة عن رؤية؟

لم أدر بما أجيبه، لكني قلت، كما تعود رجال ديننا أن يقولـوا: إن الكتاب المقدس.. وفي أكثر من 500 لغة إنسانية يتحــدث عن صلب المسيح.. أفلا يكفي هذا دليلا؟

ابتسم، وقال: ما أجمل هذا الدليل.. ومـا أقـواه.. إنـه ينسـف كــل الأدلــة.. ولكنــه في نفس الــوقت يمكنــه أن يخــرج جميــع المجــرمين من جميــع الســجون.. ويحكم على جميــع الأبريــاء بالإعدام.

قلت: كيف تقول ذلك؟

قال: لو سلمنا بالمنهج الذي يعتمده هذا الـدليل.. فسـيتحول كل المجرمين إلى مترجمين.. ليترجموا دعاواهم إلى جميـع لغـات العالم، ثم يرموا بها في وجوه القضاة.

قلت: لم أفهم ما ترمي إليه.

قال: الكذبة ـ سعادة الحبر ـ تبقى كذبة، ولو ترجمتهـا لجميـع لغات العالم..

قلت: إذا لم تقبــل هــذا.. فهنــاك أربعــة شــهود.. وهم كتبــة الأناجيل..

قال: أول ملاحظة يمكن أن تخرق بهـا هـذه الشـهادة هي أن كتبة الأناجيل الأربعة مشكوك في علاقتهم بالمسيح[1].

والملاحظة الثانية.. هي أن شهود الإثبـات جميعـاً لم يحضـروا الواقعة الـتي يشـهدون فيهـا، كمـا قـال مـرقس: (فتركـه الجميـع وهربوا) (مرقس: 14/50)

قلت: ولكن هــذه الشــهادة مســجلة على أكــثر من 5000 مخطوط..

ابتســم، وقــال: مــا يقــال في المخطوطــات قيــل قبلــه في الترجمـات.. بـل إن شـأن المخطوطـات أيسـر.. فهـو لا يحتـاج إلا

[1] () انظـر التفاصـيل المرتبـة بكتبـة الأناجيـل في رسـالة (الكلمـات المقدسـة) من هـذه السلسلة.

القدرة على الكتابة..

ومع ذلك.. فقد بحثت في هذا، ووجدت أنه لا توجد من هذه النسخ جميعا مخطوطتان متطابقتان.. ولو تطابقت جميعها، فإن أياً منها لم يسجَّل بخط مؤلفه، وإن نُسب إليه.

لم أبحث أنا وحدي.. بل بحث الكثيرون قبلي.. منهم (اينوك باول) الذي قال في كتابه (تطور الأناجيل): (قصة صلب الرومان للمسيح لم تكن موجودة في النص الأصلي للأناجيل).. وقد استند في ذلك إلى إعادته ترجمة نسخة متى اليونانية، فتبين له أن هناك أجزاء وردت مكررة في هذا الإنجيل، مما يوحي بأنه أعيدت كتابتها في مرحلة تالية.

ومنهم (نينهام) مفسر إنجيل مرقس الذي علق على ما ورد في (مرقس 14/12 – 16) ــ من أنه (في اليوم الأول من الفطير، حين كانوا يذبحون الفصح، قال له تلاميذه: أين تريد أن نمضي ونعد لتأكل الفصح؟ فأرسل اثنين من تلاميذه، وقال لهما: اذهبا إلى المدينة فيلاقيكما إنسان حامل جرة ماء اتبعاه..) ـ بقوله : (إن أغلب المفسرين يعتقدون أن هذه الفقرات أضيفت فيما بعد لرواية مرقس).. واستند هؤلاء لهذه الدعوى لأمرين:

أما أولهما.. فهو أنه وصف اليوم الذي قيلت فيه القصة بأسلوب لا يستخدمه يهودي معاصر للمسيح.

وأما الثاني، فهو أن كاتب العدد 17 قال : (ولما كان المساء جاء مع الاثني عشر..) (مرقس 14/17)، وهو يتحدث عن جلوس المسيح مع تلاميذه الاثني عشر، وهو لا يعلم شيئاً عن رحلة اثنين منهم لإعداد الفصح.

ومنهم (جورج كيرد) شارح إنجيل لوقا.. فقد علق على ما ورد في (لوقا 23/33 ـ 34) من أن المسيح قال على الصليب: (يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون) بقوله : (لقد قيل إن هذه الصلاة ربما تكون قد محيت من إحدى النسخ الأولى للإنجيل بواسطة أحد كتبة القرن الثاني، الذي ظن أنه شيء لا يمكن تصديقه أن يغفر الله لليهود، وبملاحظة ما حدث من تدمير

مـزدوج لأورشـليم في عـامي 70م و 135م صـار من المؤكـد أن الله لم يغفر لهم)

بالإضافة إلى هذا، فإن هذه العبارة المهمة لم يـذكرها سـوى لوقا.. كما أغفلتها بعض المخطوطات الهامة للوقا.

التفت إلي، وقال: هذه بعض الشهادات المسيحية الدالة على هذا..

قلت: أنا لا يكفيني إلا شهادات الأناجيل نفسها.

ابتسم، وقال: كأنـك تسـتفزني لأذكـر لـك تناقضـات روايـات الصلب في الأناجيل.

قلت: أهناك تناقضات في روايات الصلب؟

قال: أجل.. لقـد رأيت الأناجيـل الأربعـة تتحـدث عن تفاصـيل كثيرة في رواية الصلب، والمفروض أنـه لـو كـانت هـذه الروايـات وحياً كما ندعي أن تتكامل روايات الإنجيليين الأربعة وتتطابق.

قلت: فاضرب لي مثالا على هذه **التناقضات**.

قـال: سأضـرب لـك أمثلـة عنهـا.. أجبـني.. مَن الـذي ذهب للقبض على يسوع؟

قلت: لقد ذكر متى ذلك، فقال : (جمع كثير بسـيوف وعصـي من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب) (متى 26/52)

قال: ولكن مرقس زاد على ذلك بأن ذكـر من الجمـع الكتبـةَ والشيوخ (انظر مرقس: 14/43).. وذكر يوحنا أن الآتين هم جند الرومان وخدم من عند رؤساءَ الكهنة (انظر: يوحنا 18/3).. ولم يذكر أي من الثلاثة مجيء رؤساء الكهنة، لكن لوقا ذكر أن رؤساء الكهنة جاءوا بأنفسهم للقبض على المسيح إذ يقول: (قـال يسـوع لرؤساء الكهنة وقواد جند الهيكل والشيوخ المقبلين عليـه) (لوقـا 22/52).. ألا ترى التناقض بين لوقا والباقين؟

سكت، فقال: أجبني.. متى حوكم المسيح؟

قلت: لقد ذكر لوقا أن ذلك كان صباح الليلة التي قبض عليه فيها.. لقد قال في ذلك : (ولما كان النهار اجتمعت مشيخة الشعب رؤساء الكهنة والكتبة، وأَصعدوه إلى مجمعهم قائلين: إن كنت أنت المسيح فقل لنا؟) (لوقا 22/66 - 67)

قال: هذا ما يقوله لوقا.. لكن الثلاثة يجعلون المحاكمة في ليلة القبض عليه، قال مرقس: (فمضوا بيسوع إلى رئيس الكهنة، فاجتمع معه جميع رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة) (مرقس: 14/53) (وانظر : متى 26/57، ويوحنا 18/3).. ألا ترى أن هناك فرقا بينها؟

سكت، فقال: لقد تبع بطرس المسيح ليرى محاكمته، وقد أخبره المسيح بأنه سينكره في تلك الليلة قبل أن يصيح الديك.. أجبني كم مرة أخبر المسيح بطرس بصياح الديك؟

قلت: لقد ذكر مرقس مرتين.. ففيه : (قبل أن يصيح الديك مرتين تنكرني ثلاث مرات) (مرقس 14/72)

قال: ولكن الشهود الثلاثة الآخرين ذكروا مرة واحده، ففي لوقا: (قبل أن يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات) (لوقا 22/60) وهكذا في (متى 26/74).. وهكذا في (يوحنا 18/27).. لقد ذكر الثلاثة خلال القصة صياحاً واحداً فقط، خلافاً لما زعمه مرقس.

التفت إلي، وقال: ألا ترى فرقا بينهما.

سكت، فقال: أجبني أين تعرفت عليه الجارية أول مرة؟

قلت: لقد ذكر متى ويوحنا أنه كان حينذاك خارج الدار ففي (متى 26/69،ــ 75): (وأما بطرس فكان جالساً خارجاً في الدار.فجاءت إليه جارية قائلة: وأنت كنت مع يسوع الجليلي).. وهذا ما ويؤكده يوحنا، ففيه (يوحنا 8/16):(وأما بطرس فكان واقفاً عند الباب خارجاً)

قال: ولكن مرقس ولوقا ذكرا أنه كان داخل الدار يستدفئ من البرد.. قال مرقس: (بينما كان بطرس في الدار أسفل جاءت إحدى جواري رئيس الكهنة. فلما رأت بطرس يستدفئ نظرت

إليه وقالت: وأنت كنت مع يسوع الناصري)(مرقس 14/ـ 66)، وفي لوقا: (ولما أضرموا ناراً في وسط الدار وجلسوا معاً جلس بطرس بينهم. فرأته جارية جالساً عند النار فتفرست فيه وقالت: وهذا كان معه..) (لوقا 22/55-56)

التفت إلي، وقال: ألا ترى فرقا بينهما؟

سكت، فقال: أجبني.. من الذي تعرف على المسيح في المرة الثانية ؟

قلت: لقد ذكر متى أنها جارية أخرى.. ففيه (متى 26/71): (ثم إذ خرج إلى الدهليز رأته أخرى فقالت للذين هناك: وهذا كان مع يسوع الناصري)

قال: لكن مرقس ذكر أنه رأته نفس الجارية، ففيه (مرقس 14/69): (فرأته الجارية أيضاً، وابتدأت تقول للحاضرين: إن هذا منهم)

وحسب لوقا، فإن الذي رآه هذه المرة رجل من الحضور وليس جارية.. ففيه (لوقا 22/58): (وبعد قليل رآه آخر وقال: وأنت منهم، فقال بطرس: يا إنسان لست أنا)

وذكر يوحنا أن هذا الرجل أحد عبيد رئيس الكهنة.. ففيه (يوحنا 18/26): (قال واحد من عبيد رئيس الكهنة، وهو نسيب الذي قطع بطرس أذنه أما رأيتك أنا معه في البستان. فأنكر بطرس أيضاً)

التفت إلي، وقال: ألا ترى فرقا بينهما؟

سكت، فقال: أجبني.. لماذا حبس بارباس ؟

قلت: لقد ذكر يوحنا أنه كان لصاً.. ففيه (يوحنا 18/40): (وكان باراباس لصاً)

قال: ولكن مرقس ولوقا اتفقا على أنه كان صاحب فتنة، وأنه قتل فيها فاستوجب حبسه.. ففي، يقول (لوقا 23/19): (أطلق لنا باراباس، وذاك كان قد طرح في السجن لأجل فتنة

حدثت في المدينة وقتل).. ومثل ذلك في (مرقس 15/7)

التفت إلي، وقال: ألا ترى فرقا بينهما؟

سكت، فقال: أجبـني.. من الـذي حمـل الصـليب المسـيح أم سمعان؟

قلت: لقـد ذكـر يوحنـا أنـه المسـيح.. ففيـه(يوحنـا 19/17): (فأخذوا يسوع ومضوا به، فخرج وهو حامـل صـليبه إلى الموضـع الذي يقال له الجمجمة)

قال: ولكن الثلاثة يخالفونه في هذا.. فقد ذكروا أنـه سـمعان القيرواني، بينما لم يذكر يوحنا شيئاً عنه.. ففي (مرقس 15/20 – 22):(ثم خرجوا لصلبه، فسخروا رجلا ممتازاً كان آتياً من الحقل، وهو سمعان القيرواني أبو الكسندروس وروفس ليحمل صـليبه).. وهكذا في (متى 27/32).. وهكذا في (لوقا 23/26)

التفت إلي، وقال: ألا ترى فرقا بينهما؟

سكت، فقال: أجبني.. ما نهاية يهوذا؟

قلت: لقـد ذكـر مـتى ذلـك، فقـال : (فـأوثقوه ومضـوا بـه، ودفعوه إلى بيلاطس البنطي الـوالي، حينئـذ لمـا رأى يهـوذا الـذي أسلمه أنه قد دين ندم وردّ الثلاثين من الفضة إلى رؤسـاء الكهنـة والشيوخ، قـائلاً: قـد أخطـأت، إذ سـلمت دمـاً بريئـاً. فقـالوا: مـاذا علينا. أنت أبصر. فطـرح الفضـة في الهيكـل وانصـرف. ثم مضـى وخنق نفسه. فأخذ رؤساء الكهنة الفضة وقالوا: لا يحـل أن نلقيهـا في الخزانة لأنها ثمن دم. فتشـاوروا واشـتروا بهـا حقـل الفخـاري مقبرة للغرباء. لهذا سمي ذلك الحقل حقل الـدم إلى هـذا اليـوم) (متى 27/2-5)

قال: لكن سفر أعمال الرسل يحكي نهاية أخرى ليهوذا.. فقد ورد في سياق خطبة بطرس: (أيها الرجال الأخـوة كـان ينبغي أن يتم هذا المكتوب الـذي سـبق الـروح القـدس فقالـه بفم داود عن يهوذا الذي صـار دليلاً للـذين قبضـوا على يسـوع. إذ كـان معـدوداً بيننا، وصار له نصيب في هـذه الخدمـة. فـإن هـذا اقتـنى حقلاً من

أجرة الظلم، وإذ سقط على وجهه انشق من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها. وصار ذلك معلوماً عند جميع سكان أورشليم حتى دعي ذلك الحقل في لغتهم حقل دما أي حقل دم) (أعمال 1/16-20).

التفت إلي، وقال: ألا ترى فرقا بينهما؟

سكت، فقال: بلى.. لقد اختلفا في جملة أمور..

منها كيفية موت يهوذا.. فهل مات بخنق نفسه.. أو مات بسقوطه، حيث انشقت بطنه وانسكبت أحشاؤه.. أنت ترى أنه لا يمكن أن يموت يهوذا مرتين، كما لا يمكن أن يكون قد مات بالطريقتين معاً.

ومنها ذكر - من الذي اشترى الحقل.. هل هو يهوذا حسب قوله: (فإن هذا اقتنى حقلاً من أجرة الظلم)، أم الكهنة الذين أخذوا منه المال حسب قوله : (فتشاوروا واشتروا بها حقل الفخاري)

ومنها ندم يهوذا حسب قوله : (لما رأى يهوذا الذي أسلمه أنه قد دين ندم...قد أخطأت، إذ سلمت دماً بريئاً).. أم مات معاقباً بذنبه كما يظهر من كلام بطرس.

ومنها رد يهوذا المال للكهنة حسب قوله : (وردّ الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ)، أم أنه أخذه واشترى به حقلاً حسب قوله : (فإن هذا اقتنى حقلاً من أجرة الظلم)

ومنها تاريخ موت يهوذا.. هل كان قبل صلب المسيح وبعد المحاكمة حسب قوله : (ودفعوه إلى بيلاطس البنطي الوالي، حينئذ لما رأى يهوذا الذي أسلمه أنه قد دين ندم... فطرح الفضة في الهيكل وانصرف ثم مضى وخنق نفسه).. أم أن ذلك كان فيما بعد، حيث مضى واشترى حقلاً ثم مات في وقت لا ندريه.

التفت إلي، وقال: ألا ترى بعد كل هذا فرقا بينهما؟

سكت، فقال: لقد تحدثت الأناجيل عن تعليق المسيح على

الصليب، وأنه صلب بين لصين أحدهما عن يمينه، والآخر عن يساره.. وأخبرت عن الاستهزاء به.. فمن استهزأ أكلاهما أم أحدهما؟

قلت: لقد ذكر متى ومرقس أن اللصين استهزأ كلاهما به، يقول متى:(بذلك أيضاً كان اللصّان اللذان صلبا معه يعيّرانه) (متى 27/44).. ومثله في (مرقس 15/32)

قال: لكن لوقا ذكر أن أحدهما فقط استهزأ به، بينما انتهر الآخر، يقول لوقا: (وكان واحد من المذنبين المعلقين يجدف عليه قائلاً: إن كنت أنت المسيح فخلّص نفسك وإيانا.. فأجاب الآخر وانتهره قائلاً: أو لا تخاف الله،.. فقال له يسوع: الحق أقول لك: إنك اليوم تكون معي في الفردوس) (لوقا 23/39 - 43)

التفت إلي، وقال: ألا ترى فرقا بينهما؟

سكت، فقال: أجبني.. ما آخر ما قاله المصلوب قبل موته، وكيف كان حاله؟

قلت: لقد صور متى ومرقس حاله بحال اليائس القانط.. فيقول ويصرخ : (إلهي إلهي لماذا تركتني)، ثم يُسلم الروح (متى 27/46 - 50 ومرقس 15/34 - 37)

قال: ولكن لوقا لا يرتضي هذه النهاية المؤلمة.. فلذلك يصوره بحال القوي الراضي بقضاء الله حيث قال: (يا أبتاه في يديك أستودع روحي) (لوقا 23/46).

التفت إلي، وقال: ألا ترى فرقا بينهما؟

سكت، فقال: ليس حادثة الصلب وحدها هي التي حصل فيها التناقض والاختلاف.. حتى **حادثة القيامة** حصل فيها ذلك.. أجبني.. هل أسرت الزائرات الخبر، أم أشاعته؟

قلت: لقد ذكر مرقس أن النسوة لم يخبرن أحداً بما رأين.. فهو يقول : (ولم يقلن لأحد شيئاً، لأنهن كن خائفات)(مرقس 16/8)

قال: ولكن لوقا خالفه في ذلك.. فقد قال : (ورجعن من القبر، وأخبرن الأحد عشر وجميع الباقين بهذا كله) (لوقا 24/9)

التفت إلي، وقال: ألا ترى فرقا بينهما؟

سكت، فقال: أجبني.. لمن ظهر المسيح أول مرة؟

قلت: لقد ذكر مرقس ويوحنا أن الظهور الأول كان لمريم المجدلية كما في (مرقس 16/9)، وكما في (يوحنا 20/14)

قال: ولكن متى أضاف مريم الأخرى (متى 28/9).. واعتبر لوقا أن أول من ظهر له المسيح هما التلميذان المنطلقان لعمواس (لوقا 24/13)

التفت إلي، وقال: ألا ترى فرقا بينهم جميعا؟

سكت، فقال: أجبني.. كم مرة ظهر المسيح ؟.. وأين؟

قلت: لقد عد يوحنا لظهور المسيح للتلاميذ مجتمعين ثلاث مرات (يوحنا 20/19، 26)

قال: لكن الشهود الثلاثة الباقين يعدون للمسيح ظهوراً واحداً، كما في (متى 28/16)، و(مرقس 16/14)، و(لوقا 24/36)

ويرى لوقا أنه قد تم في أورشليم، فيقول: (ورجعا إلى أورشليم، ووجدا الأحد عشر مجتمعين هم والذين معهم، وهم يقولون: إن الرب قام بالحقيقة وظهر لسمعان، وفيما هم يتكلمون بهذا وقف يسوع نفسه في وسطهم وقال لهم سلام لكم) (لوقا: 24/33 - 36)

بينما يذكر صاحباه أن ذلك كان في الجليل كما ورد في (متى 28/10): (أما الأحد عشر تلميذاً فانطلقوا إلى الجليل إلى الجبل حيث أمرهم يسوع. ولما رأوه سجدوا له)، ومثله في (مرقس 16/7)

التفت إلي، وقال: ألا ترى فرقا بينهما؟

سكت، فقال: أجبني.. كم بقي المسيح قبل رفعه؟

قلت: لقد ذكر متى ومرقس ولوقا أن صعوده كـان في نفس يوم قيامه كما في (متى 28/8 – 20)، و(مرقس 16/9 – 19)، و(لوقا 24/1 - 53)

قال: لكن يوحنا في إنجيله جعل صعوده في اليوم التاسع من القيامة، كما في (يوحنا 20/26، 21/4)

أما مؤلف أعمال الرسل - والمفترض أنـه لوقـا – فقـد جعـل صـعود المسـيح للسـماء بعـد أربعين يومـاً من القيامـة، كمـا في (أعمال 1/13)

بعد أن ذكر هذه التناقضـات التفت إلي، وقـال: أرأيت لـو أن شهودا وقفوا أمام قاض عادل.. ثم اختلفوا كـل هـذه الاختلافـات.. أكان للقاضي أن يقبل شهادتهم؟

7 ـ الفداء بالصلب

لم أجد ما أرد به عليه، فقلت: لا بأس.. دعنـا من هـذا.. وهيـا نتحـدث عن العقيـدة السـابعة المرتبطـة بهـذا.. عقيـدة الفـداء بالصلب.. ألديك تساؤلات حولها؟

قال: اذكر لي ما تنص عليـه هـذه العقيـدة.. وسـأذكر لـك مـا عرض لي من وساوس بسببها.

قلت: يعتقـد المسـيحيون أن المسـيح صـلب لأجـل أن يفـدى الناس، ويخلصهم من خطاياهم.

قال: فبم يستدلون على ذلك؟

قلت: من النصوص الصـريحة الواضـحة الدالـة على ذلـك مـا ورد في في إنجيـل (يوحنـا:10/11): (أنـا هـو الـراعي الصـالح، الراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف)

وفيه (يوحنا:3/16):(لأنه هكـذا أحب اللـه العـالم حـتى بـذل ابنـه الوحيـد لكيلا يهلـك كـل من يـؤمن بـه، بـل تكـون لـه الحيـاة

الأبدية)

وفي إنجيل (مرقس:10/45): (أن ابن الإنسان لم يأت ليخُدَم بل ليخدُم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين)

قال: دعني مما تذكره النصوص المقدسة.. فهي تحمل ألف وجه ووجه.. وحدثني عن فهوم قومك لها.

قلت: لقد ذكر قومنا أن الله أراد برحمته أن يخلص الأرض من اللعنة التي أصابتها بسبب معصية آدم، لكن عدله رفض ذلك، بل أبى إلا أن يعاقب أصحاب الذنب.

ولذلك التمس هذا المخرج للتوفيق بين العدل والرحمة..

لقد لخص (أوغسطينوس) المسألة بأن الله رحيم، ولكنه لا يريد أن يغير قوانين المحكمة التي تنص على أن الموت عقوبة عادلة لهذه الخطيئة الأصلية، فاتخذ حيلة ينجي بها عباده، فيموتون ثم يحيون من جديد، فتعود إليهم حريتهم بعد حياتهم الجديدة.

ولما كانت إماتة الناس جميعاً تتعارض مع قانون الطبيعة وسنن الكون، كان لابد من شخص معصوم من الذنب الأصلي يعاقبه الله بموته، ثم يبعثه، فيكون موته بمثابة موت البشرية وعقوبتها، وقد اختار الله ابنه لهذه المهمة.

يقول القس لبيب ميخائيل: (إن الله الرحيم هو أيضاً إله عادل، وإن الله المحب هو أيضاً إله قدوس يكره الخطيئة، وإذا تركزت هذه الصورة في أذهاننا، سندرك على الفور أن صفات الله الأدبية الكاملة لا يمكن أن تسمح بغفران الخطية دون أن تنال قصاصها.. فإن الصليب يبدو أمامنا ضرورة حتمية للتوفيق بين عدل الله ورحمته)

ويؤكد هذه المعاني عوض سمعان في كتابه (فلسفة الغفران) بقوله: (لو كان في الجائز أن تقل عدالة الله وقداسته عن رحمته ومحبته اللتين لا حد لهما، فإن من مستلزمات الكمال الذي يتصف به، ألا يتساهل في شيء من مطالب عدالته وقداسته، وبما أنه لا يستطيع سواه إيفاء مطالب هذه وتلك، إذن

لا سبيل للخلاص من الخطيئة ونتائجها إلا بقيامه بافتدائنا بنفسه)

ويقول حبيب جرجس في كتابه (خلاصة الأصول الإيمانية): (ولما فسد الجنس البشري، وصار الناس مستعبدين للخطيئة، وأبناء للمعصية والغضب لم يتركهم الله يهلكون بإنغماسهم فيها، بل شاء بمجرد رحمته أن ينقذنا من الهلاك بواسطة فادٍ يفدينا من حكم الموت، وهذا الفادي ليس إنساناً ولا ملاكاً ولا خليقة أخرى، بل هو مخلصنا وفادينا ابن الله الوحيد ربنا يسوع المسيح الذي له المجد إلى أبد الآبدين)

ويؤكد القس جولد ساك على أهمية القصاص فيقول: (لابد أن يكون واضحاً وضوح الشمس في ضحاها لأي إنسان بأن الله لا يمكنه أن ينقض ناموسه، لأنه إذا فعل ذلك من الذي يدعوه عادلاً ومنصفاً)

إذن لابد من العقوبة حتى تحصل المغفرة.. وفي ذلك يقول بولس: (وكل شيء تقريباً يتطهر حسب الناموس بالدم، وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة) (عبرانيين 9/22)

ويقول: (لأنكم قد اشتريتم بثمن فمجدوا الله في أجسادكم، وفي أرواحكم التي هي لله) (كورنثوس (1) 6/20)

ويقول: (أجرة الخطية هي موت) (رومية 6/23)

ويقول: (لأنه وإن كنا ونحن أعداء فقد صولحنا مع الله بموت ابنه) (رومية 5/10)

ويقول بطرس: (عالمين أنكم افتديتم لا بأشياء تفنى: بفضة أو ذهب، من سيرتكم الباطلة التي تقلدتموها من الآباء، بل بدم كريم كما من حَمَلٍ بِلاَ عيْب، ولا دنس دم: المسيح) (بطرس (1) 1/18 - 19)

ويعتبر قومنا فداء المسيح للبشرية العمل الحقيقي للمسيح والذي من أجله تجسد وتأنس، يقول الأنبا أثناسيوس: (فالمسيح هو الله غير المنظور، وقد صار منظوراً، ولماذا صار منظوراً، لينجز مهمة الفداء والخلاص، التي ما كان يمكن لغير الله أن يقوم

بها، فالله قد تجسد في المسيح من أجل الفداء والخلاص، فالفداء كان هو الغاية، والتجسد كان هو الوسيلة)

التفت إليه، وقلت: هذه عقيدة قومنا في الفداء.. ألديك إشكالات وتساؤلات ترتبط بهذا؟

ابتسم، وقال: لست أدري لم ينفتح عقلي على كل الحقائق.. لكنه ينغلق على هذه الحقيقة..

لست أدري كيف تنتشر الغشاوة على عين قلبي، وأنا أحاول أن أدخلها إليه..

لست أدري كيف يتمرد لساني عني، فيمنعني من التعبير عنها..

قلت: لم؟

قال: أشعر أن فيها إساءة أدب عظيمة مع الله.. بل هي تظهر أن البشر بقصورهم أعظم من الله..

قلت: كيف تقول هذا على عقيدة هي لب المسيحية وركنها الركين؟

قال: تأمل جيدا فيها لترى كيف يبدو الله من خلالها ضعيفا عاجزاً عن أبسط شيء.. عن العفو عن آدم وذنبه.. حائراً في الطريقة التي ينبغي أن يعاقبه بها بعد أن قرر عقوبته.

إن قرار العقوبة يظهر من خلالها، وكأنه قرار متسرع يبحث له عن مخرج.. وقد امتد البحث عن هذا المخرج قروناً عديدة، ثم اهتدى إليه، فكان المخرج الوحيد هو ظلم المسيح وتعذيبه على الصليب كفارة عن ذنب لم يرتكبه.

إن المسيحيين بهذا يشبهون (الله) ــ حاشاه ــ بصورة مستقذرة.. هي صورة المرابي وهو يريد عوضاً على كل شيء، ونسى هؤلاء أن الله حين يعاقب لا يعاقب للمعاوضة، أو لإرضاء نفسه، بل لكبح الشر وتطهير الذنب..

لقد نسي هؤلاء أن العفو من الصفات الإلهية التي اتصف بها الرب وطلبها في عباده، وهو أولى بها لما فيها من كمال وحُسن.. وقد ذكر الكتاب المقدس أن الله عفا عن بني إسرائيل (رضيت يا رب على أرضك. أرجعت سبي يعقوب. غفرت إثم شعبك. سترت كل خطيتهم. سلاه حجزت كل رجزك.رجعت عن حمو غضبك) (مزمور 85/1-3)

وقال بولس: (طوبى للذين غفرت آثامهم وسترت خطاياهم. طوبى للرجل الذي لا يحسب له الرب خطية) (رومية 4/7-8)

وكان بطرس قد سأل المسيح: (يا رب كم مرة يخطئ إلى أخي وأنا أغفر له؟ هل إلى سبع مرات؟ قال له يسوع: بل إلى سبعين مرة) (متى 18/21 - 22)

ومرة أخرى قال لهم: (أما أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم وباركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم، لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات، فإنه تشرق شمسه على الأشرار والصالحين، ويمطر على الأبرار والظالمين) (متى 5/44 - 45)

سكت قليلا، ثم قال: لقد فات هؤلاء أن هناك بدائل كثيرة مقبولة ومتوافقة مع سنن الله الماضية في البشر.. وهي جميعاً أولى من اللجوء إلى صلب المسيح تكفيراً للخطيئة ووفاءً بسنة الانتقام والعدل.. ومن أهم هذه البدائل ما تعرضه مصادرنا المقدسة من التوبة، والمغفرة، والعفو، وصكوك الغفران، والاكتفاء بعقوبة الأبوين على جريمتهما.. وكل ذلك من السنن التي يقرها الكتاب المقدس.

لست أدري ما الذي دعا بولس لأن يقول:(بدون سفك دم لا تحصل مغفرة) (عبرانيين 9/22)

هل غفل المسكين عن نصوص الكتاب المقدس الكثيرة.. التي تتحدث بإسهاب عن التوبة وقصصها وقبول الله لها؟

ألم يسمع أخبار المسيح.. وكيف كان يجلس مع العشارين

والخطاة، فيتذمر الفريسيون والكتبة لذلك قائلين: (هذا يقبل خطاة ويأكل معهم) (لوقا 15/2) لكن المسيح كان يعلمهم حرصه على توبتهم؟

ألم يسمع بما أخبر به لوقا من كلام المسيح.. فقد ورد فيه (لوقا 15/3-7): (وكلمهم بهذا المثل قائلاً: أي إنسان منكم له مائة خروف وأضاع واحداً منها، ألا يترك التسعة والتسعين في البرية ويذهب لأجل الضال حتى يجده، وإذا وجده يضعه على منكبيه فرحاً ويأتي إلى بيته، ويدعو الأصدقاء والجيران قائلاً لهم: افرحوا معي، لأني وجدت خروفي الضال.. أقول لكم: إنه هكذا يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب)؟

ألم يسمع بالمثلين اللذين ضربهما بالابن الضال والدرهم الضائع (لوقا 15/8 - 32)؟

ألم يسمع بوعد الله التائبين بالقبول كما في (حزقيال 18/21-23): (فإذا رجع الشرير عن جميع خطاياه التي فعلها، وحفظ كل فرائضي وفعل حقاً وعدلاً، فحياة يحيا، لا يموت، كل معاصيه التي فعلها لا تذكر عليه، بره الذي عمل يحيا، هل مسرة أسر بموت الشرير)؟

ألم يسمع بما قال يوحنا المعمدان مخاطباً اليهود مذكراً إياهم بأهمية التوبة.. لقد قال لهم ـ كما في (متى 3/7 -9) ـ: (يا أولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي، فاصنعوا أثماراً تليق بالتوبة، ولا تفتكروا أن تقولوا في أنفسكم لنا إبراهيم أباً) فالتوبة هي الطريق، وليس النسب كما ليس الفداء؟

ألم يسمع بما قال الرب ــ كما في (الأيام (2)ـ 7/14) ــ : (فإذا تواضع شعبي الذين دعي اسمي عليهم وصلّوا وطلبوا وجهي ورجعوا عن طرقهم الردية فإنني أسمع من السماء)؟

ضرب كفيه بعضهما ببعض، ثم قال: رغم كل هذه النصوص المقدسة وغيرها.. يقول عوض سمعان: (فالتوبة مهما كان شأنها ليست بكافية للصفح عما مضى من خطايانا)

ثم يرفع صوته، وكأنه يخاطب عوض سمعان قائلا : لماذا إذن ـ يا سيد عوض ـ أكدت النبوات على التوبة، وعلى فضلها ومحبة الله لها.. ولم أغلق هذا الباب في وجه آدم بالذات.. مع أنه أولى الناس بها لمعرفته بالله العظيم وجزاءه ورحمته.

جلس إلى مكتبه، ثم قال، وكأنه يستجوبني: أنت حبر كبير.. ولا شك أنك تعلم مراد المسيحيين بالعدل.. فما يريدون به؟

قلت: هم يريدون به عدم نقص شيء من أجر المحسنين، وعدم الزيادة في عقاب المسيء عما يستحق.. أي أنه توفية الناس حقهم بلا نقص في الأجر، ولا زيادة في العقاب.

قال: لقد ذكر سفر التكوين أن الله توعد آدم بالموت إن هو أكل من الشجرة.. ثم بعد الموت عاقبه بقوله: (ملعونة الأرض بسببك، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك، وشوكاً وحسكاً تنبت لك، وتأكل عشب الحقل بعرق وجهك تأكل خبزاً، حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها، لأنك تراب وإلى تراب تعود) فطرد آدم من الجنة ليعيش في الأرض ويكد فيها.

ومثل هذا عوقبت زوجته: (تكثيراً أكثر أتعاب حبلك، بالوجع تلدين أولاداً، وإلى رجلك يكون اشتياقك، وهو يسود عليك) (التكوين 3/16-19)

انظر.. لقد توعد آدم بعقوبة الموت، لكنه بدلاً عن أن يموت وزوجه جزاء خطيئتهما وتنطفىء الفتنة والفساد والشر في المهد، بدلاً من ذلك كثّر نسلهما، فكان ذلك حياة لهما لا موتاً، وكان سبباً في زيادة الشر والفساد.

لقد عوقب آدم وحواء إذاً، ونلحظ في العقوبة شدة متمثلة في لعن الأرض كلها والأتعاب الطويلة للرجال والنساء، ونلحظ أن ليس ثمة تناسباً بين الذنب والعقوبة، فقد كان يكفيهم الإخراج من الجنة.

التف إلي، وقال: لقد بقيت هذه القصاصات من لدن آدم حتى جاء المسيح الفادي.. ثم ماذا؟.. هل رفعت هذه العقوبات

بموت المسيح؟.. هل رفعت عن المؤمنين فقط أم أن شيئاً لم يتغير؟

لم أجد ما أجيبه به، فقال: أنت ترى الموت لا يزال يلتهم الناس من لدن المسيح.. يموت أبرارهم وفجارهم.. أليس كذلك؟

سكت، فقال: فأين ما قال بولس إذن: (مخلصنا يسوع الذي أبطل الموت، وأنار الحياة والخلود) (تيموثاوس (2)ـ 1/10)؟.. وأين قوله: (بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع) (رومية 5/12)؟

إن المسيح لم يبطل بصلبه ولا بدعوته أي موت سواء كان موتاً حقيقياً أو موتاً مجازياً، إذ مازال الناس في الخطيئة يتسربلون.

وأما الموت الحقيقي فليس في باب العقوبة في شيء، بل هو أمر قد كتب على بني آدم برهم وفاجرهم على السواء، قبل المسيح وبعده وإلى قيام الساعة، كما كتب الموت على الحيوان والنبات فما بالهم يموتون؟ وهل موتهم لخطأ جدهم وأصلهم الأول أم ماذا !؟

ثم إن هناك من لا يملك المسيحيون دليلاً على موتهم، فنجوا من الموت من غير فداء المسيح، وذلك مثل أخنوخ وإيليا اللذين رفعا إلى السماء وهم أحياء كما في الأسفار المقدسة (تكوين 5/24، وملوك (2) 2/11، وعبرانيين 11/5)

إذن.. ليس هناك علاقة بين الموت وخطيئة آدم.

وكذلك فإن القصاصات الأخرى ما تزال قائمة فما زال الرجال يكدون ويتعبون، وما تزال النساء تتوجع في الولادة.. يستوي في ذلك المسيحيون وغيرهم.

لست أدري كيف قلت له: إن قومنا يذكرون أن بقاء هذه الأمور لم يعد من باب العقوبة.. فقد افتدانا المسيح من لعنة الموت مثلاً، وليس من الموت.. وهكذا العقوبات؟

قـال: من السـهل لقومنـا أن يقولـوا مـا شـاء أن يقولـوا.. أو يتهربوا بما شاءت لهم أهواؤهم أن يتهربوا..

قام من مكتبه على هيئة المستعجل، وقـال: حـتى لـو أجبتـك عن هـذا.. فسـيحولون من جـوابي زوابـع أخـرى.. هكـذا علمهم بولس.. وهكذا علمهم القديسـون.. وهكـذا علمهم قبـل ذلـك كلـه كتبة الكتاب المقدس.

***

ما إن وصل هذا السجان العجيب من حديثه إلى هذا الموضـع حـتى رأيت جموعـا كثـيرة.. كلهـا ترتـدي ثيـاب رجـال الـدين المسـيحي.. وهي تقصـد السـجن.. فـامتلأت بـالعجب.. وسـألت السجان عن سرهم، فقـال: كـل هـؤلاء الـذين تـراهم سـمعوا من السجين ما سمعت، وحدثتهم بما حدثتك بك.. وكلهم حصل لـه مـا حصل لك.. هذا ظاهرهم أمـا بـاطنهم، فلا شـك أنـه لا يختلـف عن باطنك.

هذا الكتاب

يتناول هذا الكتاب بالبحث والمناقشة والحوار أصلين كبيرين تتأسس عليهما جميع المعتقدات المسيحية:

أولهما: العقيدة في طبيعة المسيح وكونه إلها أو أقنوما من إله، وقولهم بالتثليث (الأب والابن والروح القدس)، وأنهم واحد في الجوهر متساوون في القدرة والمجد، وأن بين الأقانيم تمييزاً بين الوظائف والعمل.

ثانيهما: عقيدة الصلب والفداء، وهي العقيدة التي تنص على أن المسيح صلب ليكفر الخطيئة التي ارتكبها آدم تحت تأثير زوجته حينما أكلا من الشجرة المحرمة، وانتقلت الخطيئة بطريق الوراثة إلى جميع نسله، وكانت ستظل عالقة بهم إلى يوم القيامة، لولا أن افتداهم المسيح بدمه كفارة عن خطاياهم.

وهــو ينــاقش هــاتين العقيــدتين بهــدوء مســتخدما العقــل والنقــل، أو الفطــرة والكتــاب المقــدس، ففي كليهما نجد ما يفنــد هــاتين العقيــدتين، ويعطي البــدائل الصحيحة عنهما.